العدد ١٢ من السنة الثانية ذى القعدة سنة ١٣٦٠ — ديسمبر سنة ١٩٤١

# مجلة
# الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

( بالمجان )

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

## فهرس مواد العدد


| | | صفحة |
|---|---|---|
| معهد دراسات الثقافة ... ... ... ... ... | كلمات مصورات : معالى هيكل باشا ومعالى الأستاذ دسوقى أباظة وسعادة محمد لطفى بك | ٣ |
| الضرائب الجديدة وروح العمل بها ... ... ... | حبيب المصرى افندى ... ... ... ... ... | ١١ |
| وسائل تنمية الثروة الزراعية فى مصر ... ... | الدكتور أحمد فاضل الخشن ... ... ... | ١٦ |
| أثر الحج فى اتحاد كلمة المسلمين ... ... ... | الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش ... ... | ٢٢ |
| مصر بين حضارتين ... ... ... ... ... | الأستاذ محمد لطفى جمعة ... ... ... ... | ٢٩ |
| إعانة الملهوف ... ... ... ... ... | الأستاذ الشيخ محمود شلتوت ... ... ... | ٣٥ |
| ميزانيتنا القومية ... ... ... ... ... | الأستاذ سيد قطب ... ... ... ... ... | ٤١ |
| المصريون المنسيون ... ... ... ... ... | مصرى ... ... ... ... ... ... ... | ٤٨ |
| الشارع ... ... ... ... ... ... ... | الأستاذ عبد الثافى اللبان ... ... ... ... | ٤٩ |
| أهدأ الراديو ... ... ... ... ... ... | الأستاذ سلامه موسى ... ... ... ... | ٥٣ |
| لا تصلح القرية إلا بإصلاح المدرسة الالزامية ... | الأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم ... ... ... | ٥٧ |
| المشتغلون بالزراعة ... ... ... ... ... | الأستاذ محمد زكى عبد القادر ... ... ... | ٦٠ |
| الرابطة الجديدة ضد الملحدين فى مصر ... ... ... | ... ... ... ... ... ... ... ... | ٦٥ |
| عودة المهاجرين ... ... ... ... ... | الأستاذ س . ق ... ... ... ... ... | ٦٨ |
| الشتاء والرفيق ... ... ... ... ... ... | اليوزباشى صالح زكى ... ... ... ... ... | ٧٢ |
| الجامعة وآثارها فى حياة الأسرة المصرية ... | الأستاذ عطية مصطفى مشرفة ... ... ... | ٧٥ |
| الصداقة المصرية ... ... ... ... ... ... | الأستاذ س . م ... ... ... ... ... ... | ٧٨ |
| على اتجاد أبى السعود ... ... ... ... ... | الأستاذ محمد عبد الكريم ... ... ... ... | ٨١ |
| أبو الأطباء ... ... ... ... ... ... ... | ... ... ... ... ... ... ... ... | ٨٦ |
| الفلاح المصرى ... ... ... ... ... ... | للأديب عبد الحميد المشهدى ... ... ... ... | ٨٨ |
| التلوين والتنغيم ... ... ... ... ... ... | للأستاذ "س" ... ... ... ... ... ... | ٩٣ |
| مشاريع مشروعات الدولة العام ... ... ... ... | الأستاذ محمد عيسى ... ... ... ... ... | ٩٩ |
| الرياضة والتعليم ... ... ... ... ... ... | ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٠٣ |
| التبذير فى البيت ... ... ... ... ... ... | ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٠٦ |
| المخترعات التى أصبحت مكاسب ... ... ... ... | ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٠٩ |
| الجانب الاجتماعى ... ... ... ... ... ... | بقلم أحمد عبد المجيد العراقى ... ... ... | ١١٢ |
| الحريص ( قصة مصرية ) ... ... ... ... ... | الأستاذ سيد قطب ... ... ... ... ... | ١١٧ |
| مجلة شئون الاجتماعية تختم عامها الثانى ... ... | ... ... ... ... ... ... ... ... | ١٢٠ |

# معهد دراسات الطفولة

احتفل فى الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٤١ بدار المدرسة السنية بافتتاح معهد دراسات الطفولة وألقى حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف — كلمة الافتتاح — ثم تلاه حضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه وزير الشؤون الاجتماعية بكلمة فى شأن هذا المعهد، ثم تحدث حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد العشماوى بك رئيس الرابطة عن "الاتحاد فى سبيل الطفولة" ونشر فيما يلى هذه الكلمات :

## كلمة الافتتاح

### لحضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف ورئيس رابطة الاصلاح الاجتماعى

سيداتى سادتى :

يسرنى أن أتحدث إلى حضراتكم اليوم بوصفى كونى رئيسا لرابطة الاصلاح الاجتماعى أكثر منى وزير لوزارة المعارف ، على أنى أعترف أن المجهود الذى بذلته وتبذله الرابطة قد كان لصديق العشماوى بك ولزملائى أعضاء الرابطة فيه من الأثر أكثر مما لى ؛ ذلك بأنى منذ أسندت إلىّ شؤون وزارة المعارف لم تتح لى الفرصة ولم يسمح الوقت أن أكون وثيق الاتصال بالرابطة ، ومع ذلك فقد خطت الخطوات فسيحة محمودة ؛ والمعهد الذى نفتتحه اليوم شهيد بأن إخوانى العاملين فى الرابطة قد نهضوا بالعبء نهوضا موفقا مشكورا .

سيداتى :

إنكن خير من يعرف أن الطفل يكون من الحياة الانسانية كما يكون التمثال فى الحياة الفنية . وكما أن ذوق الفنان وقوة نفسه وجميع مواهبه تظهر فى تأليف التمثال ، فكذلك يظهر ذوق الأم أو المربية فى تكوين الانسان خلقا وخلقا مظهرا ومخبرا . والطفل الذى يتعهد تعهدا سيا ينشأ سليم الجسم والعقل والذوق ، أما الطفل الذى يتعهد تعهدا مريضا ولم يشأ مريضا فى كل شىء .

وإذا كان هذا المعهد يقوم بالإعداد لدراسة الطفولة فمعنى هذا أنه ليقوم بالإعداد لخلق جيل جديد كنا نرجو أن نكون نحن من أبنائه .

أذكر أني جولت خارج الوطن ساعات قضيتها في غبطة وسعادة بين الحدائق في عواصم البلاد الأوروبية ، تلك الحدائق بما فيها من أزهار بديعة وأشجار مورقة وتماثيل بارعة كان يفيض عليها من الحياة و جمال أطفال يلعبون بينها وهذه الأزهار أضوع شذا وإذا الأشجار أجمل منظرا وإذا التماثيل أبرع حتى كأنها تطل عليهم بعيونها فرحة مستبشرة. وكنت أتمنى لو أرى من بنات وطني مربيات لمثل ذلك النشء في بلادنا ، ذلك النشء الذي ستطيع حمل الأعباء العظيمة في العالم ، تلك الأعباء المعنوية التي تظهر الرجل أكثر من الأعباء المادية ، فالرجل هو من يواجه الكارثات والنوازل بجنان ثابت لا من يحمل الحديد و الأثقال .

وإذا كنتم إخواني أعضاء الرئيسة قد تهتم بهذا العمل العظيم تعاونكم وزارات الشؤون الاجتماعية والصحة والأوقاف والمعارف وغيرها فأنتم جديرون بالحمد و بخاصة من زميل لكم لم يكن له شرف مشاركتكم في العمل .

والآن أود أن أتجه بكلمة لي الفتيات المثقفات اللاتي سيشتركن في هذه الدراسات . أرجو أن تعلم كل منكن أنها تؤدي أقدس الواجبات الوطنية حين تعمل في معاهد الطفولة ورعايتها ، وأن واجبها ليس العمل في حدود المعهد أو المدرسة وإنما نشر هذه المبادئ بين الأسر وتقاريرها في نفوس الأمهات ، وأن هذا الوطن سيشكرهن أصدق الشكر على ما ستبذلون من مجهود في سبيل توطيد بنائه وتدعيم أركانه .

ويمكن الله للخير والممكن الرشاد إنه سميع مجيب .

# رعاية الطفولة

## لحضرة صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه

وزير الشئون الاجتماعية

سيداتى . سادتى :

إنكم لتعرفون جميعا تلك الجهود الشريفة التى تبذلها رابطة الإصلاح الاجتماعى فى خدمة الوطن ، وترون بأعينكم ما تقوم به من أعمال جليلة نافعة فى سبيل الله والمصلحة العامة .

هذه الرابطة بما تؤدى من أعمال وما تقيم من حفلات وما تعقد من مؤتمرات وما تنشئ من مؤسسات إنما تبتغى إصلاح المجتمع ، وتهذيب الجيل . وكل مؤسسة تقام تضمد جرحا من جروح هذا المجتمع وتبرئ علة من علله ، فإذا جسم المجتمع وقد صار سليما أو قريبا من السلامة .

وكل بناء يقام ، يجب على بانيه أن يعنى أولا وقبل كل شىء بأساسه ، فإذا دعم هذا الأساس اطمأن إلى أن البناء قد ثبتت أركانه وصار وطيدا متينا .

ويقينى أن الأساس فى بناء الإصلاح الاجتماعى هو رعاية الطفولة والعناية بالأطفال . وإنى أعتقد أن هذا المشروع الجليل الذى أخذت فى إنشائه رابطة الاصلاح الاجتماعى ، مشروع " معهد دراسات الطفولة " كان يجب أن يبدأ به قبل أى مشروع آخر .

إنكم لتعلمون أن الكثيرين من كبار المصريين كانوا يسلمون أطفالهم وأفلاذ أكبادهم إلى مربيات أجنبيات هن فى الغالب حاليات من الثقافة وقليلات الحظ منها . ولا ريب عندى فى أن الأطفال كانوا يكسبون من هؤلاء المربيات مزايا ثلاثا : كانوا يكسبون شيئا من النظافة ، وقليلا من الطاعة ، وكثيرا من الرطانة .

ونريد أن نضيف إلى هذه المزايا الثلاث ثلاثا أخرى هى الثقافة ، وتربية الشعور القومى ، ثم الرجولة .

نريد أن ننشئ جيلا جديدا قويا عظيما نفخر به ويعيد سيرتنا الأولى ، سيرة أولئك الأبطال من العرب الذين قهروا العالم كله ، ثم ساذوه عن حضارة واستحقاق .

نعم نريد أن نستعيد سيرة أولئك الأبطال العظام ، بل أولئك الأطفال الذين صاروا بفضل الخلق الإسلامى لفاضل ، والأمومة العربية الصالحة ، أبطالا صناديد ، سجل لهم التاريخ أكبر المفاخر والحسنات .

يريد أن يشهد أطفالنا على غرار ذلك الفتى الذى دخل على الخليفة يتقدم جمعا من الشيوخ فكان أول قائل الخليفة : ليتكلم من هو أسن منك ، فقال : يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان بيننا من هو أحق بمكانك هذا . إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه . فقال أمير المؤمنين : إن من البيان لسحرا ، وأذن له بالكلام .

يريد أطفالا وقتيا ، من طراز عبد الله بن الزبير الذى كان يلهو ويمرح يوما مع أمثاله من صغار الصبية وأقبل موكب الخليفة ، فأجفل كل من حوله وانطلقوا هاربين وبقى وحده ثابتا لا يتزحزح فعجب الخليفة من أمره وسأله لماذا لم تفر يا غلام ؟ فقال : ليس الطريق ضيقا فأفسح لك ، ولست بمجرم فأخشاك ، فربت أمير المؤمنين على كتفه وقال : سيكون لهذا الغلام شأن عظيم ، وحقا لقد كان له شأن وأى شأن .

سيداتى . سادتى :

لا يسعنى إلا أن أشكركم وأشكر لسيدات اللواتى أقبلن على هذا المشروع النافع وأعد له صديقى صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا من أن كلا منهن تقدم إلى الوطن خدمة عظيمة ، وأضيف إلى ذلك أنهن يساهمن فى بناء صرح عال للوطن بنصيب جليل .

وإنى لأدعوكم بكل قواى إلى مؤازرة رابطة الإصلاح ، التى يقوم على أمرها رجال هم صفوة المفكرين وخيرة قادة الرأى ، أمثال أصدقائى الأعزاء هيكل ، وحافظ عفيفى ، والعشماوى . وأستأذن أخى هيكل باشا فى أن أخص بالذكر صديقى العشماوى بك الذى يهب لهذه الرابطة كل الجهود ، ويعمل فى خدمة قضية الإصلاح وإنهاضها ليلا ونهارا .

وأسأل الله أن يكتب للجميع غاية التوفيق وغاية النجاح ؛

# النضال فى سبيل الطفولة

## كلمة حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد العشماوى بك

نائب رئيس رابطة الاصلاح الاجتماعى

أرى واجباً علىّ أن أفتتح حديثى بشكر الوزيرين الجليلين : وزير المعارف ووزير الشؤون الاجتماعية ، إذ أغدق كل منهما على الرابطة كلمات التشجيع وأثرها بجميل العطف وصور عمها عطفي حديراً بتكريم ، وبذلك عظمت تبعة على الرابطة وأصبح فرضاً عليها أن تحقق ما يقتضيه ذلك التشجيع وأن تثبت كفايتها لهذا العطف ولوزيرين فاضلين أرد فى لباقة أن تقع الرابطة فى حرج شديد فتخذل من تكفلهما الرفيعة ومنهما لها صوراً لما تقوم به الجمعيات العاملة وفرض أن الرابطة مرّة هاتيكم الصور وتثبت بذلك مهمتها وتبقى عطف كاملاً على كاهل الرابطة . ونحن نقبل هذا الاحراج ونتحداه ، إن كنا ضعفاً فى الجهود واثقوى . ولنبدأ بما بدأت به الدعوة المحمدية الكبرى أعنى الايمان الصادق ، وإذا صدق الايمان فلا ارتداد ثم ولا نكوص . ولقد آمنا الايمان كله بفكرة الاصلاح الاجتماعى . ومضينا فى طريقنا — على قلة الموارد — تحدونا همة وتعيننا مثابرة . وها نحن أولاء نفتتح اليوم معهد دراسات الطفولة كما افتتحنا بالأمس دار كفالة الطفل . وسنفتتح فى القريب إن شاء الله دوراً للكفالة أخرى ، مفكرين دائماً فى كل ما يمكن انشاؤه من دور الخدمة العامة مستأنسين بذلك العون المادى والأدبى الذى نلقاه من الجهات الحكومية والشعبية ، منتظرين أن يزيد العون حتى تزداد به جهودنا إنتاجاً .

ولقد وقفت منذ أيام بمناسبة كهذه المناسبة فى محفل قريب من هذا المحفل أتحدث فى "معركة الاصلاح الاجتماعى" فصورتها معركة هادئة وحشودها وهادئة أسلحتها وميادينها وهادئة برامجها وخططها ، وقلت إنها هى معركة الكفاح ومعداتها صغيرة بالاضافة إليها . ولكى ننجح فى معارك أخرى يجب أن نصطنع معركة الاصلاح حمية وتسألنى أين العدة ؟ وهل وضعنا خطة ، وهل أعددنا جنداً ، وهل عيأنا ميداناً ، ثم عقدت وجوه شبه بين معركة الاصلاح ومعركة الحرب ، وأبنت أنه لا بد من قادة درسوا أدواء المجتمع المصرى دراسة تستند إلى إحصائيات دقيقة وموازنات نافعة ولا بد من روية فى وضع خطة تخرج بنا عن سياسة الارتجال وكذلك لا بد من قبس من العلم المفيدة فى لأم المتحضرة بما يلائم البيئة القومية ، وقلت فى حديثى إن أعداءنا فى المعركة الفقر والمرض والجهل والانحلال الخلقى ، ومحاربة هذه الأعداء تحتاج إلى صبر وإقدام ومثابرة . فليس فى معركة الاصلاح الاجتماعى هدنة ولا سلام ! ! !

وبينما أن أعدد الميادين التي تنشب فيها معركة الاصلاح ألمعت إلى ميدان الطفولة إلماعا وأنا اليوم أفرده بالحديث . وإذا ذكرت الطفولة فإنما أعني المستقبل ، أعني الجيل الجديد بل أعني الأجيال المتتابعة حتى تقوم الساعة فإنه إذا خبثت الطفولة خبث الشباب وخشنت الرجولة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب . فطالب الزرع الصالح يعنى بالبذر الصالح فإن قصر في اختياره كان حصاده الخراب والهلاك . والطفولة في مصر مشكلة يجب أن يكون علاجها بلا الاصلاح ويجب أن يكون العلاج عاما في الأحزاب والحكومات والجماعات ، عاما في البيوت وفي معاهد التعليم ، بل يجب أن يكون فرض عين تتوافر له الجهود من المال والجاه والعلم والتجربة . فهل قامت المعركة في ميدان الطفولة ؟ وهل جمع القادة أمرهم لانفاذها ؟ وهل تدارسوا ما يتطلبه الانقاذ من خطط ؟ إن من صفة المؤمنين الجهر بالحق دون مواربة . ولا سيما فيما يتعلق بالشؤون الحيوية للأمة فأذنوا لي أن أكاشفكم بأن الطفولة في مصر مهملة لم تبذل لها حتى اليوم عناية جديرة بالاعتبار . فالطفولة مهملة في قصر الغني وكوخ الفقير ، فما في قصر الغني فالطفل مكفول له الغذاء الطيب والفراش الوثير ، ولكنه يتيم في حضن أبويه ، شقي وهو يتقلب في النعماء ، فقير وهو يلعب بالمال ، وذلك لأنه فقير الروح والنفس عديم الخلق والتربية . فأما الطفل في كوخ الفقير فكما علم : غذاء مقوص ، وكساء ملفق ، ومأوى غير صالح ، ونشأة كما يتفق أن تكون .

فهل هيأنا للطفولة مؤسساتها ؟ وهل راعيناها وهي جنين وحين ولدت وحين شبت ؟ وهل عرفنا أنها تطالب أولا وقبل كل شيء بوالدين صحيحين في الجسم والعقل ليستطيعا إنشاءها نشأة صالحة ؟ وهل التفتنا إلى أن الطفل كالمرآة تنطبع عليها أول ما تنطبع أعمال الوالدين ؟ وهل أعددنا الأم وهي التي تنيط الطفل عجينة تسويها على النحو الذي تفهم ؟ إني لأذكر أني قلت في بعض المواقف : لو تركت لي الأمر دون معقب لأخرجت البنين من المدارس وملأتها بالبنات حتى يتسنى لي إخراج جيل من الأمهات الصالحات ، ورحم الله شوقيا إذ يقول :

وإذا النساء نشأن في أمية ... رضع الرجال جهالة وخمولا

فالأمهات الجاهلات يرضعن أطفالهن جهالة صحية وجهالة اجتماعية تخرجهن مهازيل في العلم والجسم فيصبحون عالة على البلاد .

ولقد ذكر معالي وزير الشؤون الاجتماعية عبد الله ابن الزبير ورجا أن يكون في الأمة العربية أمثاله همة نفس وعظمة شخصية ، فلننظر كيف نشأ ذلك البطل الهمام : إنه نشأ في حضن أسماء بنت أبي بكر وكيف كانت أسماء ؟ حسبكم منها أنها هي التي أخرجت ولدها هذا ليلقى الموت حين ضيق الحصار عليه الحجاج بن يوسف ، وقالت له : إن كنت تدفع عن حق

فأقدم ولا تسكت عنه فقال لها : إنى لأخشى أن يمثلوا بى بعد القتل . فأجابته إن الشاة يا بنى لا تألم السلخ بعد أن تذبح . فانظروا أى أم كانت أسماء ، ولا تعجبوا بعد ذلك أن يكون ولدها عبد الله على العظمة التى سجلها له التاريخ .

ولست فى هذا المقام أتحدث عن طفولة العاصمة ونحوها من المدائن و إنما أتحدث عن طفولة القطر كله أعنى طفولة ستة عشر مليونا من أبناء مصر يسكن الريف من بينهم ثلاثة عشر مليونا أو أكثر . و إنها لمهمة شاقة أن نعد الأمومة فى هذا العدد العظيم ولكن يجب أن نبدأ الجهاد وأن نبذل المال فى سخاء فلا خير فى مال ليس وراءه رجال ، ولا خير فى عهود تحسب فى تاريخ الأمة وهى خلاء من الاصلاح .

والرعاية الصحية فى مقدمة ما تفتقر اليه الطفولة ، فهل أنشأنا فى أنحاء الحواضر مؤسسات صحية تسد حاجة البلاد ، وهل يجمل هذا الركود فى بلد قيل فى احصائياته إن كل فرد تكمن فيه ثلاثة أمراض على الأقل ، وأين المؤسسات فى الريف وكلنا يعرف أنها لا تبلغ عشر معشار ما يجب أن يكون ؟

ولطالما قلت إن من العبث أن نلقى العبء دائما على الحكومة فإن لها من المشاغل العامة ما يقف جهدها دون الغاية المنشودة ، و إنما يجب أن تنهض الأمة بنفسها وتتولى أمرها ان كانت تريد لها بقاء محمود الأثر وتبغى أن تستخلف خلائف جديرين بالنسبة الى مصر وتاريخ مصر . وهنا يقوم واجب الأغنياء فإن لزاما أن يكون فى مالهم حق معلوم لهذه المؤسسات المرجوة بل يقوم واجب الطبيب والكفء والمجرب لها أجدر أن يكون لكل مؤسسة حق من وقت الطبيب وجهد الكفء ومعرفة المجرب ومال القادر . فاذا عنينا بصحة الطفولة بنينا أمة غير مريضة منهوكة ، والمعول فى الأمم على سلامة الصحة لا على زيادة العدد وما خير أبناء يعدون ثم لا يلبثون أن تحصدهم العلل أو يعتريهم الهزال .

فأما الرعاية الاجتماعية للطفولة فهى من عويص المشكلات لأنه يجب أن نتفق على نوع المجتمع الذى نريده وننشده ونعرف ماذا يتطلب المستقبل لأولئك الأطفال الذين خلقوا لزمان غير زماننا . والعالم يتمخض الآن عن حياة كدح وشقاء وامتحان . فالنشء الجديد أحوج ما يكون إلى أن تربى فيه غرائز الطموح والشجاعة والصبر . ونحن فى مصر لما نتفق بعد على خطة السير بالأمة فى طريق الحياة . وما زلنا نتراشق بالتهم . فهذا رجعى يعود القهقرى ، وهذا مجدد يتجاوز الحدود . فعلينا أن نجمع كلمتنا على نوع الثقافة الذى نرضاه . ووجهة الحياة الاجتماعية التى نسعى اليها حتى نمضى فى طريقنا صفا .

ويحسن بى هنا أن أشير إلى نظام التعليم الأولى الذى قصد به إعداد الطفل الإعداد الثقافى . فهل وفى بالفرض ، إننا نسمع فى كل يوم صيحة ونقرأ فى كل مناسبة دراسة

الا أنه يمكن أن يقال عن أية حال إن الأطفال فى معاهد التعليم الأولى لا ينعمون بالرعاية التى ترجى للطفولة . ولم يعد ينعمون للهيئة الاجتماعية لرعاية الأطفال، ولم تعد الأمكنة الصالحة لاستفادتهم استفادة صحية مثمرة . وأمامنا مشكلة التغذية وقد ارتفعت فى شأنها الأصوات ثم هدأت الثائرة وسكنت عواطف البر . وطوى المشروع الذى رحب به عشراء الاصلاح. ولو تقصينا أسباب ذلك الاخفاق لوضح لنا أنها جميعا ترجع الى سبب واحد هو أن التعاون الاجتماعى معدوم فى المجتمع المصرى. فكل يعيش لشأنه وجاهه ومتاعه.

فمتى نفهم أن لهم والحد ولنا زكاة تؤدى إليها ومتى نفهم أنه اذا لم تنجح الدعوة الحرة فى حث على الزكاة صدور وجب أن تقوم أسسها بقوة التشريع فنفرضها على الاكفاء والقادرين فرضا محتوما وعرض المقصرين منهم للجزاء . وانه لخير أن نقسو ونشتد فى سبيل المصلحة العامة حتى لا ندع البلاد تدوى زهرتها وبراعمها للفناء .

ولنسمح فى أن أنهم القادرين على إنقاذ الطفولة مع التقصير عن القيام بهذا الواجب بأنهم يريدون خراب هذا البلد فى حاضره ومستقبله . فهم يرون أعداء الطفولة من الفقر والجهل والمرض تغير من كل ناحية ويعدون مكتوفة أيديهم لا يبدون حراكا فلنفرض عليهم الواجب فرضا ولنجند القادرين على الإصلاح جميعا .

الحق أن مشكلة الطفولة فوق ما نتصوره من الخطر، والحق أن انقاذ الطفولة يجب أن يكون برنامج الجماعات وموضع تشجيع الحكومات . فلقد خسرنا باهمال الطفولة خسارة جسيمة يصورها لكم ما جاء فى تقرير لعلم أجنبى إذ يقول :

"لقد لمست الذكاء فى الطفولة المصرية عن كثب فهو فى أرفع مستوى . ثم رأيته بعد الرابعة يجمد شيئا فشيئا . وذلك راجع للبيئة . والأم عامل من عوامل إطفاء الذكاء ، والأب عامل أيضا ، والمدرسة قد تكون عاملا كذلك على أن ما تبنيه المدرسة يفسده البيت فهما يتعارضان"

لنؤمن بعدما قوى بمشكلة الطفولة ، ولنعمل حازمين راشدين لإنقاذها ، ولنعلم اننا إن أعددنا الطفل اعددنا الشعب الكريم العزيز ، وقد قال شوقى :

| | |
|---|---|
| ورب قتير قوم علمـوه | سماوها لمسومة العـرابا |
| فكان لقومه نفعا وفخـرا | ولو تركوه كان أذى وعابا |
| فعلم ما استطعت لعل جيلا | سيأتى يحدث العجب العجابا |

وها هى ذى رابطة الاصلاح الاجتماعى تقوم فى هذا الميدان الواسع بمواردها القليلة منشئة معهد دراسات الطفولة وهى تعلم أن تحدث بهذا المعهد أثرا محدودا فى دائرة محدودة، ولكنها على أية حال تعطى المثل وتحفز الهمم آملة أن تقوم بجانبها الجماعات التى تمد يدها للنهوض بجانب من هذا العبء. فالقليل من القليل كثير، والضعف الى الضعف قوة . والله نصير العاملين.

# الضرائب الجديدة

## وروح العمل بها

" المحاضرة التي ألقاها معالي حبيب المصري باشا المستشار المالي لوزارة المواصلات من محطة الإذاعة اللاسلكية بالقاهرة يوم السبت ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠ بدعوة من دوائر الشؤون الاجتماعية "

المحرر

لما وليت في أواخر نوفمبر سنة ١٩٣٧ رياسة اللجنة التي عهد إليها في دراسة نظام الضرائب والرسوم الجديدة كان أول ما اتجهت إليه عنايتي أن يقوم لنظم الجديد على مبادئ اقتصادية سليمة. ولعلكم لمستم في ذكرته لكم في المحاضرتين السابقتين أن أهتمامي بتحقيق العدالة وبحسن توزيع الأعباء العامة كان يفوق اهتمامي بتوفير المال للدولة. إذ كنت أعلم أن الدول تستطيع دائما أن تدبر ما تحتاج إليه من أموال بشتى الوسائل، سواء كانت تلك الوسائل عادلة أم جائرة وسواء أكانت تتفق مع النواميس الاقتصادية الصحيحة أم تخالفها.

ولكني كنت أشعر شعورا عميقا بأنه ليس أظلم للكيان الاجتماعي وبكيان الدول من تجاهل النواميس الأبدية الخالدة التي تتحكم في حياتنا — كنت أشعر شعورا عميقا بأن الأمم التي تعيش بالعدل تعيش الأقدار بها وبمصائرها، وأن الأمم التي تسير في تصرفاتها العامة جزافا واعتباطا من غير أن تسترشد فيها بالمبادئ التي دلت عليها خبرة القرون هي أمم مقضي عليها بالخيبة والخسران. فكان مطلبي الأول العدالة، ومطلبي الثاني العدالة، ومطلبي الثالث العدالة. فإن قاعدة الحكم يجب أن تكون تلك الآية الكريمة المسطورة على جدران دور القضاء:

" وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ "

ولو قع أنه رغم ما قد يبدو لأول وهلة لدى من يأخذون بظواهر الأمور، ورغم ما أبداه من تشبث في تشريعات الكثير من الدول في بضع عشرات السنين الأخيرة تحت ضغط الحاجة الشديدة إلى المال ولرغبة في تدبيره للخزانة العامة بأية الوسائل — أقول إنه رغم هذا كله فإن لنظم الضرائب، كما لكل شؤون الحياة العامة والخاصة، قواعد وأصولا ونواميس لا محيص عن الخضوع لها والتقيد بأحكامها، كمقدرة البلاد على الأداء والاستيعاب وكوجوب رعاية مختلف فروع الاقتصاد القومي وعدم إرهاق الصناعات التي نشأة. وكضرورة إيجاد التوازن وعدالة التوزيع بين أنواع الإيرادات المختلفة وكاستهداف بعض أنواع الإيراد لل

لاتستهدف له الأنواع الأخرى من مخاطر إلى غير ذلك من عديد الاعتبارات التى يجب على الشارع أن يضعها دائما نصب عينيه وأن يترسم تلك الآية الكريمة :

" فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ " .

ولم يكن ترسم تلك المبادئ العامة لأمر العسير لا سيما فى المراحل الأولى. ولدينا خبرة الأمم الأخرى نهتدى بها ونسترشد بخوضها مع تطبيق تلك المبادئ على الأحوال الخاصة ببلادنا . فان لكل بلاد ظروفها الخاصة وأحوالها الخاصة وإن كانت المبادئ الكلية والقواعد العامة واحدة فى كل البلدان وفى كل الأزمان — فالعقول البشرية تتلاقى وتتفاهم ، والإنسان اجتماعى حيثما وجد وأينما كان .

وكان المبدأ الذى ترسمناه فى بادئ الأمر سهلا بسيطا . هو أن نستعرض جميع أنواع الإيراد . فما كان منها خاضعا من قبل للضرائب يؤدى نصيبه فى الأعباء العامة تركناه فى سلام وما كان منها فى الحقيقة — خصائة غير كريمة — لايؤدى شيئا فرضنا عليه أن يؤدى نصيبه العادل فى تلك الأعباء التى لا يجوز أن يفلت من المساهمة فيها إنسان .

وإذا استعرضنا أنواع الإيراد جميعا وجدناها لاتخرج عن نوع من الأنواع الثلاثة الآتية :

أولا — الإيراد الذى يجنيه الإنسان من رأس ماله على فرض أن عمله لايدخل بوجه من الوجوه فى تكوين هذا الإيراد . كما لو استثمر المرء ماله فى شراء عقارات سواء أكانت أراضى زراعية أو أملاكا مبنية واقتصر عمله فيها على الحصول على إيجارها ، أو كما لو استثمر هذا المال فى شراء أسهم أو سندات أو غيرها من القراطيس المالية تدر عليه الإيراد بغير عمل يعمله ، أو استثمره أخيرا فى تشغيله بالفوائد .

ثانيا — الإيراد الناتج من رأس المال ومن العمل معا وهو ما يحصل عليه الإنسان من مباشرة مهنة تجارية أو صناعية أو غيرها من المهن التى لايكفى فيها تشغيل رأس ماله بل لابد فيها كذلك من المجهود الشخصى . فالمال والعمل إذن هما العنصران المكونان للمهنة والمنتجان للإيراد .

ثالثا — الإيراد الناتج من العمل كالمرتبات والأجور والمعاشات وما فى حكمها وأرباح المهن الحرة كمهنة المحامى والطبيب والخبير وغيرهم ، فان أرباح تلك المهن لا تعدو أن تكون كسب عمل . ومع أن أصحاب المهن الحرة مضطرون إلى أن يكون لديهم شىء من رأس المال لمباشرة مهنتهم على الأقل لكى يؤثثوا مكاتبهم وعيادتهم ولكى يكون لدى الطبيب ما هو فى حاجة إليه من آلات جراحية أو كهربائية ، ولدى المحامى مجموعة كبرى من القوانين والمؤلفات والموسوعات القانونية التى تكلفه مئات الجنيهات والتى لاغنى له عنها فى مباشرة المهنة ، فان عنصر المال هنا عنصر ثانوى قليل القيمة إلى جانب العنصر الرئيسى الأكبر وهو عنصر شخصية صاحب المهنة وعلمه وجهاده وبراعته . فالإيراد هنا من غير شك إيراد آت من العمل وحده .

تلك هى الأنواع الثلاثة التى تنشأ الإيرادات المختلفة عنها ، وقد يكون هناك إيرادات ومكاسب عارضة لاتنشأ عن مباشرة مهنة ما بصفة مستديمة ، كالربح الذى يصيبه إنسان فى مضاربات أو من تأليف كتاب أو قطعة موسيقية . ولكن هذه الإيرادات العارضة تنشأ كذلك إما من العمل، و إما من رأس المال، و إما من كليهما. أما إخضاعها أو عدم إخضاعها للضريبة فأمر آخر يرجع بطبيعة الحال إلى ظروف كل بلد و إلى أحواله الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

و إذا تركنا جانبا الأطيان الزراعية ، وقد كانت دائما خاضعة للضرائب ، والعقارات المبنية، وقد أخضعت للضريبة فى بعض المدن دون البعض الآخر بمقتضى الأمر العالى الصادر فى ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ بعد مفاوضة مع الدول ، فان الدولة لم تكن تجبى أية ضريبة مباشرة وكانت جميع أبواب الإيراد التى استعرضت فيما تقدم فى حصانة تامة من كل ضريبة يرقد أصحابها على أسرتهم رقاد الهناء والعافية من غير أن يشاطروا بقرش واحد من تلك الإيرادات فى أعباء الدولة التى ينعمون بالأمن والسلام والطمأنينة فى ظلها . وكانت الضرائب التى تجبيها الدولة من الأطيان والأملاك المبنية معا لاتزيد على ستة ملايين من الجنيهات إلا قليلا . أما باقى إيراداتها فكان يأتى من الرسوم الجمركية أو الرسوم القيدية وغير ذلك من الأبواب وكلها لاتشمل نوعا واحدا مما يصح تسميته بالضريبة، إذهى مجرد رسوم تتقاضاها الدولة بمناسبة عمل تعمله أو خدمة خاصة تؤديها . وهذا الوضع الشاذ هو الذى قضى عليه مشروع القانون الذى أعدته اللجنة والذى انتهى الأمر بإقراره وصدوره فى يناير سنة ١٩٣٩ وهو القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩

فرض القانون الجديد إذن الضريبة أولا على رؤوس الأموال المنقولة من أسهم وسندات وفوائد تشغيل نقود ، أى على جميع الإيرادات الناتجة من رأس المال فيما سوى الأطيان والأملاك التى كانت خاضعة للضريبة من قبل .

وفرض الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية ، أى على جميع الإيرادات الناتجة من المال ومن العمل معا . وهنا أذكر أن الأمر قد اختلط على بعض الناس حتى المستنيرين منهم فظنوا أن الضريبة على الأرباح التجارية لايمكن أن يخضع لها غير التجار ؛ فاذا كان الإنسان لايعد تاجرا بحكم قانون التجارة فانه لا يكون خاضعا لها؛ وهذا خطأ . فالحقيقة أن الضريبة على الأرباح التجارية تسرى على ربح كل إنسان طبيعى أو معنوى يباشر مهنة تجارية أو صناعية أو مالية من أى نوع ، ولو كانت الأعمال التى يزاولها مما يعده القانون من الأعمال المدنية المحضة كمهنة الصحفى أو كمهنة أولئك الذين يتخذون شراء الأراضى ثم بيعها بعد تقسيمها مهنة لهم . وبالإجمال تتناول الضريبة ربح أية مهنة لم يخضعها القانون لضريبة خاصة. و إنما سميت الضريبة ضريبة الأرباح التجارية والصناعية على سبيل التغليب.

وفرض تكون أخيرا ضريبة على كسب العمل ، أى على المرتبات والمعاشات وما فى حكمها كالإيرادات المرتبة مدى الحياة أو الاستحقاق الثابت فى وقت . ذلك و إن لم يمكن القول بأن الإيراد المرتب مدى الحياة أو الإيراد الثابت المرتب لمستحق فى وقت هو كسب عمل ، فان المشارع لم ير من العدل أن يخضع للضريبة ذلك الإيراد الذى يجنيه الموظف أو المستخدم أو العامل بعرق جبينه وأن يعفى منها أولئك الذين يتناولون مرتبا لا يشقون فى تحصيله ، فأجرى على هذه المرتبات المكتسبة بغير عناء حكم المرتبات المكتسبة بالكد والعناء .

وهناك فروق عظيمة بين الضرائب الثلاث ، من غير الميسور لى أن أحيط بها جميعا فى محاضرة ليس فى نيتى أن أجعلها محاضرة فنية أو علمية . وكل غرضى أن أنفذ بها إلى أذهان جميع الناس وأن أحاول تعريفهم القواعد العامة التى قامت عليها الضرائب . ولكن أحترق هنا بالإشارة إلى فارقين كبيرين : أولهما الفارق الذى يجب أن يكون فى أسعار كل من الضرائب الثلاث ، والثانى الفارق بين طبيعة هذه الضرائب .

أما عن الفارق الأول فان المتفق عليه فى كل البلاد أن سعر الضريبة لا يمكن أن يكون واحدا بالنسبة للإيرادات عامة على اختلاف مصادرها . فلا بد من أن تكون وطأة الضريبة أخف على كسب العمل منها على الكسب الناتج من استثمار المال ، لأن الإيراد الناتج من العمل معرض لصنوف من الأخطار كانقطاع العمل وما يتعرض له العامل من مرض وعجز وموت ، ثم إن العامل لا يحور أن ينفق كل كسبه ، إذ ينبغى له أن يدخر من جهة أخرى بعض هذا الكسب لتكوين رأس مال يحتاط به لنفسه ولأولاده من عوادى الزمن .

فسعر الضريبة على إيراد رأس المال — أى على ما اصطلح على تسميته بالقيم المنقولة — ينبغى أن يكون على مهل على الأرباح الناتجة من رأس المال والعمل معا . وسعر الضريبة على هذه الأرباح الأخيرة ينبغى أن يكون أعلى من السعر الذى يقرر على كسب العمل وحده .

ولذلك فقد قرر القانون أن يكون سعر الضريبة على إيرادات القيم المنقولة من أسهم وسندات وما فى حكمها ١٠ ٪ على أن يبدأ كتدبير مؤقت بتحصيله على أساس ٧ ٪ ثم يزيد ١ ٪ كل سنة حتى يبلغ الـ ١٠ ٪ فى سنة ١٩٤٢ بيد أنه فى سنة ١٩٤٠ وتحت ضغط الحاجة إلى موازنة الميزانية العامة للدولة ألغى التدبير المؤقت وجعل السعر ١٠ ٪ من أول يناير سنة ١٩٤٠

أما سعر الضريبة على الأرباح التجارية والصناعية فقد جعل كذلك ١٠ ٪ على أن يبدأ التحصيل أولا بسعر ٧ ٪ مؤقتا ثم يزاد بالتدريج حتى يبلغ ١٠ ٪ فى أول سنة ١٩٤٢ — والتدبير المؤقت لا يزال قائما بالنسبة لهذه الضريبة — ومع أن سعر الضريبتين — أى الضريبة على إيراد القيم المنقولة والضريبة على الأرباح التجارية والصناعية — واحد على خلاف ما تقضى به المبادئ العامة التى أشرت إليها آنفا ، فإن ثمة رعاية خاصة للمولين

الخاضعين للضريبة الثانية فان القانون يعفى من الضريبة المائة جنيه الأولى من الربح وهذا الإعفاء يصل الى ١٥٠ جنيها إذا كان الممول متزوجا وله أولاد .

أما سعر الضريبة على كسب العمل وما فى حكمه فانه يتدرج من ٢٪ إلى ٧٪ وهو الحد الأقصى ، وذلك مع إعفاء أصحاب المرتبات القليلة التى لا تجاوز ٦٠ جنيها سنويا من كل ضريبة ، ومع تقرير نظام خاص للمستخدمين والعمال بالمياومة .

أما فيما يتعلق بكسب المهن الحرة فهو وإن كان كسب عمل ينبغى أن تطبق عليه كل الأحكام الخاصة بكسب العمل ، كما تقدم البيان ، إلا أن القانون قرر له نظاما خاصا به لا يقوم على حصر الربح حصرا صحيحا ، بل يقوم على تقدير ذلك الربح على أساس المظاهر الخارجية كايجار المكتب ، أو العيادة و إيجار المسكن . وهذا الأساس معيب من غير شك ، ولكن دعت إليه الضرورة واعتبارات عدة لم يجد الشارع معها محيصا من تقرير هذا الوضع الشاذ ، بيد أنه كان من المفهوم من بادئ الأمر أن هذا الوضع هو وضع مؤقت لن يثبت حتى يزول و بالفعل عرض على البرلمان مشروع قانون بأن يكون فرض الضريبة على الإيراد الصحيح بغير التفات إلى المظاهر الخارجية وهذا المشروع لا يزال قيد البحث .

وثمة فارق آخر عظيم الشأن بين الضريبة على إيرادات القيم المنقولة والضرائب الأخرى ، فإن الضريبة الأولى ضريبة عينية تقع على الإيراد ذاته بغير التفات إلى صاحب هذا الإيراد وحالته الشخصية من يسر وعسر . ولو أن لهذا الإيراد شخصية معنوية لكن هو الذى عليه أن يؤدى الضريبة للدولة . ومن آثار هذا الاعتبار أن الضريبة واجبة الأداء للحكومة من غير اتصال بفكرة الربح أو الخسارة — فبمجرد تقرير إحدى الشركات المساهمة أن توزع ربحا معينا على السهم أو السند وجب عليها أن تخصم الحساب الحكومة قيمة الضريبة المستحقة على هذا التوزيع من غير أن يعنى القانون بما إذا كان صاحب السهم أو السند قد اشتراه من حر ماله أو قد اشتراه بالدين . وحكمه فى ذلك حكم صاحب الفدان الذى ينبغى أن تحصل الحكومة عنه الضريبة ولو كان الفدان متنوع الملكية أمام القضاء . لأن الضريبة هنا عينية ، كما قدمنا ، تقع على السهم أو السند أو على الفدان . أما فيما يتعلق بالأرباح التجارية والصناعية أو بكسب العمل فالضريبة لا تستحق إلا إذا تحقق ربح بعد استبعاد كل النفقات المتصلة بمباشرة المهنة أو إذا تحقق كسب العمل ، إذ أنه فى هذه الأحوال لا يمكن تصور الضريبة إلا فى حالة التاجر أو العامل الذى يحصل على إيراد يصل فعلا إلى يديه ، فعنصر الكسب والخسارة مما يجب هنا أن يدخل فى حساب الشارع .

وإلى هنا أقف عن الحديث وقد تتاح لى الفرصة فى محاضرة مقبلة أو محاضرتين أن أتوسع فى شرح هذه الفروق ، وأن أحدثكم عما اتخذه القانون من التدابير لمنع ازدواج الضرائب وأن أسدى إليكم بعض النصائح التى أوحاها إلى الاختبار ،

حبيب المصرى

# وسائل تنمية الثروة الزراعية فى مصر

للدكتور أحمد فاضل الخشن

الأستاذ بكلية الزراعة

أنا من القائلين بأن مجال الإصلاح الزراعى واسع فى هذه البلاد العزيزة ، بل من القائلين بأننا لم نزل بعد فى أول الخطوط ، رغم ما بذل من جهود ، وأنه لا يزال أمامنا عمل كثير متواصل قبل أن نبلغ ما نصبو إليه من غرض : وهو أن نرقى بالزراعة المصرية إلى حد يضارع زراعة البلاد الراقية كأمريكا وغيرها . وإنى لأرجو خالص الرجاء ألا يظن ظان أننا نقول بالتقليد . فنحن أبعد ما نكون عنه ، بل إننا نأخذ بما رأيناه فى تلك البلاد من استغلال الأراضى الزراعية فى إنتاج كل ما يمكن إنتاجه لسد حاجات الشعب بحيث يجعلون من بلادهم كلة تستورد أقل ما يمكن من المنتجات الزراعية وتصدر أكثر ما يمكن من هذه المنتجات .

فنحن لا نقول بالتقليد بل نقول بزيادة الإنتاج الزراعى سدا لحاجة الشعب المصرى ومن يقيمون فى أرض مصر من المحاصيل المختلفة . ونحن لو وصلنا إلى هذه النقطة فى الإنتاج نكون قد أضفنا إلى ثروتنا الزراعية قدرا كبيرا يكاد يضاعفها تماما فى أيدينا فيستفيد المالك والمزارع على حد سواء .

ويجدر بنا قبل أن ندخل فى تفاصيل الموضوع أن نشير إلى رأى يردده كثير من الناس منهم بعض الزملاء الفنيين ، ومنهم رجال ذوو مسئولية حكومية أو برلمانية فى البلاد ، وهذا الرأى يأخذ بأن الإنتاج الزراعى فى مصر قد وصل إلى أقصى حدوده وأن زيادة موارد الثروة القومية لا تأتى بعد ذلك إلا عن طريق العناية بازدياد الصناعة .

ومما لا شك فيه أن نهضة الصناعة فى مصر والعمل على إنماء بعض الصناعات المحلية وإدخال البعض الآخر الذى تحتم ظروف البلاد إدخاله فيها ، كل ذلك مما يزيد فى موارد ثروتنا العامة . ونحن نتمناه ونعمل له ونسعى إليه ونرقب اليوم الذى نرى فيه نتيجة ملموسة الأثر لهذه العناية المحمودة بالصناعات .

غير أن المدى الذى تبلغه الصناعة مهما ازدهرت فى بلادنا هذه سوف يكون مدى غير بعيد ، وذلك لقصور فى الموارد الطبيعية التى يمكن استخدامها للغرض المقصود . فما دام الفحم والحديد والمعادن الأخرى ، وما دامت الغابات لا تكون جزءا من خامات مصر فليس من المنتظر أن تنشط الصناعات لدينا بقدر نشاطها فى أوروبا أو أمريكا . وستبقى

هذه البلاد زراعية فى المقام الأول ، وخير لنا أن ندرك هذه الحقيقة حتى نوجه جهودنا إلى الطريق الصحيح .

أما والأمر كذلك فلنكشف الستار الرقيق الذى يغطى وجه الزراعة المصرية فتبدو للناس مزدهرة كاملة فى حين أنها تعجز عن سد حاجة المصريين وتعجز عن حفظ خصب الأرض وتعجز عن الوقوف على قدميها مستقلة عن الموارد الأجنبية وتعجز عن حفظ كيان الثروة القومية ، بل تعمل على نقصها باستمرار . وإلا فبالله عليكم خبرونى عن بلد زراعى إذا انقطع عنه الوارد من الخارج هدده الجوع ، وها هو الدليل على صحة ما أقول : إن مصر كانت تستورد قبل الحرب المقادير الآتية من الحيوانات الحية للذبح ، وإنى سأتلو عليكم عددها وثمنها مستخرجا من أدق الإحصاءات الجمركية :

| | عدد | | جنيه |
|---|---|---|---|
| أغنام | ٨٠,٠٠٠ | رأس قيمتها ... | ٨٠,٠٠٠ |
| ماشية وجاموس | ١٥,٢٤٠ | » » ... | ٧٧,٠٠٠ |
| جمال | ٢٥,٠٠٠ | » » ... | ١٥٠,٠٠٠ |
| دجاج وطيور | ... ... ... ... ... ... ... | | ٢,٥٠٠ |
| لحوم | ... ... ... ... ... ... ... | | ٥٢,٠٠٠ |
| منتجات ألبان | ... ... ... ... ... ... ... | | ٣١٠,٥٠٠ |
| | | | ٦٧٢,٠٠٠ |

وهذا المبلغ على جسامته ليس كل ما هنالك ، إذ سنعود بعد قليل إلى أبواب أخرى تنزح منها ثروتنا الى الخارج ولا نستفيد بها ، فنحن جميعا نذكر مقدار السماد الكيميائى الذى كنا نستورده قبل الحرب ، والذى انقطعت بنا أسبابه الآن فعمت الشكوى من عدم وجوده وتأثرت الزراعة والمحاصيل لقلته فعلا ، هذا السماد كان من السهل إنتاجه فى مصر لو عنيت مصر بتنمية موارد ثروتها الزراعية من جميع النواحى ، فنحن نفقد من عدم عنايتنا بتربية الحيوان مقدارا يبلغ المليونين من الجنيهات ندفعها ثمنا للحم الذى نأكله ولمنتجات الألبان التى يستهلكها الشعب وللسماد الذى كان من الممكن توفيره لو زاد عدد الحيوانات .

وإنى لا أود أن أطيل فى سرد أرقام وبيانات كثيرة ، غير أنى ألفت الأنظار إلى مناقشات مجلسى النواب والشيوخ فى الشهر الأخير ، فقد كانت هذه المناقشات ذات دلالة واضحة ، وكانت حجة أكيدة على أن سياستنا الزراعية هى سياسة مرتجلة ، وأننا نضيع الزمن ونتلاعب بالوقت ، ولا نقدر عواقب السنوات القابلة بما تحمله من بؤس أو رخاء . هل سمعتم أن القمح الناتج لا يكفى الناس وأن الذرة وهى غذاء الفلاح الأول أصبحت صعبة

ال عليه . ما هذا الوضع الغريب الذى نرى أنفسنا فيه ؟ نحن بلد زراعى ولا ننتج من اللحم والألبان ومستحضراته والحبوب الغذائية ما يكفى لنا ؟ فاذا قامت القيامة صرخنا وتعالت صيحاتنا ثم إذا انصرفت حدة الأزمة عدنا الى ما كنا فيه من نوم عميق .

ل الذى يلى بيت يجب أن يتميز على أساس متين يحمل عدة أعمدة تسند البناء فلا يتداعى . ا مصر فقد أقامت زراعتها على عمود واحد واعتقلت غيره من الأسناد القوية . عنيت بزراعة محاصيل الحقل وأهملت الفروع الزراعية الأخرى كتربية الحيوان والألبان . وهذا العمود الذى هو كرئيس قوى الدعائم بل هو محمل للبناء ، إذ أنها جعلت المقام الأول فيه لمحصول واحد وهو القطن . هذا المحصول كان مصدر خير للبلاد فيما مضى من الزمان ، ثم انقلب شرا عليها فى العشر السنوات الأخيرة . وما فعل أذاقت البلاد من أزمات القطن المتكررة منذ سنة ١٩٣١ الى اليوم ؟ أزمة تتلوها ازمة ، والفلاح بين والمزارع الكبير يتضجر والحكومة تتفكر الحلول فتأتى حلولا وقتية كالمسكن الذى يعالج أعراض الداء دون استئصاله من جذوره . فمرة تعيد الحكومة للفلاح بعض الأموال الأميرية ، ومرة أخرى تؤجل دفع أقساطها ومرة ثالثة تعينه بالسلف الزراعية . ومرة رابعة تتداخل فى سوق القطن مشترية لترفع السعر رفعا صناعيا والحال لا يتغير كثيرا والأزمات تتكرر والشكوى تتكرر ولا علاج .

نريد استقرارا فى شؤوننا الزراعية ، وهو أمر بعيد المنال مادام القطن هو المحصول الرئيسى فى البلاد وما دامت الزراعة قائمة على محاصيل الحقل فقط دون غيرها .

والعلاج الحاسم الذى أراه وأقول به ، بل الذى ناديت به مرارا وفى كل مناسبة ، هو أن تتنوع المحاصيل المصرية ولا تعطى كل الاهتمام الواحد منها وتترك الباقى .

يجب أن تكون هناك نقطة توازن بين فرعى الزراعة ، أى بين محاصيل الحقل ومحاصيل الحيوان ، وإن كل علاج بعيدا عن هذه النقطة لن يمنع تكرار الأزمات المؤلمة المخربة للديار والعمار . وإليكم ما تحتاجه البلاد من الجهود لو عملنا للوصول إلى هذه النقطة بكافة الوسائل التى تؤدى الى النهضة بتربية الحيوان

أولا — أن حصص الأرض يزيد تبعا لزيادة السماد العضوى مما يتبعه ازدياد غلة الأرض من جميع المحاصيل .

ثانيا — أن المزارعين المصريين سيجدون بين أيديهم بابا جديدا للإيراد .

ثالثا — إن الحالة التجارية للبلاد تنتفع بصفة عامة ، وذلك بتقليل الحاجة الى الأسمدة الكيميائية المستوردة من الخارج وبمنع استيراد الحيوانات للذبح وبمنع وصول منتجات الألبان الكهفاء بما سوف تنتجه البلاد منها ، وبذلك يرتفع مستوى المعيشة بين المصريين ويتداول أثمان هذه المحاصيل بينهم بدلا من خروجها الى البلاد الأجنبية .

رابعا — إن وفرة محاصيل الحيوان وجلها أغذية أساسية للانسان سوف يؤدى إلى خفض أثمانها عن المستوى الحالى مما يؤدى الى تحسين غذاء الشعب وتقوية صحته وكثرة إنتاجه .

ولقد يسألنى سائل عن الطريقة أو الطرق التى بموجبها تزداد الحيوانات ومحاصيلها ومنتجاتها فى مصر . وما أسهل هذه الطرق وما أقربها الى أيدينا لو أخذنا الأمور بالعزم وشمرنا عن ساعد الجد . إن هذه الطرق تقتضى من الحكومة ومن الشعب العمل حتى تتفق جهودهما وتتصل أغراضهما . فعلى الحكومة أن تنهض بالدعاية بين الشعب ، فالشعب المصرى أغلبه لا يقرأ ولا تتغلغل الثقافة الزراعية فى قرارة نفسه ، فالدعاية أمر واجب على أن تكون بسيطة بقدر تفكيره البسيط أيضا حتى تنتج أثرها . ولعل الحكومة تكون قد خطت خطوة صحيحة عند تنفيذها مشروع المراكز الاجتماعية ووضع خبير زراعى فى كل مركز يرشد الأهالى إلى ما يجب أن يكون ، و إلى الوسيلة العملية مع إقناعهم بكل ما يقول لأننا نطمع فى الأخذ بيد هذه المراكز الاجتماعية والإكثار منها بعد الحرب ، بل نطمع فى وضع سياسة ثابتة تؤدى الى تعميمها فى القطر كله فى مدى خمس سنوات من أول سنى السلم القادمة . ثم إن على الحكومة غير ذلك أن تعنى بتكوين سلالات وفيرة المحصول من الحيوانات المصرية حتى تزداد أرباح الفلاح ، فيقبل على تربيتها ، وهذا ما تقوم به فعلا كلية الزراعة ، بل هذا هو العمل الذى فى شرف القيام عليه ، وهذا هو العمل الذى أخذت به وزارة الزراعة منذ عامين حتم تتم وتكثر وتنشر ما تقوم به الكلية من الجهود فى هذا السبيل . ثم إن على الحكومة أن تنشر التعليم الزراعى بأوسع ما تقدر عليه . ففى نشره خير و بركة على هذه البلاد ولو كان مستوى التعليم الأولى بين الشعب أوسع مما هو عليه الآن ، لأفادت البلاد من تعاون نوعى التعليم : الزراعى والأولى فى العمل على مصلحة الزراعة والأرض والفلاح . ثم إن على الحكومة أن تشجع الفلاح على تربية الحيوان بنشر المعارض وتوزيع الجوائز والمكافآت المالية ، وأن تعمل على القضاء على أمراض الحيوانات التى يخشاها الفلاح ، لما تسببه له من الخسائر ، وأن تعمل على التأمين على ماشية الفلاح حتى يطمئن إلى عدم ضياع رأس ماله الذى يستغله فيها ، إذ لو نفقت ماشيته لوجد فى التأمين عوضا عنها . هذا هو ما نرى أن تقوم به الحكومة . أما الشعب . وأقصد به كبار المزارعين وصغارهم على حد سواء ، فعليه واجبات لا تقل أهمية عما تقدمنا به . فعلى كبار الملاك أن يقيموا فى أراضيهم و بين فلاحيهم فيكونوا قدوة لهم فى أعمالهم ، فهم مدرسة عملية يستفيد منها الفلاح الصغير ، وهم عماد الأمن فى القرى مما يشجع الفلاح الصغير على اقتناء الماشية دون خوف عليها . وعلى الشعب أن يتلقى مشورة الخبراء الزراعيين و رجال الدعاية بقبول حسن ، وأن يناقشهم مناقشة النهى يطلب الصالح ، لا المتعسف ولا المستبد برأيه فيأخذ منها بما يفيده وهو الغانم على كل حال .

وإذا رجعنا إلى محاصيل الحقل وجدنا هناك نشاطا ملموسا نتيجة العناية المتواصلة على مدى السنين ، غير أن هناك بعض نقط أعتبرها من نواحى النقص وقد نبهت إلى بعضها فيما سبق من الكلام والآن أرى أن أجملها فيما يأتى :

أولا — العمل على إنزال القطن من العرش الذى يجلس عليه ، وذلك بالإكثار من زراعة الحبوب الغذائية كالقمح والذرة والفول والفواكه والخضراوات . وإنى أرى أن التشريع الذى وضعته الحكومة ووافق عليه البرلمان حديثا سوف يؤدى إلى الغرض الذى نصبو إليه . وإنى أنادى رجال الحكومة ورجال البرلمان وكل مسئول عن أمور هذه البلاد أن يفكروا تفكيرا جديا فى جعل مبادئ هذا التشريع دائمة فى المستقبل ، وسترى فيه البلاد علاجا ناجعا لأدوائها الزراعية وأزماتها الاقتصادية .

ثانيا — تحسين سلالات المحاصيل الزراعية من كل الأنواع النباتية . ولا أشك لحظة فى أن رجال وزارة الزراعة قد قاموا بجهود جليلة فى هذا السبيل ولا يزالون يواصلون عملهم الدءوب وأن الحكومة فى الواقع قد تقدمت فى هذه الناحية أكثر من تقدمها فى النواحى الأخرى .

ثالثا — العمل على مقاومة الآفات والأمراض النباتية ونحن نرى أن الحكومة تقوم بواجبها تمام القيام ولكن الشعب لم يتنبه إلا حديثا إلى خطر هذه الحشرات والآفات ، ولو تعاون الفلاح بإخلاص مع رجال المقاومة لخف الضرر كثيرا عما نراه الآن .

رابعا — نرى أن يكون تسييف الزراعى على أساس سهل ومدى متسع ، بحيث يجد الفلاح فيه غنى عن المرابين الذى يستغلون حاجته وعسره ، على أننا نوافق تماما على أن يضمن القائمون بهذه السلف ألا تصرف إلا فى الشؤون الزراعية البحتة . ولعل رجالنا الاقتصاديين يجدون مخرجا للفلاح من إسرافه ومن خلطه بين الشؤون الخاصة وشؤون الزراعة مما يعطل عليه وعلى البلاد الانتفاع بالسلف وبالتعاون الزراعى إلى أقصى حد ممكن .

خامسا — أنه يجب تعديل الوضع الحالى الذى نرى فيه سوء توزيع الأراضى الزراعية فى مصر ، مما يجعل الحوض الواحد مقسما إلى عدة مساحات صغيرة تختلف كل منها عن الأخرى فى زراعتها وفى الأيدى التى تشرف عليها . وإنى أعتقد أن هذا الوضع — بل هذه الفوضى — حجر عثرة فى سبيل استغلال الأراضى المصرية استغلالا يتمشى مع روح العصر وتعاليم الزراعة الحديثة ، فاختلاف الزراعات فى الحوض الواحد قد ينجم عنه ضرر لكل منها ما دامت مواعيد الرى لا تتفق معا وما دامت مقاومة الآفات ليست ضرورة لازمة فإن لزمت لمحصول منها فلا تلزم للآخر ويمتنع زارعه عن العناية بشؤون جاره بطبيعة الحال . أما توحيد المحصول فى الحوض الواحد فيؤدى إلى الإتقان فى طرق الزراعة وإلى توحيد المعاملة والخدمة والوقاية مما يؤدى إلى ازدياد غلة الأرض ونمو الثروة الزراعية .

سادسا — العمل على إصلاح الأراضي البور التي في البلاد والتي تدل الإحصاءات على أنها مساحة كبيرة تبلغ مليونين من الأفدنة، أي ما يقرب من ٤٠٪ من المساحات المزروعة الآن وقدرها ٥,٢٨٠,٠٠٠ فدان . ولو وضعت سياسة حكومية أو أهلية كقيام بعض الشركات المصرية بمشروع إصلاح هذه الأرض لأفادت الدولة فائدة كبيرة من فرض الضرائب على الأرض الجديدة. ثم إنه لو وضعت سياسة قومية ترمي الى توزيع هذه الأراضي بالعدل بين خريجي التعليم الزراعي ثم بين صغار الفلاحين لكسبت البلاد كسبا مضاعفا بازدياد موارد ثروتها الزراعية ، وبقلة أو اختفاء التعطل بين المتعلمين . وبقلة أو اختفاء البطالة في الريف تمتنع أسباب الفقر وعوامل الإخلال بالأمن .

سابعا — العمل على مراقبة تصريف الحاصلات المصرية من زراعية أو حيوانية، سواء أكان ذلك في الداخل أم في الخارج بعد الحرب . ولا شك أن البلاد تنتفع كثيرا بالدراسة لمحاصيل مصر في الخارج فتفتح لتصريفها أسواق جديدة يتسبب عن فتحها التوسع في الحركة التجارية ونمو في الثروة الزراعية ؛

أحمد فاضل الخشن

---

" وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ * وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " .

[ قرآن كريم ]

# أثر الحج
## فى اتحاد كلمة المسلمين

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش
شيخ كلية اللغة العربية

وحدة الأمة مصدر خيرها وسعادتها ، ومبعث رقيها وكمالها . وأساس عزها وشرفها . ما تحدت أمة من الأمم إلا قوى أمرها ، ولعن جانبها ، وحالفها الفوز والنصر ، وكتب لها التوفيق فى كل شأن من شؤون حياتها ؛ وما تفرقت أمة من الأمم إلا هانت وذلت ، واستكانت واستحدت ، وسئد أمرها غيرها يسومها الخسف والصغار ، ويوردها موارد الهلكة والدمار .

وقد عنيت الشريعة الإسلامية بالدعوة إلى توحيد كلمة المسلمين فى الدين ، والنهى عن التفرق والتفرق فيه ، فقال عز من قائل :

" وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ، وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ، وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا . كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " .

وقال تعالى :

" إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ " .

وقال تعالى :

" شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ " .

وكذلك نهتهم عن التنازع وطالبتهم برد المتنازع فيه إلى الله ورسوله ، وطالبتهم أيضا بالوقوف عند الحكم والإذعان له والتسليم به ، قال تعالى :

"وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ" .

وقال تعالى :

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" .

وقال تعالى :

"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا" .

وكما طالبت الشريعة المسلمين أن تتحد كلمتهم دعتهم إلى ما يحقق الوحدة ويؤكد الروابط ويقوى الصلات بينهم من الإخاء والائتلاف والتراحم والتعاطف والتحاب والتواد والتعاون والتناصر حتى يكونوا أمة قوية البناء يرهبها ويكبرها الأعداء .

قال تعالى :

"إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" .

قال صلى الله عليه وسلم : "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" . وقال عليه السلام : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . ثم شبك بين أصابعه" . وقال عليه السلام : "الدين النصيحة . قالوا لمن ؟ قال : لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم" . وقال عليه السلام : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" .

وكذلك نهاهم عما يبدد شملهم ، ويفرق كلمتهم ويهدم بنيانهم من التحاسد والتباغض والتقاطع والتدابر وما إلى ذلك من العلل الخلقية التي تفتك بوحدتهم وتقطع أوصالهم وتجرهم إلى مهاوى الذلة والهوان .

قال عز من قائل :

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ " .

وقال تعالى :

" وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ " .

وقال صلى الله عليه وسلم : " إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث . ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا . ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا " .

وقال عليه السلام : " كل المسلم على المسلم حرام : ماله ، ودمه ، وعرضه " كما دعتهم إلى عبادة الله والتقرب إليه لما في ذلك من الأثر الحسن في بناء وحدتهم وتقوية الروابط بينهم والقضاء على أسباب نزاع والشقاق والفرقة والخصام لأنها تطهر النفوس من أدران الرذائل وتقضي على أصول الشر فيها وتغرس في النفوس محبة ومودة ورحمة وعطفا وتعاونا وتناصرا ، وما شرعت الجماعة في الصلاة إلا لأنها تبعث في النفوس شعورا بأن الاجتماع الحسي على طاعة الله تعالى والتقرب إليه ينبغي أن يكون داعيا إلى تقارب الأرواح وائتلافها وباعثا على توادها وتراحمها وتعاطفها وتناصرها .

وإن من أكبر المظاهر الدينية التي تجمع بين الشعوب المتباينة الأصقاع والأمم المختلفة البقاع ، وتتجلى فيها الأخوة أجلى معانيها حج بيت الله الحرام . فرضه الله على المستطيع من عباده وعيب على من يتخلفون عن أداء تلك الفريضة وبالغ في الإنكار عليهم فقال عز من قائل :

" وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ " .

وقال صلى الله عليه وسلم "من وجد زادا وراحلة وأمكنه الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا و إن شاء نصرانيا" وقال عليه السلام: " حجوا قبل ألا تحجوا " .

هذا، و إن فى الحج فوائد دينية واجتماعية تعود على المجتمع الإسلامى فى مختلف الأقطار وكلاهما مصدر خير وبركة وسعادة .

أما الفائدة الدينية فإنه يعد العباد و يهيئهم لفيض الرحمة والمغفرة والثواب الجزيل والخير العميم، يخرجون من ديارهم النائية غير آبهين بما تركوا وراءهم من أهل ومال، ولا مكترثين بما يصادفون من صعاب و يتحملون من مشاق تلبية لدعوة الله وإطاعة لأمره و يجتمعون فى البقاع الطاهرة والأماكن المقدسة شعثا غبرا سواسية لا فرق بين غنى وفقير وعظيم وحقير وصغير وكبير ، ينتقلون من مشعر من مشاعر الحج الى مشعر ، ومن مشهد إلى مشهد وفيهم يقول القائل :

تحلّى بأسنى الحَلْى واحتَلِي الغِنَى ... فافضل من أمثالِكِ النفَرِ الشُّعْث

يسيرون بالأقدام فى طلب العلا ... الى الله حَزْن ما توطأن أم وَعْث

وما فى يدٍ قُلْب ولا أسْوُقُ بُرَّى ... ولا مفرَق تاج ولا أُذن رَعث

يسيرون خاضعين خاشعين مستكينين لعزة الله ملحين فى التضرع والدعاء يستمطرون الله الرحمة والمغفرة و يستنزلون الثواب الجزيل الذى أعده الله لعباده الذين يحجون بيته و يعظمون شعائره و يتقربون إليه، وهنا يتجلى ذل الرق وخضوع العبودية على أتم وجه وأكمله أمام جلال الربوبية وعزتها فتفاض الرحمات وتنزل البركات و يتجاوز الله عن الذنوب حتى الذنب الجسام و يعفو عن الآثام حتى الإثم العظام .

فقد أسند محمد بن جعفر الى النبي صلى الله عليه وسلم: إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة .

وقال صلى الله عليه وسلم : " من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .

وقال عليه السلام : " حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها. وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة " .

وقال عليه السلام : " الحاج والعمار وفد الله وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم وإن شفعوا شفعوا " .

وأما ما يعود على المجتمع الإسلامي عامة فهو ما تتركه تلك الفريضة من توكيد الصلات وإحكام الروابط بين المسلمين في جميع البقاع ، فقد اجتمعوا في صعيد واحد وفي زمان واحد وعلى هيئة واحدة لغرض واحد وغاية سامية ، كلهم سواء في تعظيم الله سبحانه وتعالى والتقرب إليه يستشعرون رهبته وعظمته ويستيقنون أنه ما وحد بينهم في هذه العبادة وما جمعهم في تلك البقاع المقدسة إلا ليكون ذلك إيحاء ورمزا بوجوب اتحاد كلمتهم وضم شملهم وتوحيد رأيهم ويرجع كل فريق إلى وطنه وقد وقف على حالة كل شعب من شعوب المسلمين ، وأدرك ما يحتاج نفوسهم فينشر بين قومه مزايا إخوانه ويعبر عن آمالهم ويترجم عن رغباتهم ومراميهم في مختلف نواحي الحياة فتتكاتف الشعوب على ما يوفر لهم الخير ويجلب لهم السعادة وتتناصر فيما يكسبهم القوة والمنعة والاتحاد وغرة السلطان فتأتلف نفوسهم وتتحد كلمتهم وذلك غرض من أنبل الأغراض وأشرفها ، ومقصد من أرفع المقاصد وأخطرها ، فجدير بالمسلمين أن يلتفتوا إلى تلك الغاية وأن يعملوا على تحقيقها ليكون حجهم محققا كل آثاره جامعا كل فوائده ومنافعه ، فيعز منهم الجانب وتقوى الشوكة ويعلو السلطان ، ذلك مرجو أن يتحقق في أقرب الأزمان ، قال تعالى :

" وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِۦ " .

هذا وقد جرت سنة الله في عباده أن يختبرهم بألوان شتى من الاختبارات ، ليتميز الخبيث من الطيب

قال تعالى :

" وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً " .

وقال تعالى :

" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ " .

وقال تعالى :

" أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ "

وقال تعالى :

" وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ " .

وقد صرنا فى أشهر الحج ، وأظلتنا أيام عبادته ، والناس فى حال تزداد فيه الصعاب ، وتكثر المشقات ، ويساورهم قلق ، ويداخلهم خوف ، وفى هذا ابتلاء من الله لعباده ، واختبار لما تنطوى عليه الصدور ، وتضمره القلوب ، لتتاز النفوس الصادقة الإيمان القوية العزائم ، التى تمشى إلى الخير قدما ، راضية مطمئنة ، صابرة محتسبة ، لا تصدها الصعاب ، ولا تصرفها المشقات ، لتنال الثواب العظيم ، والخير الأوفى .

فمن أقدم على الحج غير مبال بما يعانى من مشاق ، ويصادف من مكاره ، كان له من الثواب ما يناسب صدق إيمانه ، وقوة عزيمته ، فى هذه الحال التى يتخذ منها ضعاف النفوس أعذارا ، ومرضى القلوب أسبابا للإحجام عن فعل الخير ، وعمل البر .

ولكن لنا فى أسلافنا الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، فقد كان منهم من يقوم بأعمال هى أفضل من الحج ثوابا ، وأكثر منه مشقة وإعنانا ، ولم معها العذر المبيح ، والحجة الواضحة

عند الله وعند الناس ، ولم تقعده أعماله هذه عن اقتحام أخطر الطرق وأشقها لحج بيت الله الحرام ، ابتغاء رضوان الله والتقرب إليه ، فضم بذلك خيرا إلى خير ، وثوابا إلى ثواب .

فقد روى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه ، لما انتهى من معركة يوم فراض لخمس بقين من ذى القعدة أمره أمير المؤمنين أبو بكر الصديق أن يسير الى الحيرة فأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ، وأمر شجرة ابن الأعز أن يسوقهم ، وأظهر أنه فى الساقة ثم خرج إلى الحج مكتتما حجه ومعه جماعة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت ، فتأتى له مالم يتأت لدليل ولا رجل ، فسار طريقا من طرق الجزيرة ، لم ير أعجب منه ، ولا أشد صعوبة فكانت غيبته عن الجند يسيرة ، فلم يوافوا إلى الحيرة آخرهم حتى وفى مع صاحب الساقة ، فقدما معا وخالد وأصحابه محلقون ، وذلك مثل من أعلى المثل يدل على مقدار حرص السلف على طاعة الله . وفق الله هذه الأمة لما فيه خيرها ورشادها ؟

ابراهيم حمروش

---

قال رجل للحسن بن على :

إنى أكره الموت .

فقال له الحسن :

ذلك أنك أخربت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به .

يريد أنه لو أنفق ماله فى الخير لما خشى الموت .

# مصر بين حضارتين

بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى

لا بد لكل إنسان من الأخذ بنصيب من الدين والعلم والمال والتنازل عن نصيب من حقوقه وحريته والتضحية بكثير من عواطفه ومبادئه وآرائه ليتمكن من العيش فى المجتمع البشرى فى حالته الحاضرة .

وقد كان المؤمل المرجو أن يزداد نصيبه من الفريق الأول ويقل عنه عبؤه من النصيب الثانى ، ولكن استقراء التاريخ دلنا على أن الأمر على النقيض فى الناحيتين . ويرجع سبب هذا الخلاف بين ما كان مأمولا ومرجواً وبين الذى وقع فعلا فى قدر كبير الى أحكام الطبيعة الكونية أولا ، وإلى طبيعة التكوين الإنسانى ثانيا .

أما الدين فهو مؤسس على الغيب والمستور وعلى مجرد الثقة فيما يؤكده أفراد ممتازون من الجنس البشرى . وقد قامت شبهات وأشباه أدلة على الشك عند معظم الناس ولا سيما الجهلاء والمعاندون وذوو الطبائع المتناقضة ، فانهار الركن الأكبر للأديان الواحد تلو الآخر فى ضمائر المتدينين وغفلت الكثرة عن حقيقة راهنة وإن كانت خفية ، وهى أن الدين لا يكون إلا لأفراد قليلين محدودى العدد متسعى الإدراك فى كل الأمم وكل العصور وتكاد مواهبهم تكون متجهة نحو البحث فيما وراء الطبيعة . فالأسباب التى تدعوهم إلى التدين لاصقة بعقولهم لا بمنافعهم .

وقد أثبتت الأيام فى العصور المتوالية منذ أقدم الدهور أن الإنسان بالغا ما بلغ من صفاء النفس وحسن الطوية ، لا يستطيع أن يحيد عن الشر إذا دعته اليه دواعيه إلا بوازع من الدين سواء أكان على دين سماوى أم كان من عبدة الأوهام أو الأصنام ، لأن العقيدة الدينية تقوم فى النفس مقام الشرطى الحارس الذى يمنع ما حرمته الشريعة التى تتعلق بها تلك العقيدة والشرائع كلها خير وما الشر الذى ينشأ عنها إلا من التحريف والتأويل .

أما والأديان خير محض ، وإن كانت وثنية ، فان الأديان السماوية جاءت لسعادة الناس لكنها لا تجىء بالسعادة إلا إذا كانت خالصة لوجه الله ، وهى لا تكون خالصة لوجه الله إذا ضعفت العقيدة بما يشوبها من المؤثرات الدنيوية التى تصرف المؤمن عن العبادة أو تجعل العبادة مقترنة بالمشاغل التى تحول القلوب عما يتطلبه الإيمان من التجرد من الأغراض والشهوات .

وأما العلم فلم يهتد الناس بعد ، إلى الطرائق المثلى فى تلقينه ونشره وحسن الانتفاع به ولم تجمع الأمم فى قارة واحدة ولا الجماعات فى أمة واحدة على طريقة مفردة بل انتحى كل فريق منهم منحى يخالف منحى جيرانه . فمنها ما قام على الاستظهار ، ومنها ما قام على العقل وتقوية الذكاء فقيام الأولين على تقوية الذاكرة ، واختص منها جنس بمرانة الأجسام وتضخيم الأبدان وجنس بالانكباب على الدرس وهكذا إلى أن أصبحت عقول الصغار والفتيان ملاحق معامل تجريبية وصار العبء كله على كاهل أولياء الأمور فى الطور الأول ، ثم على كاهل الطلاب أنفسهم يتبعون ميولهم ومواهبهم ويكدأون بقدر ما أتقنوا .

أما المال فهو المشكلة الكبرى ولا سيما العصور الأخيرة ، فإنه فى أثناء انهيار الأديان تفتحت أذهان البشرية إلى المبادئ المادية التى سبقها التكالب على الشهوات والتطرف فى الاحتياز واستقواء غريزة الملكية ، وتراخت أواصر الأخلاق وانحلت روابط المعانى والأرواح بقدر ما انسجمت علائق المظاهر والأشباح .

وكانت تزوحت القبائل الرحالة والهمج والجياع من رءوس الجبال والوديان المجدبة إلى سهول الخصيبة وضعاف الأنهار أول خطوة فى تحويل التيارات الإنسانية من القناعة والسلم والعمل الهادئ إلى الدفاع ثم الهجوم والتطاحن والاستهانة بإهراق الدماء ، وما زالت المظالم تنمو والنصفة تدوى وتتضاءل حتى أصبح الحق للقوة والحيلة ، وامتدت هذه الأمراض الخلقية حتى صارت الكلمة العليا للأشرار والخبثاء والمتربصين للهجوم والإيقاع .

وبعد أن كان المتهجمون يخشون عواقب النقد والتأنيب أصبح المدافعون هم الخشاة الجدرون ، ولكنهم شعروا بحاجتهم إلى تعميق خطة أخرى تدعم القوة المادية وتسندها وتسترها فاستشرى الكذب وأدى النفاق برءوس ثلاث : نفاق اجتماعى ، وآخر سياسى ، وثالث اقتصادى ، وهو ما كان فى أول الأمر مقصورا على النفاق الدينى " التقية " وغاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل ، وصار أصحاب المكائد فى مقدمة الفائزين فى معركة أمضى أسلحتها الكذب والاستتار والأنانية والتحلل من كل قيد واتخذ " النجاح " صورة حديثة ومدلولا محببا وهو التوسل بكل حيلة للحصول على أعظم كمية من المال الثابت والمنقول ، وبعد ذلك لا يسأل المالك من أين ملك ! ويصبح قوة من قوى الدولة له سائر حقوق العصب والقانون وليس عليه واجب محدود ، ثم توجهت نية الملاك إلى التخلص من أعباء العقار كرها لارتباطهم بالأرض وحبهم فى التنقل ومحو الحدود التى تحد من رغبتهم فى اختيار الإقامة التى تروقهم ما داموا يعيشون بدون أدنى مجهود ، وكانت هذه الرغبة دليلا على انقسام الأمم إلى فريقين ، فريق يكد ويكدح ويواصل العمل فى الليل والنهار رجاء أن يجوز القوت الضرورى وهو الكثرة الطاحنة ، وفريق يلهو ويلعب ويصيد

ويغزو ويستمتع ويمرح وينثر المال وينفقه فيما لم يجعل له وهو القلة المطلقة ، وبعبارة أخرى تجدد الرق برذائله وزالت نعمه التي كانت قرينة له في العصور الأولى ومحيت آية تحرير العبيد ، نسختها آية استعباد الأحرار .

وصار التناسل في الطبقات الفقيرة وسيلة لمضاعفة عدد الأرقاء وتحكمت حاجة الرجل والمرأة إلى إكفاء مطالب الجسد في مقدراتهما وهما يعلمان أنهما إنما يلدان ليزدادا ذلا وليوردا سجل الشقاء ذكورا وإناثا كان أنفع لهم وأجدى ألا يولدوا فونه بنسبة ارتقاء حاجات العصور وتصاعد النفقات واضطرار الفقراء لنزف دمائهم في سبيل ضرورات انسالهم ، كان انحطاط تقديرهم في أعين سادتهم الذين يلدون سادة لمواليد الفقراء الذين يرثون الشقاء عن والديهم .

* * *

ثم تولدت الصناعات الرفيعة وهي حليفة الحرم في الشعوب فافتن الصناع في ابتكار الكماليات التي تخلق العادات الخاصة والعامة ، واخترعت أدوات لمحق الزمان والمكان حتى وصف العصر بأنه " عصر السرعة " وامتهنت المعنويات والروحيات في سبيل رفاهية الابدان واعتلت المرأة من جديد عروش الجمال والشهوة فتحكمت واحتكم اليها الرجال وسودوها فسودت صحائفهم وعبثت بالتاريخ ووضعت بغرفة الشهوات في "قدور" السياسة والمال وصارت لها الكلمة العليا ولأهوائها القول الفصل ولشهواتها المكبوتة والطليقة الأمر المطاع .

* * *

وفي اثناء ذلك انفصمت عرا الأخلاق وطغت الغرائز على النفوس وأفلتت حبال الاعتصام من أيدي القابضين على زمامها وامتد التفكك إلى نظم الدولة واهتزت دعائم السلطة وصار أحق الناس بالمحافظة على السلطة أكثرهم تهاونا فيها واستهانة بها وضعف حرصهم عليها ولما كانت القدوة والتقليد سواء أكانا في الحسنى أم في السوءى من أقوى دوافع الانسان لاتخاذ الخطط ورسم الطرق ، اتخذت التيارات سبل الشر فلها صار الخارس لصا والمؤتمن خوانا والصديق كاذبا والجدير بالاحسان مسيئا سرت رذائل في الطباع سريان النار في الحطب والخمر في أوصال الثمل ، حتى صار الاتباع يستبقون المتبوعين ، وأمسى المقلدون أحرص من المقلدين على انتهاج مناهجهم واقتفاء آثارهم والمشي على سننهم . وما يزال فريق من البسطاء ومحسني الظن بالفطرة البشرية يؤملون صلاحية الأمور ويمنون انفسهم بتقويم اعوجاج الانسانية ويحملون العناية الربانية كفيلة بتحقيق أمانيهم وهم يعلمون أن المرجو صلاحهم قد خالفوا كل الشرائط وحادوا عن سنن الخير والعدل والحق كافة وأن تدخل العناية الالهية لايكون ولا يتحقق إلا اذا توافرت عناصر معينة منصوص عليها وقد تضاءلت تلك العناصر على مدى الأجيال حتى تلاشت .

وكان من أظهر البظائع اندثار العدل وضياع الحقوق وتضخم نكران الجميل حتى كاد يكون معتقدا عند المحسن والمحسن اليه فتولدت الاحقاد واستفحلت الاضغان بين الافراد والجماعات والطبقات والأمم حتى اصبحت تتفاضل وتتباهى وتتيه على من عداها . فكان يقال أمة الرومان سيدة الأمم في الغرب ، وأمة الفرس كبراها في الشرق ، وافتخر العرب على سواهم وكذلك وصف المصريون الأقدمون كل الاجانب بأنهم برابرة . والحقيقة أن الاغريق واليونان والعرب والمصريين والرومان لم تحتفظ باصولها ولم تبق على شيء مما كانت عليه بل طرأت عليها حوادث ألبستها في نظر الرقباء لمدققين ثيابا غير ثيابها كالفتوح والغزو وتقلبات العقائد وتطورات الحضارة وغيرها من الحوادث الجسام التي تتخلل أعمار الجنس البشري فإن الفرنسيس لاتين ، أي رومان بلغتهم ، وأغريق بالمدنية ، ويهود في الدين ، والمصريون حاميون جنسا وساميون لغة ، ومسلمون دينا . وهكذا قل عن كل الأمم حتى الحديثة العهد منها كالمستوطنة قارة أمريكا . فلم يصبح لامتياز الشعب بالارومة والأصل والنسب ( مع أهميته الكبيرة في الوقوف على منشئه ) ما كان له من الشأن قديما وصارت الحوادث الكبرى الطارئة في المقام الأول من الاعتبار . ومن تلك الحوادث حضارة اليونان وفتوح الرومان وغزوات الجرمان وظهور الإسلام والنصرانية وإحياء العلوم وعصور الفلسفة والثورة الفرنسية واكتشاف أمريكا والاختراعات الكبرى والشيوعية فإن هذه الحوادث الكبرى مرت ومازالت تمر على العالم وعلى الجنس البشري كأدوات الطحن والطرس نحو ذلك الامتياز الجنسي وترغم الأسر البشرية على الامتزاج والتجانس لتجعلها أمة واحدة .

*

لقد نجحت الانسانية في إيجاد حلول لخصومات الفردية وإن لم يكن العدل القضائي الذي تجريه المحاكم هو العدل المطلق بل هو مجموعة أحكام نسبية تضع حدا لكل نزاع . ويزعم الذي يزعم أنه مظلوم على قبوله ويبقى دائما أحد الخصمين غاضبا ما لم يتم صلح بينه وبين خصمه يتنازل فيه كل قرين عن بعض حقوقه باختياره ولكن هذا يعد حلا على كل حال .

وعندما عرضت ضرورة تطبيق هذه القاعدة على المجموعات كالأمم والطبقات والهيئات المنظمة فشلت كل الوسائل في الوصول إلى النهاية . وكان آخر مثال للفشل الصارخ عصبة الأمم التي عزمت على تسوية الأمور الدولية بالتحكيم وهو الطريقة القطرية للأفراد من قديم الزمان . وتعزى هزيمتها بحق لعدم القوة القاهرة التي تلزم كل فريق بقبول ما يقضى به . وهذا الإلزام هو الأداة الوحيدة التي أفادت في فض نزاعات الأفراد وكذلك الحروب الأهلية بين الأحزاب السياسية لا تحل إلا بالسلاح . وكذلك خصومات الطبقات كالعمال وأرباب رءوس الأموال وكذلك شكاة الفقراء لا يفصل فيها الفصل الأخير إلا الثورات الدموية وانتزاع السلطان من أيدي المتحكمين ، وبالجملة لم يعد للعقل ولا الأخلاق ولا الحكمة ولا النخوة الانسانية أثر فعال في كبح جماح الطبيعة البشرية المتهيجة . فتكون كل الجهود التي بذلت في التمدين والتهذيب والترويض قد ذهبت أدراج الرياح .

وقد علموا هـذه النزعات العدائية بتيار المادية الجارف الذى طغى على العالم ووحد خونة وخبثاء ومنافقين من الذين لبسوا ثوب العلم والفلسفة ينشئون له مبادئ ترشحه وتدعمه وتعززه وتزكيه، مع أن الواجب يقضى بفحصه والتقليل من اندفاعه و إقامة السدود لحيلولة بينه و بين إيذاء الانسانية، وهاهم يعودون القهقرى و يكتشفون خطأهم بل جرمهم و يندمون عليه ولكن بعـد فوات الأوان ، فقد تهكموا على كل المقدسات وشككوا فى كل الأسس الثابتة وسهلوا للجهـال والمرائين سحق الفضائل والروحيات ومحقها وكذبوا كل ما كان يمكن اتخاذه دعامة للفضل والحق والجمال ولعبوا بمقدرات الانسانية لعب الفيل الغشوم الأعمى بالأزهار الرقيقة فى براعمها .

إن أصحاب الشرائع وحكماء العالم لم يكونوا جاهلين ولا بلهاء عند ما يفضوا الشرور إلى الناس ووعدوهم بخلود الروح وتوعدوهم بألوان العذاب فى الدنيا والاخرة ترهيبا وتخويفا ، إنما فعلوا هذا وذاك ليحدوا من طبيعة الشر فى الإنسان و يقللوا من عنجهيته وخيلائه و يقاوموا من عبثه وعنته واعتـدائه لأنه بفطرته فى غير حاجة إلى التحريض على الشر أو معونته على فتح أبواب الشر على مصراعيه فهو حيوان فى أصـله وتكوينه ونشأته وليس حيوانا وادعا ولا هادئا ولا قنوعا بل حيوان من الضوارى والكواسر والجوارح، وهذا هو الأصل فيه والطارئ عليه هو إرغامه على التزام الهدوء والسكون والاعتـدال والحد من شراسته وكسر شوكته و إلجامه بالحديد لا تسليحه بالحديد والنار، و إطاعه فى كل ما ليس له و إغرائه بكل ما يؤدى إلى هلاكه .

لقـد تكلموا عن التطور إلى الخير و إلى العلا و إلى الرقى الذى لا حد له ولكن الأدلة قامت على نقيض ما ذهبوا اليه الا فى أمر واحد وهو تطوره حسبما تقتضيه حياته المادية فلو أن الانسان لم يهيئ نفسه للتطور وفق الملابسات والظروف التى يعيش فيهـا لا نقرض الجنس الانسانى من قديم فكان لا بد له أن يعد نفسه للتمشى ولكل ألوان التغير والتبدل التى تحدث حوله ، و إلا ما استطاع أن يبقى نوعا قائما بذاته وليست هـذه الحاجة التى تصحبها القدرة سوى ما يلجأ اليه الحيوان لملاءمة الوسط، وهاهو الانسان المفكر والعالم المثقف والكاتب النحرير والخطيب المفوه والمصلح قد وصلوا الى مرحلة من أشق مراحل التفكير والتدبير ، أيرضون أن يصبحوا أرقاء كعبيد فى الشرق والغرب يفعلون ما يؤمرون به و يمتنعون عما ينهون عنه، وليس سادتهم سوى اللصوص الذين يستغلونهم ويذلونهم باسم المجتمع والصالح العام وسير المدنية ، وما هى إلا أسمـاء أسموها لتسهل على هؤلاء السـادة واللصوص الوصوليين التمكن من استعباد الكثرة الغالبة ؟ أم أن هؤلاء المفكرين سيتبوأون مكانتهم المحتومة خداما للانسانية وأساتذة للمدنية أحرارا مكرمين لا يشاركون فى نصب الحبائل التى أعدها النفعيون ؟ . . . لن تستقيم الأمور فى هـذا الكوكب الذى نعيش على قشرته

إلا إذا أصبح لكل انسان نصيب عادل من ثمرات هذه الأرض يشعره بأنه مساهم فى خيراته ولا تستقيم الحياة وتقل وطأة المظالم إلا إذا ضمن للكافة مستوى منصف فى التعليم والتغذية والصحة والكسب الحلال، ولو أن الجهود التى تبذل أيام السلم فى استنزاف دماء الشعوب للإنتاج الزائد عن حدوده، وفى الحرب فى التقتيل والتجريح والتخريب — لو أن هذه الجهود أو بعضها بذلت فى التفكير والعمل لأمكن استغلال قوى الطبيعة كالبحار والأنهار ومنابع المياه والجبال وضوء الشمس وسائر القوى الطبيعية الكامنة والظاهرة وحبسها وتنظيمها لينتفع بها كل كائن ولو اقتضى الأمر رجوع الناس الى العصر الفطرى وهو الركود فى أحضان الطبيعة لضمان العمل والرزق بالزراعة الكثيفة والصناعات الضرورية والتوسع فى إنارة الأذهان، فإنه لا يصد تيار المادة الا الاستعانة بالزهادة الرفيقة والتقشف النبيل لكبح جماح الشهوات والمطامع . أما الاندفاع فيما بدأه العالم منذ مائة وخمسين عاما سواء أكان فى السياسة أو الاقتصاد فهلاك محقق وقضاء على الجنس كله بالتخريب والتدمير وحرمان الكثرة من حقوق تستأثر بها القلة ، ولابد كذلك من الرجوع ولو فى هوادة الى المعتقدات الدينية والارتكان الى مبادئها السامية .

إن الحرب الطاحنة التى يكتوى العالم بنارها للمرة الثانية خلال النصف الأول من هذا القرن إن هى إلا حكم نهائى بإفلاس المدنية وعجزها عن مداواة البشر ومعالجة أمراضهم ونقائصهم ، وعلة العلل فى مدنية الغرب أنها تهالكت على المادة وأسرفت فى عبادتها حتى سادت بين الأمم الغربية مبادئ الجشع والأنانية والظلم . وكان احساس مفكرى الغرب وفلاسفته بنقائص مدنيتهم هذه واضحا منذ نهاية القرن الماضى وتلمسهم أسباب علاجها هو الذى أوحى إليهم استنباط مبادئ وفلسفات اجتماعية جديدة أملوا أن يكون فيها برء عالمهم من المرض وخلاصه من سلطان المادة ومن هنا نبتت الاشتراكية والشيوعية والفاشيستية والاشتراكية الوطنية تحاول كل منها أن تهيئ للناس الرخاء والراحة والسلام . وراحت هذه المبادئ تنازع الديمقراطية سلطانها القديم ولكن العلاج لم يثمر ولم يجنب المدنية الغربية مصيرها المحتوم إذ راحت المبادئ الجديدة تتضارب فى قسوة وعنف تارة مع بعضها وطورا مع الأنظمة القديمة .

فعلة العلل ليست هى الأنظمة ولا وسائل الحكم ولا هى المبادئ الاجتماعية الجديدة بل هى غريزة الشر الكامنة فى الإنسان .

إن خلاص العالم فى رأيى لن يكون إلا إذا خلصت الروح وانطلقت المبادئ السامية على حساب الغرائز الشريرة وراحت الأمم تهذب النفوس وترعى الفضائل التى ابتدعتها الأديان فالعودة إلى الدين وتقديس تعاليمه والعمل بروحه هو علاج العالم من أمراضه . ولست أقصد بالعودة إلى الدين أن نعود إلى التعصب الدينى أو أن نرجع إلى سلطان رجال الدين كما يوشر فى القرون الماضية ، وإنما الذى أرمى إليه روح الدين من حيث المساواة وتقديس الفضائل ما

محمد لطفى جمعه

# اغاثة الملهوف

## لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت

ان إغاثة الملهوف ليست حديثا يسمع ولا خطبة تذاع وإنما هو خلق فاضل كريم ، تتحلى به النفوس الطيبة الطاهرة ، هو خلق يغرسه فى الانسان مجموعة من الخلال الفاضلة الكريمة ، تغرسه الرحمة والمروءة والشهامة .

فالرحمة تحمل صاحبها على أن يتألم لآلام الناس ، ويبكى لبكائهم ، ويشعر بنكبتهم وأثقال بؤسهم والمروءة تحمل صاحبها على أن يخفف الويلات ، ويمسح العبرات ، ويكافح الآلام ، ويدفع الأحزان ، ويحنو على الضعفاء والمنكوبين كما تحنو الأم الرءوم على أبنائها المستضعفين والشهامة تأبى على صاحبها أن يعكف وحده على لذاته ومسراته ، وأن يتمتع بثروته وهناءته ، وهو يعلم أن بجانبه منكوبا أصابته الأيام ، أو جائعا حرمه الجوع لذيذ المنام أو مريضا يتقلب على فراش الآلام ، أو يتيما يبكى أباه ، أو ثكلى فرق بينها وبين وحيدها الزمان .

بهذه الصفات الثلاث ينبغى أن يكون الفرق بين الانسان وغير الانسان ، فإذا كان المرء رحيم القلب ، شهم الفؤاد ، ذا مروءة ونجدة ينبعث إلى إغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، وقضاء حاجة المحتاج ، فذلك هو الإنسان حقا .

أما إذا قسا قلبه ، وخلت من المروءة والشهامة نفسه ، وعاش لنفسه فقط ، لا يعبأ بآلام الناس ، ولا يكترث لمصائب الناس ، ولا يساهم فى تخفيف الويلات ، فذلك عند الله وعند الناس وحش ضار فى صورة انسان .

إن الرجل الذى لا تؤثر فى نفسه مناظر البؤس ، ولا ضحايا الفقر لهو رجل فظ غليظ قد من الحجر الصلد ، وصيغت من الصلب الجامد أعصابه .

إن الرجل الذى لا يكون همه فى ليله ونهاره إلا أن يحسب حساب دخله وخرجه ، ولا تحدثه نفسه فى ساعة من ساعاته عما ينبغى أن يحسن به أو يتصدق ، لهو رجل غير جدير بإنسانيته ، غير جدير بأن يعيش بين الناس كأنه واحد منهم ، وإنما مكانه الذى يجدر به ، أن يكون بين الوحوش الضاريات فى جبل أو فلاة .

إن الانسان هو الذى يرحم ، هو الذى يحس ويتألم ، هو الذى يغيث الملهوف ، هو الذى يهدى الحيران ، هو الذى ينقذ الموروط ، هو الذى ينهض العاثر ، هو الذى يحمل الكل ويحنو على الضعيف .

قد أيد الله فى كتابه الكريم هذا المعنى الشريف وحض على إغاثة الملهوف وسد حاجة المسكين ، وتفريج كربة المكروب ، وجعل ذلك فى كثير من الآيات قرين الإيمان ونظير الصلاة ، وسبب الغنى واليسار ، وطريق النجاح والفلاح .

اسمعوا قول الله فيمن لايحض على طعام المسكين ، ولا يسد حاجة المحتاجين ، وكيف اعتبرهم من المكذبين بالدين الذين لاتنفعهم صلاة ولا خشوع :

"أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ" .

اسمعوا قول الله ، وهو يعتبر أن سد حاجة الفقير ، واغاثة الملهوف ، فى يوم المجاعة هو العقبة الوحيدة التى اذا اقتحمها الانسان ، وصل الى سعادة لا يشوبها تنغيص ولا ألم :

"فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ" .

واسمعوا قول الله فى أرباب الأموال الذين يحبون المال حبا جما ، ثم لاتهزهم نحو الفقير عاطفة :

"كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ" .

ثم تعالوا واسمعوا تنويه القرآن الكريم بشأن أرباب المواساة ، والإيثار :

" وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فى صُدُورهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس رءوفا رحيما ، يصل الرحم ، ويحمل الكل ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، ولم تكن رحمته صلى الله عليه وسلم خاصة ببنى الانسان وإنما كان يرحم الحيوان الأعجم ، ويوصى أصحابه برحمته ، وبلغ من أمره فى ذلك أنه كان يميل الإناء للهرة بيده الشريفة حتى تتوى ثم يرفعه ، وروى عنه أنه قال مامعناه "أن مرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها ، ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض"

وحدث أصحابه يوما فقال " بينا رجل يمشى بطريق اشتد عليه الحر ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل ، لقد بلغ هذا الكلب من العطش ، مثل الذى كان بلغ منى ، فنزل الرجل البئر فملأ خفه وأمسكه بفيه حتى خرج من البئر فسقى به الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، فقالوا يارسول الله ، وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ فقال فى كل كبد رطبة أجر"

وقد صور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف الذين يمنعون المعاون ويقطعون عن مواساة الناس حين يعرضون على الله رب العالمين بصورة رهيبة ، تفزع منها النفوس المؤمنة ، اسمعوا الرسول وهو يقول فى ذلك " ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يابن آدم مرضت فلم تعدنى ، فيقول ابن آدم يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، فيقول الله : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما أنك لو عدته لوجدتنى عنده ، يابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ، فيقول يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ، فيقول الله : أما علمت ، أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه ، أما أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، فيقول ، يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال ، استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى "

بمثل هذا كان صلى الله عليه وسلم يغرس فى نفوس أصحابه الشفقة والرحمة والتعاون ، والإيثار وإغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، ولذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم مثلا عليا فى البر والرحمة والايثار ، ومما يروى فى ذلك أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه

وسلم ، فقال يارسول الله إنى مجهود ، فأرسل النبي الى بعض نسائه ، يسألها هل عندها طعام ، فقالت لا ، والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، ثم أرسل الى أخرى من زوجاته فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك ، لا والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار أنا يارسول الله فانطلق به الى رحله ، فقال لامرأته أكرمى ضيف رسول الله ، ثم سألها هل عندك شيء فقالت لا ، إلا قوت صبيانى ، قال فعليهم بشيء ، واذا أرادوا العشاء فنوميهم ، واذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج ، وأريه أنا نأكل معه ، ثم قعدوا ، فأكل الضيف ، وباتا طاويين

وبعد ، فكم هم الذين يتخلقون بأخلاق الإنسانية الفاضلة ، وأخلاق الرسول الكريم ، وأخلاق صحبه الأماجد

إنى لأتخيل القراء الآن ، واستعرض صورهم ، وأحوالهم ، فأجد لهم أحوالا مختلفة ، وصورا متباينة :

هذا قارئ قدجلس على فراشه الوثير هادئ النفس مطمئن القلب ، يحيط به من نعمة الله ، ألوان وألوان ، ومن حوله أبناؤه ، وبناته ، وشريكته فى حياته ، ترفرف عليهم أعلام النعيم ويسرى فى جوهم نسيم الصفاء ، فاذا كنت أيها القارئ هكذا ، فإنى أبعث بتهنئتى اليك وأرجو من الله أن يزيدك متاعا ونعيما ، ولكنى أرجو منك أيضا أن تذكر وأنت فى نعيمك السابغ أن قوما من بنى وطنك يعيشون فى ظلال الفاقة ، وتحت جناح الذل ، يفترش أحدهم الأرض ، ويلتحف السماء ويتعرض للأجواء والأنواء ، والأعراض والأمراض ، أرجو منك أن تذكر حين ترى أبناءك من حولك ، بارك الله لك فيهم ، وجنبك وإياهم أحداث الزمان ، أن الليل ينطوى على آباء وأمهات قد أخذ الفقر بتلابيبهم وأمسك العدم بخناقهم ، ومن حولهم أطفال كصغار القطا يتضورون جوعا ، ويتلوون ألما وقد تفشت فيهم الأسقام وتعرت منهم الأجسام ، وتحالفت عليهم الليالى والأيام ، اذكر وأنت تداعب ولدك ، أن أطفالا من بنى وطنك ، كانوا بالأمس بين أحضان آبائهم ناعمين ، وهم اليوم فى كنف الضياع ، يذوقون آلام اليتم والتشريد ولا يجدون من يطعمهم اذا جاعوا ولا من يكسوهم اذا تعروا ، ولا من يمسح دموعهم اذا بكوا متوجعين :

وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا “ .

اذكرى أيتها الزوجة السعيدة ومن حولك زوجك وأبناؤك أن أما هى أختك فى الدين والوطنية قد أفزعها الفزع ، فخرجت تهيم على وجهها ، وتتعثر فى حيرتها ، وقد ذهلت من هول ما أصابها حتى اذا استفاقت من هذا الفزع نظرت فاذا هى أرملة ، قد فقدت زوجها ، و إذا هى ثكلى قد حرمت وحيدها ، واذا هى مشردة قد تهدم بيتها ، واذا هى مضيعة قد سلبت مالها ومتاعها .

أذكروا ذلك أيها السعداء المترفون ، واشكروا الله على ما حباكم به من فضل ، وما أنعم عليكم به من إحسان " لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " ، ولايكن شكركم كلمات تلوكها الألسنة ، وتمصمص بها الشفاه ، أو حسرات وزفرات ، وانا لله ولا حول ولا قوة الا بالله . . ! فهذه رحمة سلبية ، لاتفيد الفقراء ولاتنفع المنكوبين ، ولا تسد رمق الجائعين ، وانما تفيدهم الرحمة الايجابية والاغاثة العملية ، انما يفيدهم أن تسرى فى بيتكم روح المروءة والشهامة والنجدة والغوث ، فيتبرع الأب فى الحال بكذا وتتبرع الأم بكذا . ويتبرع الأبناء والبنات بكذا . هذه هى الرحمة التى تفيدهم فهل أنتم لها فاعلون ؟

هـذه إحدى صور القراء الى وأنا أناجى فى " اغاثة الملهوف " و إنى لأتخيل الصور الأخرى فماذا أرى ؟ !

أرى جماعة فى ناحية أخرى قد اجتمعت فى عناية واهتمام الى مائدة خضراء ماذا يصنعون ؟ يلعبون البوكر وينفقون فى سبيله الأموال الطائلة . وجماعة ثانية تلعب النرد وثالثة تلهو بسباق الخيل . ورابعة بألوان من اللهو والعربدة والفسوق . . وإليهم جميعا :

أيها السادرون فى غفلتهم ، الممعنون فى لهوهم ، المسرفون فى لذتهم ، على رسلكم قليلا فإن البلاد مهددة بالجوع والخوف ، والنقص فى الأموال ، والأنفس والثمرات . على رسلكم قليلا فإن البيوت العامرة تخرب ، و إن الأرواح الزاكية تزهق ، و إن الأسر المجتمعة تمزق ، و إن أفاريز الشوارع تعج فى هذا الليل المظلم باللاجئين الحائرين .

أنتم فى نواديكم لاهون . وفى شهواتكم وشرابكم ولذاتكم غارقون . وفى البلد أناس لا يسكنون دارا . ولا يعرفون لأبنائهم وأنفسهم قرارا . فهم فى يومهم حائرون . ومن غدهم قد أوصدت فى وجوههم أبواب الأمل . وأظلمت أمام أعينهم أيام الحياة .

اهجروا هذه النوادى ولو مؤقتا ، وجربوا الاحسان الى هؤلاء ، جربوا الرحمة و إغاثة الملهوف . جربوا لذة البر بالفقير . أدخلوا السرور على اليتيم . خففوا الويلات عن الحيارى فإنكم ان فعلتم ذلك تذوقتم اللذة الحقيقية ، وأرحتم ضمائركم ، وأرضيتم ربكم . وأنقذتم وطنكم وأديتم واجب انسانيتكم .

إن دعاء الملهوف الذي تعينه يا صاحب المروءة ليطعد الى الله تكاد تبصره عيناك . وتلمسه يداك . إن كلمة الشكر يتتر بها ثغر مسكين ، أو يتلعثم بها لسان مريض ، أو تحرك بها شفتا مجهود لأشهى وأعذب عند ذوى المروءة والانسانية من نغمات الغناء ورنات المزاهر والأعواد .

أيها السادة : لست أدعوكم الى الرحمة : وإغاثة الملهوف باسم الدين أو الانسانية فقط ولكنى أدعوكم أيضا إليها باسم المصلحة العامة للوطن . وباسم مصلحتكم الخاصة . انكم بالاحسان الى الفقراء تحفظون للبلاد من طغيان الأفكار الخطرة ، والمبادئ الضارة بالمجتمع . انكم بالاحسان تستلون الضغائن من القلوب ، وتذهبون الأحقاد من الصدور . وتستجلبون لأنفسكم سعادة الرضا والثقة والمحبة . والتعاون الصادق ، والطمأنينة على النفس والمال .

واعلموا أن الكثير يضاع بالقليل ، وأن الأرواح تفدى بالأموال ، وأن صنائع المعروف تقى مصارع السوء .

أيها الأغنياء : أيها السعداء ، أيها الرجال والنساء ، هلم الى اغاثة الملهوفين ، هلم الى انقاذ المنكوبين ، هلم الى المسريح عن المكوبين ، هلم الى أجابة داعى الانسانية . وداعى الدين ، ودعى الوطن ، وداعى المصلحة الذاتية وارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء

محمود شلتوت

---

قال العباس بن مرداس :

قد اقضت العقول أن شنشه ... على الصديق والعدو صدقه

ومن أعث الناس للمجود ... أغاثه الله إذا أخيفا

وإن من شر الخلق العنو ... العطف فى البؤس على العدو

# ميزانيتنا القومية

## تدعو إلى الأمل والتفاؤل

بقلم الأستاذ سيد قطب

نشرت صحيفة البلاغ فى العهد الأخير ترجمة مسلسلة لكتاب فرنسى عنوانه "حقيقة النكبة الفرنسية" . وقد لفت نظرى فيه، وهو يصف الحالة التى كانت عليها فرنسا قبل الهزيمة ، ويعلل أسباب الكارثة التى لم يكن أشد الناس تشاؤما يتوقعها لهذه الدولة ... لفت نظرى أن حالة نفسية خاصة كانت تستولى على بيتان وفيجان وبدوان وغيرهم من رجالات الدولة تتلخص فى اعتقادهم أن كل شىء فى فرنسا قد فسد ، وأن كيانها الخلقى والدينى قد انحل ، وأن الكارثة وحدها هى التى تنهضها من كبوتها وتطهر فؤادها من الأدران ، حتى لقد بات هذا الفريق وهو يتمنى الهزيمة الساحقة القاصمة ، ويفرق من النصر خشية أن تظل فرنسا على ما هى فيه من الاستهتار والعكوف على اللذات .

وبينما كان "بول رينو" رئيس الوزارة ومسيو "ماندل" وزير الداخلية يحاولان استنهاض العزائم ويعقدان مع بريطانيا اتفاقية بعدم عقد صلح منفرد ... بينما كان "بول رينو" يلقى خطبته المفزعة ويصرخ فيها : "إننى أومن بالمعجزات لأننى أؤمن بفرنسا" وبينما كان "ماندل" يؤكد فى أحاديثه "أن فرنسا لن تخون عهدها وان تنكث باتفاقيتها"... كان "فيجان" و"بيتان" ومن معهما يبثون روح الهزيمة ، ويشيعون الشعور بالضعف ، ويفرضون الكارثة على أمتهم فرضا تحت تأثير تلك الحالة النفسية التى أشرت إليها آنفا .

وقد أخذت خطب "بيتان" الشيخ منذ ذلك الحين تنضح بهذه الروح ، لقد اعتقد أن الله كتب على فرنسا الهزيمة فى هذه المرة لتذوق العذاب وتجرع الغصص فتطهر روحها ويستيقظ ضميرها ، وكان قد تشاءم كل التشاؤم مما هى فيه ويئس من صلاحها عن غير هذا الطريق الأليم ؛ فلما وقعت الكارثة بالفعل بعد أن عمل لها هو والقائد العام للجيش الفرنسى أخذ يلقى تصريحاته وخطبه ويضمنها مواعظه وحكمه ، وانقلب واعظا فى كنيسة لا رئيسا للدولة . ويخيل إلى بل إننى لأكاد أعتقد أنه استراح واطمأن بعد هذه الهزيمة الشنعاء مخلصا فى راحته واطمئنانه ، لعقيدته ولشعبه !

كم فينا اليوم من أمثال بيتان وفيجان ممن يعتقدون كعقيدتهما ويتشاءمون كتشاؤمهما ويتمنون لمصر كارثة قاصمة تطهرها من أدرانها ومفاسدها ، وتردها متدينة متنطسة ، وتعيد عليها ماضيها من التقوى والصلاح ؟

فينا كثيرون جدا، وذلك من أخطر الأمور .

وبعض هؤلاء الذين يجهرون بالتشاؤم من حاضر مصر ومستقبلها، ويئسون من صلاح حالها إلا عن طريق العذاب والآلام غير مخلصين فيما يجهرون ، ولم تدفعهم إليه فكرة عليا ولا رغبة فى خير البلاد ولكنها نقمة على الأمة أو الدولة لأنها لم تحقق لهم مطامع وغايات فردية يرونها كل شىء فى عالمهم الضيق المحصور .

فلعل أحدهم أن يلقاك يتسخط على الشعب والحكومة، وينثر على سمعك ألفاظ السباب للزمن والكون لأن مغنما شخصيا فاته، أو لأن مطمعا حقيرا لم يتهيأ له، أو لأن درجة أو علاوة أو صفقة منعت عنه ... إلى آخر هذه التفاهات .

بل لقد سمعت ساخطا يتسخط لأنه تبع سيدة فى الطريق يعاكسها ، فإذا بآخر من إخوانه يعاكسه فى هذه المعاكسة ويفوت عليه الصيد ! . ولم يفته أن يعد هذا من انقلاب الزمان وسوء النظام، ودلائل الانحطاط فى الأمة، وأن يتنبأ لها بالويل والثبور كى يتصلح الحال ويستقيم المآل ! ! !

وأمثال هؤلاء لا يستحقون الحديث، ولكن الشىء الخطر أن بجوارهم جماعة مخلصة من الساخطين المتشائمين على ما فى هذه الأمة من عيوب حقيقية ونقائص واقعة ، غير أنهم متحمسون فى رغبتهم الإصلاح المعجل ، شديدو الحساسية بالعيوب والنقائص . وهؤلاء تدفعهم شدة حساسيتهم وحرارة حماستهم إلى تجسيم العيوب وتضخيمها كما تدفعهم شدة الرغبة فى الإصلاح السريع، الى إنكار الإصلاحات البطيئة واليأس من جدواها فيرسلون صيحات الفزع والتشاؤم ويخلقون حولهم حالة نفسية كالحالة التى أودت بفرنسا .

فأنت لا تفتأ تسمع أن الكيان الخلقى للأمة قد تحطم وانهار، فالشبان والفتيات والرجال والنساء يعيشون فى بوهيمية لا تفيق، واستهتار لا يتورع؛ وقد فسدت البيوت وتقوضت أسسها وانتهكت حرماتها وأخل فيها كل حرام، وها هى ذى البلاجات تعج بالجسوم الرخيصة والحفلات تنضح بالخزى والإثم والمواخير تقذف بالرجس والفضيحة ، فلم يبق إلا أن تحل بهذه الأمة كارثة قاصمة كى تحيق من هذا الخمار وتثوب إلى الرشد والصواب !

وأنت لا تفتأ تسمع أن المحسوبية تفسد كل أعمال الدولة وتمشى فى كل مرافق الأمة. ويبالغ المتشائمون فلا يكون ركنا واحدا ولا شخصية واحدة لا تنالها الريبة من هذه الناحية ولا ترتفع فوق مستوى الشبهات، فلا بد إذن من كارثة قاصمة تأكل الأخضر واليابس وتحطم هذه النظم الفاسدة وترد الى الأعمال سيرتها النظيفة !

وأنت لا تفتأ تسمع التهما والتشنيعات تكال كيلا للزعماء ورجال الحركة الوطنية ورجال المال والأعمال وكل شخصية بارزة أو رأس كبير ، بحيث تعتقد أن هؤلاء جميعا تجار مرتزقون مرتشون موبوءو الخلق والضمير ، فاسدو النية والسريرة ، مشوهو العرض والشرف... فلا بد إذن من كارثة قاصمة تعصف بهؤلاء جميعا، وتنبت للامة غيرهم نباتا طيبا !

فإذا فرغت من هذا كله فأنت أمام اتهام لكل شيء مصرى... للبضاعة المصرية وللدواء المصرى ولبيوت العمل المصرية ، وللاستعداد العقلى والعلمى كذلك . فلا ثقة ولا أمل ولا إيثار لهذه "المصريات" كلها على نظائرها الأجنبية ... ثم — مع ذلك — شكوى من هذه الحالة نفسها ونعى على المصريين أنهم لايثقون بالمصريين ؟

* * *

كثير مما يقال صحيح ولا ريب ، ولكن كان لا بد أن يكون ! فقد توالت على مصر أحداث وعهود لو توالت على غيرها لذهبت من الوجود ، ولكن مصر صمدت لها ، واحتفظت مع ذلك بكثير من فضائلها ، وهى فضائل أساسية ثابتة عميقة توحى بالأمل وتشعر بالرجاء .

وكثير ممن يسخطون ويتبرمون مخلصون — كما قلت — فى سخطهم وتبرمهم ، وللسخط قيمته فى الإصلاح بل هو طريق الإصلاح ، ولكنهم مبالغون فى هذا السخط ، متحمسون فى تصوير النقص ، مخطئون فى التشاؤم واليأس .

ومن واجب المصلح أن يسخط على المفاسد ويثور على النقائص . ولكن من واجبه كذلك أن تمتلئ نفسه بالرجاء فى الإصلاح ، ويفيض صدره بالثقة فى النهوض ، فيهب الظهور بسياط السخط ولكن يلوح للأنظار بحلوى الأمل . خيفة أن تشيع فى النفوس روح اليأس فتفهم — كما فهم بعض زعماء فرنسا — أن الكارثة وحدها هى سبيل الخلاص !

* * *

ومن طبيعة النفس الإنسانية أن تحن إلى الماضى وأن تنسى معايبه وتتصوره فى صورة جميلة ، وأن تتطلع إلى المستقبل وترجو فيه الآمال البعيدة . أما الحاضر الماثل بكل ما فيه من خير وشر ، فمن عادة النفس أن تنظر إليه بعين أخرى وأن تجسم نقائصه وتنسى محاسنه ، وتنعى عليه هذه النقائص المجسمة ولا سيما من رجال الجيل الماضى وسياداته ، الذين يجدون أنفسهم فى جو غير جوهم ، وفى عهد تفلت السلطة من أيديهم فيه لتنتقل إلى أيدى الجيل الجديد !

وكثيرا ما نسمع أن الزمن قد فسد ، وأن الأمة تتأخر ولا تتقدم ، وأنها تفقد فضائلها شيئا فشيئا ، وأن الخير والبركة يضمحلان رويدا رويدا ... إلى آخر عبارات التسخط على الحاضر والترحم على الماضى .

فهل هذا كله صحيح ؟

لا شك فى أننا فى صراعنا مع الزمن والحياة ، وفى تأثرنا بتقلبات الاجتماع والسياسة قد خسرنا فى المعركة ما لا بد من خسارته ، ولكننا كذلك كسبنا ، ومن الإنصاف ونحن

نرسم صورة عامة لموقفنا أن نضع الأرباح بجوار الخسائر، وأن نقدم ميزانيتنا لأنفسنا على هذا الأساس .

ولنذكر لذلك بعض الأمثال فى نصف قرن من الزمان .

* * *

نبدأ بموقفنا الوطنى والسياسى . ومما لا شك فيه أننا كسبنا فى هذا الموقف كثيرا، فانتقلنا من حالة ذهول وطنى إلى حالة يقظة قومية مهما قيل فيها من العيوب فهى عيوب اليقظة، وانتقلنا من وضع سياسى معين تحت الاحتلال والحماية الى وضع سياسى آخر معترف لنا فيه بالاستقلال والسيادة ؛ ومهما قيل فى حقيقة هذا الاستقلال فهو استقلال ؛ والزمن كفيل بتثبيته وحماية مظاهره ودعائمه .

ومن الغبن لأنفسنا، بل من الجريمة، أن نطلق ألسنتنا بإشاعات مشكوك فيها على الأقل، تزعزع من قيمة هذا الاستقلال فى نفوس الأمة وتقعدها عن الدفاع عنه ، وتشعرها أن فقده لا يعد خسارة حقيقية ، فمثل هذه الروح تدعو إلى اليأس والاستسلام بإزاء ما يهدد كياننا من الأخطار ، فوق ما تبثه من روح القلق العام فى ظروف نحن أحوج فيها الى الاستقرار .

والذين يطلقون هذه الإشاعات ، و يصورون موقفنا السياسى العام تصويرا قاتما . يدفعون بنا إلى هذا المصير مهما افترضنا فى نفوسهم من الإخلاص ، وفى عقيدتهم من النقاء فكيف تكون الحال إذا كانوا ينظرون للمسألة من وجهة شخصية ، و يعملون لمغانم وأرباح عن هذا الطريق الشاذ ؟

* * *

ثم لنتناول موقفنا الاقتصادى والمالى بعد ذلك . فنحن نشكو من الفقر المدقع الذى يخيم على ربوع البلاد ، ونشكو من سوء توزيع الثروة بين الأفراد . وهذا وذلك صحيحان ولا بد من العمل السريع الحاسم لعلاجهما .

ولكن هذا ليس معناه أننا اليوم فى موقف أسوأ مما كنا عليه منذ نصف قرن ، ولسنا نسير القهقرى فى هذا المجال ، بل نحن على الرغم من كل شىء نسير إلى الأمام ، ولكن بخطوات بطيئة يجب استحثاثها والإسراع فيها مع الأمل والرجاء .

فقبل نصف قرن كان الفلاح يعانى ما يعانيه اليوم من فقر أسود كالح ، ولكنه كان يعانى بجانبه السخرة للمشروعات العامة والجلد بالسياط لأداء الضرائب التى لا نظام لها ولا ميعاد ، وكان العامل يجهل كل حقوقه ولا يهم أحد أن يعترف له بها .

فها نحن أولاء قد قطعنا مرحلة كبيرة بخطواتنا البطيئة، فالضريبة منظمة و إن احتاجت إلى التطور والتعديل ، والسخرة ممنوعة ، وللعامل حقوق معترف بها و إن لم تكن كاملة ؛ وما هى إلا أن تثمر الدعوات الجديدة ثمرتها فى كل ذلك حتى يتبين الكسب على حقيقته ونعرف مقدار ما سرنا إلى الأمام .

فاذا نظرنا إلى الجانب الاجتماعى ، هالنا لأول مرة ما لحق كيانه من الاضطراب وقواعده من الاهتزاز فى النواحى الخلقية على الخصوص. ولكن هذا الاضطراب على ما فيه من شر ، لم يكن شرا كله .

وهو على أية حال لم يكن خاصا بمصر حتى نفقد ثقتنا بها وننفض أيدينا من إصلاحها ، فلقد أصيب الكيان الاجتماعى بهزة عنيفة فى العالم كله لحقنا صداها بعدا لحرب العظمى . ونحن نجتاز الآن فترة انتقال ولا بد فيها من تضحيات ، ولا بدأن يقع الكثيرون والكثيرات صرعى فى زحمتها ، ولكنها تضحيات لن تذهب هباء .

وقد كنت معنيا على الدوام بمراقبة خطوات هذه الهزة فى كياننا . وأعتقد أنها بلغت ذروتها حوالى سنة ١٩٣٣ ثم أخذت حدتها فى التناقص ، ونحن اليوم أقرب إلى الصحة مما كنا فى ذلك العام .

فتميع الشبان وتخنثهم وبعدهم عن الاشتغال بالمسائل العامة وانطواؤهم على نفوسهم الصغيرة . كل أولئك كان أوضح ما يكون فى الفترة التى تلت ركود الثورة من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٣ . وهى فترة قصيرة جدا كلمح البصر . وقد أخذت حدة هذه الحالة تفتر كما قلت منذ استعاد الشباب بعض وثباته فى مشروع القرش وعيد الاقتصاد القومى وثورة سنة ١٩٣٥ وفيها قبس من الثورة الكبرى. ثم تلا ذلك ما نراه اليوم من اشتغال الشبان والشوب بالإصلاح الاجتماعى و بالمشروعات الاقتصادية ، ومن اهتداء شباب الجيل إلى كثير من رجولته فى هذه الخدمات العامة .

وليست اليقظة الاجتماعية التى نحس تيارها فى كل الأوساط بالمكسب اليسير الذى يجوز إغفاله فى الحساب العام .

ومهما نبتئس لحال الفلاح والعامل ، فإن لنا أن نستبشر بالاهتمام البادى بشأنهما فى عالم الأفكار والأعمال ، فهذا الذى كان ينتظر أن يتصدى كبار رجال المال والأعمال كدولة صدقى باشا وسعادة أحمد عبود باشا للحديث عن الغلاء المصطنع وما يلقاه الفقراء من جرائه فى المدينة والريف .

لقد قرأت فى حماسة وسرور كلمة عبود باشا بالأهرام تلك التى يقول فيها :

"أود أن أنبه على صفحات "الأهرام" الغراء الى الضائقة المزعجة — ولا أكون مسرفا إذا قلت الخطرة — فى الريف وقد شاهدت مظاهرها المحزنة بعينى رأسى فى أيام العيد القليلة التى كان فى مرجوى أن أقضيها فى " أرمنت " للاستجمام والراحة .

"لقد كنت — ككثيرين غيرى من سكان الحواضر — أغدو وأروح من بيتى الى عملى غير مشاهد شيئا من آيات الضنك والفاقة المدقعة التى يعانيها سواد الأمة — وكنت ربما خطر لى ، أن فيما تكتبه وتصفه صحفنا بعض المبالغة . فلما صرت فى الريف ونظرت بعينى وسمعت بأذنى ، هالنى ما رأيت .

"رأيت شبانا فى ريعان الشباب يسقطون مغشيا عليهم من الجوع .

ورأيت الذى يقتنى بضع دجاجات ينتفع ببيضها يحملها الى السوق و يبيعها بيع المضطر بالوكس والبخس ليعود بدراهم قليلة يشترى بها بعض الذرة له ولعياله .

"ورأيت طالب الذرة يحتال لجمع ثمنها المقرر فى التسعيرة ثم يعييه الحصول عليها بعد الذى تكلف من العناء والتضحية، لأن الذى عنده الذرة يأبى إلا أن يبيعها بثمن فاحش لاتقره — ولا يمكن أن تقره — أية تسعيرة .

"والخلاصة — بلا حاجة إلى الإفاضة — أن الجوع فاش فى الأقاليم وأنه يستوجب أن تتخذ الحكومة من التدابير أحزمها وأسرعها وأولاها بأن تجنى الأمة ثمرته المنشودة .

"ولست ممن يجمح بهم الخيال، ولكنى ممن يستطيعون أن يروا نهاية الأمور من بدايتها. و إنى أقرر بأعلى صوتى أن حالة الأرياف تستوجب المبادرة إلى اتخاذ إجراءات تنطوى على منتهى الحزم و إلا ساءت العاقبة .

" إن الفلاح يعمل و يكد — إذا وجد العمل — ولا يجزى على عمله إلا اليسير الذى لا يكفيه وذويه للحصول على الكفاف فى هذه الأيام .

"ودخله كله — اذا عمل فى أيام السنة كلها — لا يكفيه لطعامه ، فضلا عن غيره فى الظروف الحاضرة .

"وقد أعملت الفكر وأنعمت النظر ، فلم أر علاجا يجدى فى هذه الظروف المستعصية إلا أن تتولى الحكومة أمر القوت فتستولى على مواده الضرورية وتتولى هى بواسطة ممثليها — لا بواسطة التجار — توزيعها على الأهالى ؛ وممثلوها كثيرون فى عواصم المديريات والمراكز والقرى .

" وحتى هذا لا يكفى ، فإن كل مزيته أن تباع مواد القوت بالأسعار المقررة ولكن الأسعار تفوق طاقة السواد الأعظم فى الأرياف . ولهذا أعود فأكرر اقتراحى أن تبيع الحكومة مواد الطعام للأهالى بأقل من الأثمان المقررة فى التسعيرة — أى بالأثمان التى تدخل فى طاقة الشعب .

"وقد يسأل القارئ عن الفرق من يدفعه ، وجوابى أن التضحية لازمة فى مثل هذه الأيام العصيبة ، وأن الحكومة ينبغى أن تحمل بعض الفرق اذا لم تستطع أن تحمله كله ، وعلى الأغنياء والموسرين من أبناء مصر المتجين أن يتحملوا نصيبهم من الغرم فى سبيل الأمة وأمنها واستقامة احوالها .

"واذا كان هناك من لا يسهل عليه أن يدعى إلى التضحية فى سبيل إطعام الأمة ووقايتها غوائل الجوع ، فإنى أقول له إن من حماية ماله أن يضحى بما يطمع فيه من ربح وأنه يفتدى بالقليل الذى يعوض ، الكثير الذى لا يعوض .

"هذا اقتراحي على الحكومة والموسرين وأنا أناشدهم جميعا، بإخلاص و إلحاح، أن يتعاونوا على التخفيف عن الأمة . وأكتفي بهذا القدر من التنبيه — وقد كان حسبهم منبها ما آثره جلالة الملك في رمضان من إطعام الفقراء في كل إقليم وفي العدول عن دعوة الوجهاء والأعيان والكبراء الذين لا ينقصهم الطعام" .

ومهما قيل في بواعث مثل هذه الصيحة ، من أنها تحذير للأعصاب من رجال المال حتى تفهم الطبقات الفقيرة أنهم معنيون بشأنها فلا تنهض هي للمطالبة بحقها ولا تيأس من إنصافها — مهما قال سيئو الظن مثل هذا القول، فمن لنا أن نسجل هذا الانتصار في ميدان الخدمة الاجتماعية وأن ننظر إليه بعين التفاؤل ونعده خطوة كبيرة في سبيل الإصلاح الاجتماعي المنشود .

* * *

وأما في الناحية الصحية فقد تقدمنا تقدما يذكر في جانب العلاج و إن كان يفسد علينا هذا التقدم تقصيرنا في جانب الوقاية ، وقد عمل نظام الري الدائم عمله السيئ في نشر الأمراض المتوطنة و إضعاف تربة الأرض على السواء ؛ لأننا لم نحتط له بنظام الصرف المناسب و بالأعمال الصحية الواقية من العدوى للفلاحين ، ولكن ها نحن أولاء قد تنبهنا أخيرا ، ولا تزال الأبحاث تحاول الاهتداء إلى أفضل طرق الوقاية للفلاح وللأرض جميعا .

وأما النهضة الأدبية والعلمية فما لا شك فيه أنها سارت بخطوات سريعة . ومهما يكن في بنائها من الخلل والنقص، فلا سبيل للظن بأننا نتأخر ولا تتقدم في كل اتجاه . ولا حاجة هنا لضرب الأمثال .

* * *

والخلاصة أن ميزانيتنا القومية والاجتماعية والعلمية لا تدعو إلى اليأس والتشاؤم، بل هي على الضد تدعو إلى الأمل والتفاؤل ، ومن واجبنا ولا ريب أن نكشف عن مواطن النقص وأن ندعو في كل يوم إلى الكمال، وأن نتعلم السخط على الواقع وأن نتطلع إلى مستقبل جديد .

ولكن ينبغي أن يتم ذلك كله دون المساس بإيماننا الوثيق بمصر و بما فيها من عناصر الخير والقوة ، ومن بذور الحق والجمال ، ومن دعائم الإنشاء والبناء .

فتصوير الواقع باللون القاتم و إشاعة اليأس في النفوس من كل إصلاح عمل خطر له نتائجه الوخيمة، وأمامنا مثل من هذه النتائج في فرنسا المسكينة التي ابتليت في محنتها برجال — مهما قيل في إخلاصهم — فإنهم فقدوا إيمانهم بوطنهم وضعف رجاؤهم فيه ، فتمنوا له الكوارث على أمل أن تصبح عاملا من عوامل البعث والإنهاض ، وكانت النهاية هي هذه المأساة المحزنة الأليمة ٦

سيد قطب

# المصريون المنسيون

حب هذا الخبر الذى قرأت فى صحة الاثنين الأسبوعية خبرا هزنى هزا شديدا ، وفحواه أن سيدة مصرية من عائلات الذين ماتت أخيرا ووجد فى وصيتها أنها تتبرع بمبلغ مليون جنيه تركى للجيش الوطنى فى دولة حبشية ولا تتبرع بمليم واحد لخزانة المصرية ولا للأعمال الخيرية المصرية

وهذا الخبر يؤذى شعور وطنى بل الشعور الإنسانى . لكثيرون من المصريين — عن طريق قانون الجنسية ممن لا يجرى الدماء المصرية فى عروقهم — يتمتعون بخيرات مصر وعرق أبنائها ودمائهم ، و يتمتعون بها لتحصر كل الانتفاع ؛ ولكنهم لا يحبون المصريين ، ولا يشاركونهم شعورهم ، فيعيشون بمعزل عنهم ، وكأنهم شعب آخر فى داخل الشعب .

وهذه روح حبشه - بلا شك — لا تتناسب مع كرم مصر فى معاملتهم وتسامحها مع نزلائها و متجنسين بجنسيتها ، ولكن وصفها بالخبث لا يعود على مصر بفائدة عملية ، فلا بد من تصرفات عملية تحفظ لمصر — فى مثل هذه الحالة — أموالها المستقطرة من دماء أبنائها .

وقد شرع كثير من الدول قوانين بعدم إخراج النقود ، ولا نريد أن نشير — مؤقتا — بسن قانون عام من هذا النوع . قد لا يكون موقف البلاد المالى والاقتصادى مستعدا لاحتمال نتائجه ، ولكن يمكن مع هذا سن تشريع يتناول مثل هذه الحالة التى تقدم ذكرها ، فيحد من سوء تصرف أصحاب الأموال .

ومما يذكر بهذه المناسبة أن قانون ضريبة التركات لا يزال يتعثر فى خطاه منذ عامين ، ويفوت على الخزانة العامة أموالا طائلة هى فى أمس الحاجة إليها لتكسب شيئا من المرونة أمام المطالب الملحة التى تنوء بها ، فضلا على أن هذه الضريبة أعدل الضرائب جميعا ، ولو كان هذا القانون قائما لرد إلى المصريين جزءا من أموالهم التى تتسرب إلى خارج البلاد .

ونعود بالنصيحة لهؤلاء الذين يعيشون فى مصر منعمين ويستمتعون بحقوق الجنسية المصرية ، ثم ينسون هذا كله فى مجال الخدمة الاجتماعية والتبرعات الخيرية ، ونصيحتنا إليهم أن يتقوا مغبة هذه الروح المتعصبة لو سرت كذلك إلى نفوس المصريين المنسيين ؛ وهم يرون غيرهم يتمتع بأموالهم وهم منها محرومون .

وقد تسمح قوانين الجنسية الأخير تسامحا شديدا ليهيىء للمجتمع المصرى أن يهضم العناصر التى تنضم إليه ، و متى ذابت فى مصر تغلب صفتها وروحها على كل عنصر غير مصرى يحل بها فى تاريخها الطويل ومن الخير لجميع أن تسود بينهم روح المودة والتعاطف بالأعمال لا بالأقوال بالمستقبل لجميع ما

مصرى

# الشارع

للأستاذ عبد الشافى اللبان

الشارع موضوع لحديث قد يبدو غريبا غير مألوف ، والواقع أن هذا ما شعرت به حين طلب إلى أحد الأصدقاء أن أحاول الكتابة عنه ، على اعتبار أنه المرآة التى تنعكس عليها حياتنا الخاصة والعامة على السواء ، بما فيها من شؤون وشجون ، أو على اعتبار أنه المظهر الخارجى البعيد عن الغش والخداع والتزييف لهذه الحياة .

ففى الشارع تبدو واضحة جلية أساليبنا فى السلوك والآداب ، فى المعاملة والتعامل ، فى التنزه والرياضة والترويح عن النفس ، كل ذلك دون طلاء أو إخفاء للحقائق .

والكلام عن الشارع موضوع شائق طريف ، يكفى فيه أن نستقطع جزءا من القاهرة ونجوس خلاله فى جولة قصيرة بقصد الملاحظة والدرس والاستنتاج ، ولنأخذ على سبيل المثل وتسهيلا لمهمتنا حى العباسية نقطة الابتداء فى جولتنا مارين بميدان فاروق ، فالحسينية ، فشارع فاروق ، فميدان الملكة فريدة ( العتبة الخضراء سابقا ) فميدان الأوبرا ، فشارع قصر النيل ، فشارع سليمان باشا حتى الإسماعيلية ، فهذا هو طريق اليومى إلى وزارة الخارجية .

والآن إذا تكرمتم بدأنا جولتنا وأظننا ، بدون تكليف أو توريط ، سنركب الترام فهو وسيلتنا العادية للانتقال ، وبطؤه يسمح لنا بملاحظة الأشياء فى هدوء يمكننا من الحكم عليها ، وسنكتفى بالوصول إلى نقطة اتصال شارع سليمان باشا بشارع فؤاد الأول ، وأرجو المعذرة فى تعديل برنامجنا خوفا من أن يطول بنا الوقت .

وما دام الترام سيؤدى لنا هذه المساعدة القيمة فمن حقه علينا أن نخصه بكلمة قصيرة ، خصوصا وهو يعتبر جزءا متمما فى الكثير من شوارعنا ، تجلس فيه ترى كما ترى فى الشارع معرضا حافلا من الأزياء بين العمامة والطربوش والقبعة والطاقية واللاسة والجلابية والقفطان والبدلة ، وكلها تكون مجموعة غريبة من الألوان نسقتها أهواء مختلفة ، وأذواق متباينة . واختلاف الزى مسألة تكلم الكثيرون فيها بحيث أصبح مجرد الإشارة إليها من القول المعاد ، ولكن هل لنا أن نرى فيها مقياسا لتنوع الآراء وتشعبها فيما بيننا ، وصورة لانشقاقنا وتفرق كلمتنا . أرجو ألا يكون الأمر كذلك ؛ وإلا فما أصعب مهمة حمام السلام عندنا ؛ وهو

اليوم أشد ما يكون احتياجا للتشجيع والتعضيد ، على أن مسألة الزى ليست بالتأكيد برهانا على وفرة أذواقنا وميولنا الفنية . فالصورة العامة التى يعطيها اختلاف الملابس حتى ولو كان كل نوع منها جميلا على حدته ، صورة لا يستريح النظر إليها ولا يقبلها أى ذوق فنى بحال من الأحوال .

لا تكاد تجلس فى الترام حتى يقفز إليك فى حركات بهلوانية غريبة جيش حافل من الشباب المفتول العضلات الضخم البنيان يبيعون إليك "حلاوة سمسمية" "إبر لوابور الجاز" أو "إبر ودبابيس" "أقلام رصاص" "ظروف وجوابات" "بسكويت وشكولاته نسله". وهكذا ينقلون إليك أسواقا كاملة لتجهز منها منزلك ومكتبك وترضى أولادك دون أن تتحرك من مكانك . وبعد ذلك يقولون إن فى مصر أزمة متعطلين . هذا ولا شك نوع من أنواع الاستجداء يحس بثقله كل من كتب عليه ركوب الترام وأقل منه أن تكون جالسا مطمئنا فى أمان الله فاذا بشاب أو طفل يقفز قافزا بين قدميك لتحجبه عن الكمسارى الذى لو رآه لنشبت بينهما مطاردة حامية قد تنتهى بحرب خاطفة تلقى بالطفل بين عجلات الترام .

وهكذا يعطينا الترام صورة لمشكلتين غير مشكلة الزى لا تزالان فى انتظار من يوفق لحلهما : الأولى مشكلة الباعة المتجولين على اعتبار أنها نوع من أنواع البطالة له أثره السيئ على الأمن والصحة والأخلاق العامة . والثانية مشكلة الأولاد فى الشوارع ومسئولية الأهل والحكومة فى صددها — هؤلاء الصبيان بعضهم مذنب وبعضهم معذور ، أما المذنب فاننا نرجو له ولأهله الهداية . وأما المعذور فله علينا حق المساعدة . المعذور يقوم من منزله فى امبابه مثلا ليعمل على كسب قوته فى العباسية على أن يتناول فى آخر النهار أجره اليومى دراهم معدودة لو صرفها فى الركوب لكان كمن يعمل بلا مقابل ، وإذن فعليه أن يجتهد فى استعمال الترام مجانا ليصل بهذه الدراهم سليمة إلى الأفواه الجائعة التى تنتظرها ، ولست أدرى كم للترام منذ إنشائه حتى الآن من أمثال هذه الضحايا : رجال وشباب وفتيان ، لم يفكر أحد فى شأنهم حتى اليوم ، مع أنه من المعروف فى كثير من البلاد أن هناك تذاكر مخفضة تصرف بين الساعة الخامسة والسادسة صباحا ، وهى الساعة التى يذهب العمال فيها عادة إلى أعمالهم ، ويستمر مفعولها حتى الساعة الثامنة مساء وهى المفروض أن يعود العامل فى أثنائها إلى بيته . وقيمتها لا توازى نصف القيمة العادية لتذكرة الذهاب ، فهل لم يحن الوقت بعد لإيجاد تذكرة ذهاب وإياب بثلاثة ملاليم مثلا تصرف للطبقات العاملة فى ساعات رواحها المبكر مساعدة لأفرادها المجدين المنتجين وتأمينا لحياتهم .

أظننا انشغلنا بالترام طويلا . فلنلق نظرة على شارع فاروق : فاللناس يمشون فى وسطه جماعات وأفرادا رغم الحملة التى نظمها قلم المرور واستعمل فيها السيارات والأبواق لدعوة

الناس إلى المشي على الرصيف؟ وما السر فى أنهم يرفضون الإصغاء إلى هذا النداء الحكيم مع مافيه من تأمين لحياتهم وأرواحهم؟ السر أن ليس هناك رصيف لشارع فاروق اللهم إلا بعض مساطب مقطعة يشغلها بعض المقاهى أو أصحاب المحال التجارية ومن عندهم من الزائرين. وإذن لا حيلة للجمهور فى أن يسلك طريقه على هذا النمط من الفوضى . وإذا كنا فى هذا الزمن الذى يعتبر المرور فيه من كبريات المسائل ، لا نؤمن بفائدة الرصيف ولا نريد أن نفرض أن للشوارع مهمة مدنية واجتماعية يجب أن تؤديها فما على أبواق قلم المرور إلا أن تتحلى بالصمت الكريم .

وعلى طول هذه الشوارع حتى شارع فؤاد ظاهرة تسترعى النظر : كثرة المقاهى التى تضج تكلايا النحل بالجماهير الصاخبة . على أن ضجيجها يختلف باختلاف المواقع ، فمقاهى شارع فاروق والعتبة تمتاز برنين الزهر وضرب قشاط الطاولة وكركعة الشيشة ، وهذه الكركعة قد تقابلها فى المنزل العامر زفرات الزوجة المهجورة أو عويل الطفل الصغير. أما مقاهى شارع فؤاد الأول فهى أقرب إلى السكون وإن كانت تشترك كزميلاتها فى جلب الحزن والأسى إلى قلوب كثيرة عزيزة وفى الاستخفاف بما وعيناه فى صغرنا من أن الوقت من ذهب ، وأنه كالسيف إن لم تقطعه قطعك . ومن المناظر المألوفة فى شارع فؤاد الأول كما فى شارع فاروق أو الأوبرا منظر العربات الكارو المحملة بجموع النسوة اللواتى يطلقن الزغاريد كصفارات الإنذار ابتهاجا بخروج أحد جبابرة المجرمين من سجنه كما لو كان أحد الغزاة الفاتحين ، هذا ولا شك تقدير لرسالة القضاء بعيد كل البعد عن العدل والإنصاف .

كما أنه من المتناقضات العجيبة أن تقف الحركة فى أحد الشوارع التى رأيناها انتظارا لمرور حمار — حمار أو جمل يتهادى إلى جانب سيارة باكار أو لنكولن ومع الجميع عربة كارو كالتى سبقت الإشارة إليها . كل ذلك على قدم المساواة بدون أى بروتوكول منظم لأسبقية المرور .

لقد رأينا فى جولتنا أن الشوارع كالأشخاص بعضها أسعد حظا من الآخر. فمنها الشوارع الشعبية كالحسينية وفاروق، ومنها الشوارع الأرستوقراطية كقصر النيل وسليمان باشا. وإذا سألنا عن سر هذا التباين فى الحظ وجدناه كتباين الحظ بين الأشخاص . مسألة يختلف الرأى فى تعليلها ، ولعلها كذلك لاتخلو من المحاباة والمحسوبية . ووجوه الشبه بين الإنسان والشارع كثيرة، فبعض الشوارع تولد سعيدة محظوظة فى فمها ملعقة من ذهب . ثم يجرى عليها حكم الزمن فتنزل عن مكانتها لغيرها من الحديث المستجد . كابن العائلة الذى جار عليه الزمان ، أو الوارث المتلاف الذى ينطبق عليه القول المأثور " أكرموا عزيز قوم ذل " .

فالعتبة الخضراء كان لها فى الماضى حظها الكبير الذى يحدثنا عنه المتقدمون من الأهل والأصدقاء . كانت مركز النشاط والحركة فى القاهرة بمنتدياتها للأدب والسمر ومحلاتها التجارية الفخمة حتى جاء شارع فؤاد وسليمان باشا وغيرهما فانتقل شأنها من حال إلى حال.

كذلك يولد بعض الشوارع بتواضعا شعبيا لا يرجى له نهوض أو تغيير . ولعل شارع فاروق من أمثلة هـذا النوع من الشوارع . قانع بحاله ، ليس فيه أى عنصر من عناصر الكفاح أو العصامية وله على ما أعتقد بين الناس أشباه كثيرون .

وهناك بعد ذلك شوارع لم نرها للأسف فى جولتنا ، وهى الشوارع الأصيلة — تلك التى تظل شامخة بنفسها ، رغم ضيقها وتعرجها ، محتفظة على مرور الزمن بخصائصها ومزاياها المستمدة من ماضيها كذوى الحسب والنسب من الأفراد والعائلات ، فمن هذه الشوارع ما يصور لنا لونا عزيزا لطيفا من ألوان البيئة المصرية فى عصورها الماضية . كالخيمية وخان الخليلى مثلا إذ يعيدان إلى الذهن أسواق القاهرة عاصمة الخلافة ومقر الفاطميين . وهناك نوع آخر من هـذه الشوارع تلك التى تتصل بتاريخ البلاد والتى عاصرت عهود نهضتها وازدهارها وتقدمها كالقلعة مثلا التى تتصل بامبراطوريتين مصريتين مستقلتين قامتا على قوة العقيدة والخلق وكانتا مثلا رائعا فى الشهامة والفروسية والنبل وهما أمبراطورية يوسف صلاح الدين وكفاحها فى سبيل العقيدة الإسلامية ، وأمبراطورية محمد على الكبير وكفاحها فى سبيل العقيدة الوطنية وبناء مصر الحديثة ، وهناك أيضا حى الأزهر الذى ظل زمانا طويلا رأس مصر المفكر وذهنها الوقاد فى كفاحها الطويل وفى أزماتها وتطوراتها الفكرية والقومية .

هذه الأحياء من حقها علينا أن تظل مصونة معززة موفورة التقدير والاحترام لا تستطيع يد التغيير أن تمتد اليها وإلا فقدت شخصيتها وكانت كالعجوز التى خرجت عن وقارها إلى التصابى ، ومن حقنا على هذه الأحياء أن نستوحيها دروس الماضى وعظاته ، وكلها مفاخر لمصر العزيزة وحلقات تاريخية مجيدة ساطعة الجلال والعظمة قامت على قوة الإيمان والمبدأ والخلق والعقيدة ، وما أحوجنا إلى الاستماع إليها وتلقى خير الدروس عنها .

وإذا كان الشارع حقيقة مرآة لحال البلاد فكم نتمنى أن تنعكس فيه صورة شعب قوى نشيط منظم موحد الفكر والزى ، ثابت المبدأ عميق الإيمان بالله والوطن ، وأخيرا يقظ مسدد الخطى آمن العثرات ؟

عبد الشافى اللبان

# هذا الراديو

## بقلم الأستاذ سلامه موسى

قلت لأحد أصدقائى ونحن نستمع لجهاز الراديو الذى كان ينقل إلينا حديثا من لندن: أقدامنا فى مصر وآذاننا فى لندن ؟ ! فانتبه إلىّ فى تفهم و إدراك وقال : وعن قريب ستكون أقدامنا فى مصر وعيوننا فى لندن أو باريس .

هذا هو الراديو . يتحدث أو يتغنى فى باريس أو لندن أو روما فنلق إليه آذاننا ونسمعه ونحن فى القاهرة قد ثبتت أقدامنا على أرضها ، وعن قريب عند ما يتقدم التليفزيون سيكون فى مستطاعنا أن نسمع ونرى معا منظرا فى لندن أو باريس . وهذه الكلمات التى ألقيها وأنا هنا فى القاهرة قد يرهف المستمعون آذانهم إليها فى مراكش والعراق وسوريا وطرابلس . حتى لقد صح القول إن عالمنا قد أصبح قرية يتسمع أحدنا فيها لكلام الآخر ولو كان بينهما ألف أو آلاف من الأميال ولكن هذه القرية لا تزال، مع الأسف ، تسير على خططها القديمة فى العداوة والشحناء وتقاتل وتحارب .

أجل إن هذا الراديو هو اختراع يشبه السحر فى معجزاته . ونحن ما زلنا فى بدايته لم نعمم استعماله والانتفاع به ولم نجمع بينه و بين السينما لا فى الدور العامة . على أن الزمن لن يكون بعيدا حين تجد حاسة السمع وحاسة البصر بهجتهما فى التلفزيون المنتظر .

والراديو يسمعنا الأغانى والألحان والأحاديث و يعدد لنا الموجات لكى نختار منها ما نشاء . ولكن تأملوا الآن ! إنكم بحركة صغيرة فى الراديو تستطيعون أن تسمعوا أعذب الألحان والأنغام من أى عاصمة شئتم ، ثم بحركة صغيرة أخرى تصمت هذه الألحان وتخرس هذه الموسيقا . ولكن هل صحيح ما أقول ؟ إن هذا الجو الذى يحيط بنا فى هذه اللحظة حافل بالأغانى المطربة والألحان المرقصة من جميع أنحاء العالم ولكنا لا نستمع إليها أى لا نحرك هذه الأكرة الصغيرة لكى تصل إلى آذاننا ! وإن فى هذا لمغزى .

هذا الهواء أو هذا الفضاء حافل بالطرب والفتنة اللذين سرعان ما ينطلقان لأقل رغبة أو حركة منه . وحولنا فى هذا العالم ألوان من السعادة والبهجة والحبور هى فى متناول أيدينا لو شئنا أن نحركها بالقلب المتفتح ونية الخير والبر وكل إنسان هو بمثابة جهاز الراديو تستطيع أن تحرك مفتاح ذهنه أو قلبه الحركة اللائقة فيجد الاستجابة الإنسانية للسعادة و لخير والبر .

أمر أحيانا بجانب بعض القهوات التى تغشاها عامة الفقراء فأجد منهم إنصاتا لحديث أو إعجابا بلحن . وهم يتسمعون إلى الحديث فى تفهم و إدراك كما يستمعون إلى اللحن

فى لذة وابتهاج . فأتساءل : هل لا تزال للقراءة قيمتها القديمة ؟ أولا يمكن أن نستغنى بالأذنين نسمع بهما أحاديث الراديو ونتلقى منه الدروس فى الجغرافيا والتاريخ والسياسة والاجتماع عن العينين نقرأ بهما الكتب والمجلات والصحف ؟ بالطبع لا . ولكن نقوا أن الأميين ليسوا كما كانوا قبل عشرين سنة يجهلون كل شىء ، لأن الراديو يعلمهم الآن عن طريق آذانهم بعض ماحرموا من تعليمه بالكتب والجرائد عن طريق أعينهم . أجل إن الأمية قد فقدت ظلامها وما أدرانا لعلها ستفقده أكثر فى المستقبل وخاصة عند ما يستحيل الراديو إلى تليفزيون نسمع بواسطته ونرى .

وإنى لأكاد أسمع القارئ يقول : حسبك هذا الثناء والمبالغة والإطراء ما هذا الراديو الذى تشيد به ؟ إنه إذا كان يمتعنا بالألحان والأغانى والأحاديث فانه ينكبنا بالدعايات . وهو ليس سفير السلام بين الأمم وإنما هو واسطة الخصومة ونذير الحرب يملأ الجو بالأكاذيب ويفترى الأباطيل ويعكر الصفاء .

ولست أنكر أننا نعيش فى فترة قد أخذت الدعايات فيها أوفر حظها وأن الميكروفون قد فعل فى فرنسا قبيل هزيمتها فعل المدافع والدبابات . ولكن هذه الفترة التى نعيش فيها هى الشذوذ ، أى شذوذ الحرب لقاعدة السلم . وأن السلم لابد عائد ، وعندئذ يخدم الراديو الحضارة والإنسانية ويصل بين الأمم بزيادة التعارف كما يقطع بينها الآن بزيادة الخصومة والتنالب .

ومع ذلك ليست كل دعاية سيئة . فهناك دعاية بارة هى دعاية الحرية وحقوق الأمم الصغيرة ، دعاية الحق والعدل والمساواة ، دعاية الديمقراطية التى يجب أن تسود العالم وأن تعلن فى غير وجل حقوق الإنسان .

والراديو فى مصر ليس تجارة حرة كما هو الشأن مثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تتراحم الشركات وحيث تعيش بما تعتمد عليه من أجور الإعلانات ، فإن المستمع فى نيويورك مثلا يفاجأ فى عقب الحديث أو بين لحنين موسيقيين بإعلان عن صبغة جديدة للشعر أو أحذية متينة أو "فساتين" من زى جديد لهذا المتجر أو ذاك . ولكننا فى مصر لا نرهق آذاننا هذه الإعلانات لأن الشركة التى تقوم بالإذاعة هى مزيج من العمل الحكومى والعمل الحر على نحو النظام القائم فى انجلترا . وكان يجب أن يكون فى هذا الائتلاف بين الحكومة والشركات مجال للتحسن المطرد والتوسع المتزايد أى أنه كان يجب مثلا أن يجد التلفزيون تجاربه الأولى فى القاهرة وألا تخلو قرية من جهاز استقبالى . بل إنى أعتقد أنه مادامت الحكومة شريكة فى هذا الجهاز العجيب فإنها يمكنها أن تتفق مع بعض المصانع على إيجاد جهاز صغير رخيص يمكن تعميمه فى بيوت الفقراء ريفية ومدنية ، كما أنها بحكم شركتها هذه يجب أن

تتفق مع محطة الإذاعة على ترقيـة الأغانى والألحان وعلى أن تكون الأحاديث موجزة منيرة بعيدة عن الإسهاب الممل يقصد منها إلى فائدة المستمعين بزيادة معارفهم وتنويرهم عن الحوادث العامة وما يجرى فى ميدان العلوم التى كثيرا ما يجهلها سواد الجمهور فى مصر .

وهنا نذكر بعض ما تقوم به الأمم الأخرى . فهناك فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تأسست فرق للدرس عن طريق الاستماع . ففى كل ناد وفى كل جامعة بل فى كل كلية ومدرسة أنشئت الفرق التى تجتمع فى وقت معين لاستماع الأحاديث عن السياسة الخارجية أو الداخلية أو عن الآداب أو العلوم . يقعد أفراد الفرقة وهم يبلغون العشرة أو العشرين من الأعضاء فيستمعون للحديث ومع كل منهم مفكرته يدون فيها ملاحظاته حتى إذا انتهى المحدث تناول الأعضاء حديثه بالشرح والنقد والتعليق فتزيد قيمـة الحديث ويستنير الجميع بتبادل الآراء . بل هم يبعثون أحيانا بملاحظاتهم إلى صاحب الحديث لكى يجيب على بعض أسئلتهم أو يوضح بعض الغموض أو يزيد فى الشرح لبعض النقط الغامضة . ومحطة الإذاعة تنتفع بهـذه الفرق وتشعر أنها باتصالها بهـا تضع يدها على نبض الجمهور وتتعرف حاجاته وتقف منها على الأساليب المثلى فى التفهيم والتنوير . وأنا أدعوكم أيها الأعضاء فى جمعيات الشباب وأيها الطلبة فى الكليات والتلاميذ فى المدارس إلى أن تؤلفوا هذه الفرق وتجعلوها وسيلة للدرس ونقد المحدثين وتوجيههم للمنفعة العامة .

إن الفراغ يزداد بين جميع شبابنا المتعلمين . ومنذ نصف النهار إلى صباح اليوم التالى يكاد موظف الحكومة فى القاهرة يقضى وقته فى بطالة قهرية ، وهو يلجأ إلى القهوة أو إلى النادى ، وقد يلجأ إلى مفاسد أخرى . ولكن إذا كان فى البيت جهاز حسن للاستقبال فإنه يغرى بالبقاء بالمنزل مع زوجته وأولاده يستمعون معا ويشتركون فى التسلية واللهو . والفراغ مثل كل خواء يحتاج إلى ما يملؤه ويشغله . ولا نستطيع أن نطلب من شبابنا أن يتركوا التسليات السيئة ما لم نقدم لهم التسليات الحسنة . فإذا عندنا جمهورا وحكومة وشركة بالراديو وساعدنا الجمهور على اقتناء الأجهزة الرخيصة المتينة وساعدتنا الشركة على ترقية البرامج وساعدتها الحكومة على إجراء الأبحاث والتجارب فان الراديو عندئذ يصبح من السلويات السامية التى تشغل الفراغ وتصد عن المفاسد وتربط بين أعضاء العائلة وتنير الذهن وتبهج القلب ، بل يصبح الراديو عندئذ أعظم مكافح للأمية دون أن يكلف الأميين تعلم القراءة والكتابة .

إن الراديو ، على وفرة ممكناته الحاضرة ، لا يزال فى بدايته وهو من المنتجات الكهربائية التى مازلنا نجهل مستقبلها الخطير . وليس اليوم ببعيد حين تغدو هذه القوة الكهربائية الخادم الوحيد فى منازلنا تكنسها لنا وتطبخ طعامنا وتكيف هواءنا وتغسل ملابسنا ، بل تحلق لحانا . وهى تفعل كل ذلك الآن فى بعض البيوت المترفة . ولكن فى الترف عادة وسجية تلازمه ، فهو ينشأ أرستقراطيا يستأثر به الأغنياء ثم لا يزال ينبسط ويستفيض حتى يعود ديمقراطيا يقتنيه الفقراء . فقد

كان الزوج وحتى زوجة سعيد ، من مقتنيات الترف إلى عهد قريب . وكان ساكن المنزل يترفه من أحد يدا لتلفون من منزل لآخر . وقبل ثلاثين سنة كان المصباح الكهربائي في القاهرة يدعى غاليه لا يقتنيه غير الأغنياء . وكان لا يشترك في التليفون غير المتجر أو المكتب الكبير . ولكن راديو راديو يجد الترف إلى بيوت المتوسطين ثم إلى بيوت الفقراء . فنحن نقتني راديو في بيوتنا ولن يبعد الزمن الذي يتحقق فيه لنا استخدام القوة الكهربائية في اقتناء سبع حاسة ، بل في اقتناء تلفزيون يجمع بين الراديو والسينما فضلا عن تنظيف بيوتنا وغسل ملابسنا وطبخ طعامنا وتبريد الهواء وتدفئته بالقوة الكهربائية .

وظني أن هذا الزمن ليس بعيدا ، بل ليس بعيدا أن تستخدم مساقط المياه في أسوان في إضاءة منزلنا وطبخ طعامنا في القاهرة ، وقد استطردت إلى شرح بعض الممكنات الكهربائية ، لأن الراديو والسينما كلاهما من محصولات هذه القوة العجيبة . وكلما ازددنا تمكنا من هذه القوة وعدنا إلى أسرارها ازداد الراديو رقيا حتى ينتهي إلى الكمال المنشود في التلفزيون حين نرى في بيوتنا أشخاص المتكلمين أو المغنين أو الممثلين ونسمع أحاديثهم وأغانيهم .

بل ماذا أقول ؟ هل بعيد أن يحمل أحدنا في يوم ما جهازا صغيرا للجيب يستطيع أن يخاطب به وهو في البيت أو في الطريق صديقا له في الاسكندرية أو في بغداد ؟ ألا ما أبهج وأجمل هذا الأمل ! إننا عندئذ للشكوى قلة الفراغ — هذا الفراغ الذي يثقل علينا فنتخلص منه بسلوبات مختلفة قد لا تكون كلها بريئة .

لقد نصحت بإنشاء الفرق في الأندية والمدارس لدرس الأحاديث والتعليق عليها ، والآن أدعو كل مستمع إلى أن ينشط ويبدي ملاحظاته للمحطة حتى يكون هناك تفاعل بين الجمهور والمحطة ، وهذا من حقك أيها المستمع ولو كنت أميا لا تعرف القراءة لأن على المحطة ألا تنسى واجبها نحوك أنت الذي لم يسعدك الحظ بتعلم القراءة والكتابة ، بل إن حقك أكبر من حق القارئين لأن هؤلاء متعة القراءة ، أما أنت فليس لك غير أحاديث الراديو التي تصل بينك وبين التفكير العالي ، قل أي الموضوعات تحب وكم دقيقة تحب أن يكون الحديث ؟

إن في العالم من ألوان الرقي الاجتماعي والاقتصادي ومن مبتكرات العلوم والفنون ما يجب أن يقف عليه جمهورنا سواء منه المثقف وغير المثقف ، وهذا ميسور إذا نشط أفراد هذا الجمهور وأوضحوا رغباتهم للمحطة ، والراديو هو مدرسة وملهى للجميع ، فعلى ربة البيت كما على الفتاة ، وعلى الرجل المثقف كما على الرجل العامي أو الأمي ، وعلى التلميذ كما على الموظف ، أن يتصلوا بمحطته ويبدوا ما يحبون من ألوان الجد واللهو والدرس والتسلية ما

سلامه موسى

# لاتصلح القرية
# إلا بصلاح المدرسة الإلزامية

للأستاذ محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بالمدارس الثانوية

لا تصلح القرية المصرية إلا إذا صلحت المدرسة الإلزامية ، لأنها النواة لكل أمل اجتماعى ، أو علمى ، أو أدبى ، أو خلق ، أو دينى فى البيئة القروية المصرية : فإصلاحها إصلاح لجميع القرويين ، وفسادها فساد لهم .

وهى فوق ذلك محل لرجائهم ، ومرجع لهم ولأبنائهم الأميين العوام : تلتحم آثارها المختلفة بعقولهم وعقائدهم ، وميولهم وعواطفهم ، وتجرى منها مجرى الأصول . بها يتاح لهم من التعليم قدر تستنير به أفئدتهم ، وتستضىء به أرواحهم ، ويطلعون منه على حقوقهم المالية والسياسية ، وواجباتهم الدينية والوطنية ، ويعتزمون طلبها ، والجد فى تحصيلها وإحراز الفائت منها .

فيها يتعلم أبناء الطبقة الخاشعة العاملة : من صناع ، وزراع ، وفلاحين ، وعمال ومحترفين . وهى المورد الفريد لهم ، لأنها تسد حاجتهم ، وتكفى لتوجيههم توجيها أو يا يتمشى مع الغرض العام الذى أنشئت خاصة لأجله .

وتقوم المدارس الإلزامية للفقراء فى القرى — وهم جمهرة كثيرة — مقام المدارس الابتدائية للأغنياء فى المدن وهم طائفة قليلة ، فما أجدرها العناية فى جميع القرى ، وتبلغ عدتها نحو ثلاثة آلاف ونصف ألف مدرسة ، ويتعلم فيها حيش من التلاميذ البائسين قد يبلغون المليون عدا . وهى — فى الواقع — قد حققت بعضا من الأغراض التهذيبية ، ومحت جانبا من ظلال الأمية ، وأزالت شيئا من غشاوات الجهالة والضلالة .

ومن شاء التثبت مما وصلت اليه هذه المكاتب الإلزامية من النجاح ، فليرجع بذاكرته إلى ما قبل سنة ١٩٢٥ أى قبل إنشائها ويوزن بين حالة الأمية فى ذلك العهد ، وحالتها فى هذا العهد ، تتبين له الحقيقة بوضوح ، فبالموازنة تظهر ثمرتها ماثلة للعيان

وليس فى الديار المصرية من المدارس ما يصح أن يسمى شرقيا مصريا إلا المدارس الأولية والإلزامية ، فهى فى صبغتها ، وقالبها وطابعها تجرى — ويجب أن تجرى — على التقاليد الموروثة المرعية فى البلاد الشرقية عامة ، وفى البلاد المصرية خاصة . وهى بهذا الوضع تتفق مع عقلية المصريين ، وتتصل بحياتهم اتصالا متينا . وكان طبيعيا أن تكون مناهجها مصفاة من كل شائبة أجنبية ، أو مسحة غربية ، لتظل مسايرة للنظام الشرقى ، متابعة

للعرف العربى ، مؤتلفة مع العادات القومية ، فلا تخرج عن طبيعتها التى قدرت لها ، ولا عن حدودها التى شرعت من أجلها ، ولا عن أغراضها التى وجدت لتحقيقها .

إن المقصد الأول من التعليم الإلزامى إيجاد قوة من عامة الشعب تكون نافعة للأمة . ولا تتيسر هذه القوة إلا بنشر التعليم الإلزامى بين الطبقات الفقيرة ، لتخرج أفرادا عاديين عاملين ، تتكون من مجموعتهم كتلة متماسكة منظمة تحب بلادها ، و بيئتها ، وتحترم نظمها وقوانينها ، وتذعن للأوامر والنواهى من أولى الأمر والنهى .

ولم يقصد من هذا التعليم إخراج شبان متفوقين فى كل شىء ، ولا متخصصين فى أى شىء ، فان التفوق والتخصص فى المرحلة الأولية من الأمور العسيرة المنال فى الفترة القصيرة التى يمضيها الطفل فى الإلزام . إنما يجىء التفوق والتخصص بعد نزول هؤلاء الصغار إلى ميادين الحياة متى أحبوها ونشطوا لها . وذلك بعد اجتيازهم مرحلة الإلزام واندماجهم فى معترك الدنيا ، وفى آفاق العيش .

ولا يراد من الصغار فى المدة الوجيزة التى يقضونها فى التعليم الإلزامى سوى أن يتقنوا القراءة والكتابة ، وأن يفهموا ما يقرأون وما يكتبون وما يحسبون . وما عدا هذا ، وما بعد هذا إنما يجىء تبعا غير مقصود ، بإيحاء المدرس ونصائحه ، وتوجيهاته فى أثناء دروس القراءة والكتابة والحساب والدين .

و إن كل محاولة ترمى إلى إدخال عناصر أخرى إضافية على المنهج بدعوى التجديد هى محاولة لا تنتج سوى الخيبة والحسرة ، وضياع الأمل والمجهود .

وقد دفعت الغيرة بعض المربين المصريين أن يدخلوا على التعليم الإلزامى تعديلا كبيرا ليساوق منهج التعليم الابتدائى فى كثير من نواحيه ، فجاء منهجه مهلهلا فضفاضا : متدليا إلى حضيض التهجى فى ناحية ، ومحلقا فى الجو فى دراسة المواد العالية فى ناحية أخرى ، وصار مضطربا مفصوم العرا . وهذا هو الذى دفع بالمدرسة الإلزامية إلى أن تقف بين المدارس موقفا غريبا شاذا .

أكرهت على قصورها وقلة استعدادها ، وضعف حالها — أن تكون كالمدرسة الابتدائية ، فأجهدت إجهادا فوق طاقتها ، وكلفت شططا أن تقوم برسالتها الأصلية ، و برسالة المدارس الابتدائية فدب فيها دبيب الضعف ، وأخذت تذبل ذبولا كادت تخيب له الآمال .

نهض رجال الإصلاح أخيرا إلى إقالة عثرتها ، و إنعاشها من كبوتها ، والحمية تدفعهم والأمل فى إنقاذها يزجى عزائمهم ، وطرقوا لذلك أبوابا عدة ، وسلكوا طرائق شتى بين محو و إثبات فى نظمها ، وتغيير وتبديل فى مناهجها . ولكن الإصلاح لم يصل بعد إلى الصميم ، ولم ينفذ إلى مكان الداء ، فلم يكن إلا جهدا ضائعا وأملا خائبا .

إن العلة كل العلة جاءت من مزج المنهج الشرقى المصرى الملائم للقرية المصرية بالمنهج الغربى الأوربى غير الملائم لها، فتألفت من هذا المزيج أمشاج من المعارف لا توافق بينها ولا انسجام فيها ، ولا يحمل تطبيقها فى الريف . فلا هى بالشرقية ولا هى بالغربية ، مع اكتظاظها بالمواد البعيدة عما يجب أن يعرفه الطفل المصرى باعتباره شرقيا : مسلما كان أو مسيحيا .

خفيت هذه العلة على بعض الناس فتخوفوا عاقبة المدرسة الإلزامية وتوهموا أن ضررها أكبر من نفعها، وأنها لا يمكن أن تأتى بالثمرة الحلوة التى تتعادل مع نفقاتها الباهظة ومجهوداتها الكثيرة . فأحاطوها بالشكوك ، ورموها بالتهم ، وبخسوها حقها ، وألصقوا بها من النقائص ما كاد يزعزع مكانتها ، ويظهرها بمظهر لا يليق بها .

وهؤلاء لو أخلصوا فى نقدهم، ودرسوا رسالتها دراسة حقة، لخففوا من وطأتهم، وقالوا من حملتهم وعالجوا كلومها فى هدوء وتستر ، من غير تشهير بها وتكبير لسوءاتها . ولكنهم ويالالأسف — جعلوا جرحها ثغارا ، ودمها سائلا مسفوكا ، ثم تركوها تنعى من بناها . وبدهى أن الهدم أيسر ما يقترحه المقترحون ، وأسهل ما يأمر به الآمرون .

والحق أن المصلح الحاذق كالطبيب الماهر يتعقب مظاهر الضعف حتى يصل إلى مستقرها ومستودعها . ثم لا يقف عند هـذا الحد بل يتجاوزه إلى وصف العلاج الشافى والدواء الناجع ».

محمد أبو بكر ابراهيم

المفتش بوزارة المعارف

قم للمعلم وفّه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا

أرأيت أشرف أو أجل من الذى ... يبنى وينشئ أنفسا وعقولا ؟

شوقى

# المشتغلون بالزراعة

## الوسائل الصحيحة لرفع مستواهم الاقتصادى

للأستاذ محمد زكى عبد القادر

تعد مسألة أجور العمال الزراعيين فى مصر مسألة إنسانيـة ، الى جانب أنهـا مسألة اقتصادية ، ولا يزيد أجر العامل فى الزراعة عادة على ثلاثة قروش ؛ وقـد بلغ فى الأيام الأخيرة ثلاثة قروش ونصف قرش ؛ وفى بعض الأحيان أربعة قروش ، إلا أن هذه الزيادة طارئة ؛ فيجب ان نحد المستوى لأجره ثلاثة قروش أو قرشين ونصف قرش .

ومن المقرر أن الحد الأدنى لأجر أى عامل هو الحـد الذى يسمح له بأن يعيش عيشة إنسانية ؛ والعيشة الإنسانية فى التعبير العام عند الأمم المتمدنة هى العيشة التى تكفل لصاحبها المسكن الصحى والغذاء الكافى ؛ وثلاثة قروش لا يمكن أن تكفل شيئا من هذا ؛ ومن هنا كان المستوى المتحط لنحو خمسة ملايين من المصريين ؛ أعنى هؤلاء العمال الزراعيين .

والمشتغلون بالزراعة فى مصر يمكن تقسيمهم ثلاث طوائف : طائفة الملاك ، وطائفة المستأجرين ، وطائفة العمال الزراعيين وهم أشق الجميع .

على أنه يجب التنويه بأن هذا التقسيم لا يضع حدودا بين كل طائفة وأخرى ، فان هناك من صغار الملاك من يستأجرون أرضا يزرعونها إلى جانب القدر الضئيل الذى يملكونه ، وهناك من المستأجرين أو صغار الملاك من يعملون بأجر عند كبار الملاك ؛ فهم يعدون من جهة مستأجرين أو ملاكا ، ومن جهة أخرى عمالا زراعيين ، على أن هـذا التداخل بين الطوائف الثلاث لا ينفى أن لكل منها مشاكلها الخاصة .

والشعور عام بأن أجـور العمال الزراعيين دون المستوى الواجب ؛ وقد جرى البحث فى وقت ما حول إصدار تشريع لوضع حد أدنى لا يجوز أن تنقص عنه أجورهم ، غير أن هذا البحث لم يتطور مراحله الأولى ؛ فطوى ولم يعد أحد يسمع عنه شيئا .

وعدى أن إصدار هذا التشريع لا يحل المشكل ؛ وهو إلى جانب ذلك تشريع يخالف القواعد الاقتصادية السليمة ؛ وهو إذا صـدر فأغلب الظن أنه سيكون حبرا على ورق ؛ مهما تكن صفة الإلزام فيه ؛ ذلك أن مالك الأرض سيجد كثيرا من العمال يتنافسون على العمل عنده ؛ وهو قادر حينئذ أن يساومهم ، وقادر أن يعطيهم ثلاثة قروش ويشترط

عليهم الإقرار بأنهم تسلموا خمسة قروش مثلا اذا قدرنا أنها ستكون الحد الأدنى الذى يفرضه القانون .

وهكذا يتحول القانون الحكومى الى مجرد سخرية ، ويظل القانون الاقتصادى — قانون العرض والطلب — هو القانون السائد .

وحتى إذا سلمنا بأنه فى الاستطاعة تنفيذ مثل هذا القانون تنفيذا دقيقا ، فانه سيؤدى حتما الى زيادة نفقات الإنتاج الزراعى ، فكيف يتحملها المالك اذا ظلت أسعار المحاصيل على ما هى عليه ؟

يتبين من ذلك أن وضع حد أدنى لأجور العمال الزراعيين لا يحل مشكلتهم ولكنه يوهمنا أنه أدى الى حلها ؛ وقد يغرينا على السكوت ؛ وهنا وجه الخطر .

إن هذه المشكلة تتصل بكثير من المشاكل . وهى فرع وليست أصلا ، وهى تتصل بالإنتاج الزراعى كله ؛ وبعلاقة المالك والمستأجر ، وسياسة تسويق الحاصلات ، وفرض الضرائب ؛ وبمستوى المعيشة فى الريف ، وبتكاليف الإنتاج الزراعى .

إن مشاكل الريف يجب أن تؤخذ كلا ؛ وأن تعالج على أنها مشكلة واحدة ذات فروع ، وكل تناول جزئى لها يصعب الموقف ويعقده ؛ ومشكلة الريف الأساسية هى الفقر ؛ فإن الذين يعيشون على الزراعة يعانون مستوى منحطا غاية الانحطاط . فاذا عالجنا هذا الفقر فقد عالجنا أساس المساوئ جميعا .

## القاعدة التى تجب مراعاتها :

وأول قاعدة يجب أن نضعها نصب أعيننا فى البحث وراء هذا العلاج هى مواجهة العلة من أساسها ؛ فإن أخذ الأمور من أطرافها لا يزيد على أن يحجب عن أعيننا الداء الأصيل ويتيح له فرصة أخرى يستمرئ فيها عمله السيئ فى جسم المجتمع .

لقد شبعنا كلاما عن قذارة الماء فى الريف ، شبعنا كلاما عن الأمراض التى تأكل حيوية الفلاحين ؛ وشبعنا كلاما عن قذارة الفلاحين وجهلهم ، وفكرنا فى أن نوفر لهم الماء الصالح للشرب ، والمستشفيات الكثيرة لعلاجهم من أمراضهم ، والمدارس الكفيلة بتعليمهم ونشرت وذكرت أرقام خيالية عن ملايين الجنيهات التى تحتاج إليها عمليات المياه الصالحة للشرب — سمعنا هذا كله وسمعناه عشرات المرات ولم ينفذ منه شىء حتى الآن ؛ وما نفذ لم يؤد الى النتيجة المرجوة ؛ فلا يزال المرض والجوع والقذارة تشمل الريف كله ؟

وقد تبدو هذه الحالة داعية لليأس الشديد ؛ ولكن الخطأ هو خطؤنا ، فقد حسبنا أن قذارة الفلاح ومرضه يمكن علاجهما بتوفير ماء الشرب ومستشفيات العلاج ، مع أن هذه القذارة وهذا المرض ليسا إلا مظاهر العلة وأعراضها . أما العلة ذاتها فهى الفقر ، ولو اتجهنا إليها وبذلنا الجهد لعلاجها لانتفت كل هذه المظاهر .

وقد صدر قانون التعليم الإلزامى وأنشئت المدارس فى القرى ؛ وسيق إليها أبناء الفلاحين سوقا ، وفرضت الغرامات على المتخلفين منهم عنها ، ومع ذلك فانى أسأل المشرفين على هذا التعليم : ماذا كانت النتيجة ؟ وهل شعروا ، وهم ينفذون قانون الإلزام ؛ أنهم على حق فيه أو أنهم شعروا أن الذين وضعوا هذا القانون كانوا فى واد والأمة فى واد ، لقد ساقوا إلى التعليم الإلزامى ابن الأرمل التى لا عائل لها غيره وغير مايكسبه من قروش قليلة فى العمل فى حقل أحد الأغنياء أو فى رعاية مواشيه ، ساقوا إلى هذا التعليم ابن الفلاح الذى يتعاون مع أبيه على زرع القليل من الأرض الذى يستأجره أو يملكه ، ثم امتلأ الريف بما يمكن أن يسمى مأساة التعليم ، بدل أن يكون فى أعقابه النور والبهجة .

وقدم إلى القضاة المخالفون من هؤلاء التعساء ، وحركت حالتهم الشفقة فى نفوسهم ، ولكن ماذا يصنعون وأمامهم قانون صريح يوجب العقاب ، كان أن حكموا بأقل الغرامة وهى خمسة قروش صاغ ؛ ومع ذلك فخمسة قروش صاغ هى بالنسبة للفلاح المسكين ، الذى يعمل فى اليوم بقرشين ونصف قرش ، أجر يومين ، أعنى طعام يومين .

كان خيرا من هذا كله أن يعالج فقر هؤلاء الفقراء ، فإذا هم من أنفسهم يحضون أولادهم على التعليم ويدفعونهم إليه دفعا ، وحينئذ يشعر أولياء الأمور أنهم فى حاجة إلى قانون يحد من هذا الإقبال العظيم .

كان خيرا من هذا كله أن نعالج فقر هؤلاء الفقراء ، فإذا هم يلتمسون العلاج لأنفسهم ، وإذا هم يلتمسون الماء الصالح ، وإذا هم يعنون بمساكنهم وبلباسهم وبطعامهم من كسبهم هم .

## الوسائل الثلاث لمكافحة الفقر :

أما كيف نعالج هذا الفقر فوسائله عندى ثلاث :

أولا — تعديل الضريبة العقارية وتغيير الأساس الذى تقوم عليه .

ثانيا — زيادة الثروة القومية باستصلاح الأراضى البور وتصريف الحاصلات والعمل على تحسينها ورفع أسعارها . . . الخ .

ثالثا — إصدار التشريعات التى تكفل منع إرهاق العمال الزراعيين وتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر على نسق القوانين التى صدرت لمنع إرهاق العمال الصناعيين وتنظيم العلاقة بين صاحب العمل والعمال .

## ١ — تعديل الضريبة العقارية :

أما الضريبة العقارية فيجب أن تقوم على القواعد التالية :

( أولا ) إعفاء أصحاب الملكيات الصغيرة إعفاء تاما من كل ضريبة .

( ثانيا ) الأخذ بنظام الضريبة التصاعدية للملاك فتزيد الضريبة كلما زاد الملك .

## ٢ — زيادة الثروة القومية :

أما زيادة الثروة القومية فيمكن تحقيقها بالوسائل الآتية :

أولا — استصلاح الأراضي البور وتوزيعها على المزارعين الذين لا يملكون أرضا، أو يملكون مقدارا ضئيلا منها ، مع تفضيل الفريق الأول :

ولا بد أن يكون هـذا التوزيع مقترنا بإعطاء سلف للزراع وتقسيط ثمن الأراضي على آجال طويلة ، وأن يكون ثمنا معقولا ، أو فى الحقيقة ثمنا صوريا . وستفيد خزانة الدولة حتما متى بلغت هذه الأرض درجة من الجودة والاستغلال ، بما تفرضه عليها من الضرائب . ويمكن أن يتم استغلال الأرض فى مراحلها الأولى تحت مراقبة الحكومة و إشرافها فتستطيع أن تبقى فى الأرض من يثبت جده واجتهاده ورغبته الصحيحة فى العمل والتقدم .

ثانيا — مساعدة الزراع على تحسين وسائل الزراعة وزيادة غلة الأرض .

ثالثا — وضع سياسة ثابتة شاملة لتسويق الحاصلات الزراعية وضمان حصول المنتج على ثمن يغطى تكاليف الإنتاج ، و يفيض منه ربح معقول .

رابعا — تشجيع الصناعات الزراعية فإنها وسيلة ناجعة لزيادة الكسب الزراعى .

خامسا — تنويع الحاصلات و إرشاد الزراع إلى الحاصلات التى يرجى لها الرواج وحضهم على الإكثار من زرعها ، وأن يكون هذا الإرشاد موسميا وطبقا لما تعرفه الجهات المختصة عن حالة الأسواق المحلية والعالمية .

سادسا — مساعدة الصناعات الناشئة والتى يرجى أن يكون لها مستقبل مضمون، والكف عن احتضان الصناعات التى لا يمكن أن تعيش إلا فى ظل الحماية الجمركية ، وشتى الإعفاءات ، فإن مثل هذه الصناعات عبء على المستهلكين، لأنهم فى الحقيقة يدفعون فى منتجات هذه الصناعات أكثر مما تساوى .

وقد يظن البعض أن لا علاقة بين تشجيع الصناعة و بين حالة المشتغلين بالزراعة، ولكن هـذه العلاقة قائمة حتما . فإن ازدهار الصناعة قد يجذب جانبا من العمال الزراعيين من أهل القرى فيخفف ضغطهم على الزراعة وتزيد أجورهم تبعا لذلك .

٣ — إصدار بعض التشريعات الزراعية :

كذلك لا بد، لكى يتم تنظيم الحياة الاقتصادية فى الريف، من إصدار بعض التشريعات لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر وضمان ألا يزيد إيجار الأرض عن قيمته الحقيقية. فإن بعض الملاك يطرحون الأرض التى يريدون تأجيرها فى المزاد فيقبل الفلاحون على المزايدة مدفوعين إلى ذلك بالرغبة فى الكيد بعضهم لبعض أكثر من التقدير الصحيح لما ينتظر أن تغل هذه الأرض وما ينتظر أن يتوافر منها .

كما أن بعض الملاك يقسون فى معاملة مستأجريهم ويستغلون حاجتهم فيضعون فى عقود الإيجار شروطا لمصلحتهم ضارة بالمستأجر، وبعضهم يحمل الفلاحين على التوقيع على بياض ثم يرقب أثمان المحصول. وهذا بدا له أنها زادت وضع الشروط والأسعار التى تروق له فى العقود الممضاة على بياض

ولابد أيضا من أن يتضمن هذا التشريع فرض عقوبات رادعة على الملاك الذين يسيئون معاملة العمال الزراعيين أو يرهقونهم بالعمل على نمط التشريع الخاص بأصحاب المعامل والصناع.

* * *

هذه هى بعض الخطوط الرئيسية لمعالجة مشكلة الفقر فى الريف، وقد اقتصرت على وضع رءوس المسائل، التى تندرج تحتها عشرات التفصيلات، ولست أزعم أن الفقر سينتهى بذلك من الريف انتفاء تاما. فإن الفقر بعض الشرور التى لابد منها فى الحياة. ولكن هذه التدابير التى قدمت الإشارة إليها كفيلة بأن تقلل إلى حد كبير حالة البؤس الشديد التى تشمل نحو تسعة ملايين من أبناء هذه البلاد هم عماد الثروة فيها. منهم يتألف الجيش الذى يدافع عنها والجيش الذى يزرع أرضها. والجيش الذى يرفع إلى عنان السماء عمارات المدن الأنيقة، ويسق فيها الشوارع، وينشئ المتنزهات.

وأساس هذه الإصلاحات جميعا أن تجعل الفراش يجرى فى جيب الفلاح ويصلح حاله بيده، وهذا هو الإصلاح الدائم العميق الذى يعتمد على إثارة جهد الفرد وإغرائه بالعمل والتقدم. فإذا نجحنا فى ذلك سهلت مهمة الحكومة وكان العمل الباقى عليها يسيرا.

محمد زكى عبد القادر

# رابطة جديدة ضد التدخين فى مصر

تألفت فى الشهر الماضى رابطة جديدة ضد التدخين وقد تولى رياستها صاحب المعالى الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه وزير الشؤون الاجتماعية. وجميع أعضاء الرابطة لايدخنون. ولكنهم رأوا مع ذلك أنه يجب عليهم أن يقوموا بدعاية خاصة بين المدخنين يوضحون فيها أضرار التدخين الاقتصادية والصحية.

وقد أقام معاليه حفلة شاى أنيقة فى داره بالعباسية يوم الأحد ٩ نوفمبر دعا إليها أعضاء الرابطة وأنصارها.

وليس من شك فى فائدة هذه الدعاية، فان التدخين يتفشى فى بلادنا بكثرة ليس لها شبيه فى قطر آخر. وجميع الذين زاروا الأقطار الشرقية القريبة أو أقطار أوربا يلاحظون أن طبقة العامة والفلاحين عندنا يدخنون كثيرا، بل ينغمسون فى التدخين. وقد انتقلت عادة التدخين من رجالنا إلى سيداتنا، بل إلى آنساتنا. وقد يكون للقصص السينمائية بعض الأثر هنا فان فتاة القصة التى تبدو فى أحسن ملابسها وأبدع زينتها تحمل بين شفتيها السيجارة فى فتنة وإغراء فتجد من النظارة إعجابا ثم اقتداء.

ولكن ربما يكون من المفيد للقراء أن يعرفوا أن عادة التدخين التى فشت بين طالبات الجامعات فى أوربا وأمريكا قبل نحو عشر سنوات قد أشرفت على الزوال. فقد انقلب التيار وأصبح جمال الفتاة يقتضى البعد عن هذه العادة التى تشوه لون الأنامل والأسنان والشفاه، وتجعل للفم والشعر بل للملابس نفسها رائحة كريهة. فالفتاة الأنيقة أصبحت تتجنب التدخين صيانة لجمالها، كما تتجنبه أيضا صيانة لصحتها ومالها.

ولم يتفش التدخين بين آنساتنا وفتياتنا المتعلمات بالدرجة التى يخشى منها. ولكنه أكثر ما يكون تفشيا بين الطبقات الفقيرة إذ لانكاد نجد فلاحا أحيرا لا يدخن، على الرغم من أن أجرته اليومية أو ريعه السنوى لا يفى بغذائه وغذاء أسرته. وكل قرش ينفق فى التدخين قد حرم منه البيت، وكان يمكن أن يشترى به خبز أو إدام أو لباس. والدخان — دون سواه من المستهلكات — يسهل علينا إحصاء ما يستنفده من مال هذا الشعب، ذلك أنه ليس من إنتاج بلادنا، بل يردكله من الأقطار الأجنبية وهو لذلك معروف بالأرقام المضبوطة. ونحن نعرف أن الحكومة تحصل من المكوس الجمركية عليه ما يقرب من سبعة ملايين من الجنيهات. فإذا أضفنا إلى هذا المبلغ نحو مليون جنيه آخر هو ثمن الدخان المدفوع لزارعيه.

ثم مليون جنيه هى تكاليف صنعه فى مصر مع الأرباح التى تعود على بائعيه والمشتغلين بنقله ونحو ذلك جاز لنا أن نقول ولا نعدو الصواب إن الجمهور المصرى ينفق نحو عشرة ملايين من الجنيهات كل عام فى التدخين .

وهذا مبلغ ضخم يزيد كثيراً عن ما ننفقه على التعليم أو الصحة . فنحن لا ننفق عقولنا ولا نعالج أجسامنا بمثل هذا المبلغ . ومع ذلك يمكننا أن نقول إنه لو وزع هذا المبلغ بالسواء بين المدخنين لكان أثره غير فادح ولكن الحقيقة أن هناك عددا كبيرا من المعدمين الذين يؤذون عائلاتهم بما ينفقون على التدخين ، أولئك الذين يحرم أبناؤهم وزوجاتهم من الطعام الحسن أو اللباس اللائق أو مسكن الصحية لأن الأب ينفق نحو ١٥ ٪ من كسبه أو أكثر على التدخين . وفى الوقت الذى يصرخ فيه الأطفال فى طلب الفواكه أو الحلوى بل الطعام المشبع يحرمون من هذه الضروريات ، على حين تنفق القروش بسخاء لشراء علبة من السجاير .

فالضرر الاقتصادى من التدخين فى بلادنا كبير — ولكن هناك ضرر صحيا أكبر . ذلك أن التدخين يهدم الصحة وينقص العمر . ومادة النيكوتين ، أى المادة السامة التى فى الدخان ، هى إحدى السموم الفتاكة بالانسان وإن كان فعلها بطيئا يحتاج إلى السنين . على أن هذا الفعل مؤكد كما أثبت ذلك الأستاذ ريموند بيرل الأمريكى . فقد قام باحصاءات بين المدخنين فى شركات التأمين الأمريكية فبدا له ضرر التدخين بارزا مجسما . فالقليل منه ينقص العمر بقدر قلته ، والكثير ينقصه بقدر كثرته . فلا يقولن أحد إن "الاعتدال" فى التدخين يمنع الضرر إذ كل ما فى هذا الاعتدال أنه ينقص العمر أقل مما ينقصه الإدمان والإسراف .

ولا نعرف على وجه الدقة ألوان الانحطاط الفسيولوجى التى تصيب الجسم من التدخين وعلة ذلك أن المدخنين يتفاوتون ، فمنهم الشاب المبتدئ ، ومنهم المتمرس ومنهم المعتدل ، ومنهم من تقدمت به السن فاحتطت علامات الانحطاط الناشئة من الشيخوخة بعلامات الانحطاط الناشئة من التدخين المزمن ، على أن هناك مع ذلك إجماعا بين الأطباء على تأثر القلب والشرايين من التدخين المزمن ، وهناك شكوك أو شبهات بشأن السرطان الذى يصيب الشفة أو اللسان من استعمال العليون وخاصة اذا كان مصنوعا من الفحار الذى يسخن فيؤثر بسخونته فى أعضاء الفم ويحدث التهابا خفيفا لا يلتفت اليه ولكنه ينتهى بالسرطان .

ويذكر سكان القاهرة المرحوم الدكتور فوكيه الذى كان يمح على مرضاه فى بطلان التدخين ويرفض معالجتهم إذا أصروا على التزام هذه العادة . وكانت تحدث بينه وبين مرضاه حوادث لا تزال سمر المتفكهين من الأطباء والمرضى معا ، فقد كان بعض المرضى يكذب عليه ويدعى الكف عن التدخين فيتشمم فوكيه فمه فيجد فى نكهته أثر التدخين فيحتدم غيظه ويطرده فى عربدة صاخبة ، وكان الدكتور فوكيه نفسه ضحية التدخين فى وقت ما ، وقد عرف آثار هذه العادة فى صحته وكان من عادته لكى يقنع مرضاه بضرر التدخين أن

يعرض صورته الفتوغرافية مدة ابتسامه فى هـذه العادة حين كان شاحبا هزيلا ، ثم بعد أن أبطلها واسترد عافيته ورونقه ، وبظن أن أطباءنا يحسنون كثيرا اذا هم أوضحوا لمرضاهم الضرر الذى يعود على الصحة من التدخين .

ولكن ضرر التدخين لايقتصر على المـال والصحة ، فان غير المدخنين يعرفون له آثارا أخرى فى اجمال والنظافة والحياة المتمدنة ، وعند مايدخل غير المدخن غرفة قد فشا فيها دخان لايتمالك من لاشمئزاز الذى يكتمه حياء من الضيوف ولكنه يحبسه متألما ويبقى متبرما متململا . وعند ما تترك أعقاب السجاير مدة فى غرفة مايفوح منها "صنان" كريه لايتضايق منه المدخن بالطبع ولكن غير المدخن لايطيقه ، فهنا قذرة مادية لايمكن أن تتفق ولا تأنق الذى تقتضيه الحضارة العصرية ، وعجيب حقا أن يدخل أحدنا فى "صالون" أحد الأغنياء أو الوجهاء فيحس كأنه فى متحف ، وذلك لما يرى من أثاث الفاخر والطرف الثمينة الغالية والرسوم الرائعة ، ثم يجد الى ذلك " منفضة " قد تكدست فيها أعقاب السجاير القذرة التى لاتطاق رؤيتها .

وهـذه الرابطة الجديدة لمكافحة التدخين تحتاج الى دعاية واسعة بين المدخنين كما تحتاج الى معونة من الحكومة . فأما المدخنون فيجب أن توضح لهم الأضرار الصحية التى لاشك فيها على أجسامهم وأعمارهم ، كما أن هناك الأضرار الاقتصادية التى ينبغى ايضاحها لربات البيوت ، وأما الحكومة فيمكن أن تساعد من ناحية سن القوانين لمنع التجار من بيع الدخان أو السجاير للصبيان الذين لاتتجاوز أعمارهم الخامسة عشرة ، لأن الصبى الذى يألف تناول السجاير كثيرا مايستمر الفضول على تجربة التدخين ، وهذه التجربة هى الخطوة الأولى نحو مرحلة طويلة من الانغماس .

وبعد كل هـذا الذى ذكرنا يجب أن نقول إن التدخين يمكن أن ينظر إليه من ناحية أنه علة نفسية ، لأنه نوع من الترفيه الكيماوى الذى لايختلف ، إلا من حيث الدرجة ، من أنواع الترفيه الأخرى الخطرة مثل إدمان الخمر أو المورفين أو الكوكايين أو غيرها ، فان المدمن هنا إنما يطلب هذه الأشياء جميعا ليكرب الذى يحس قبل ممارسة العادة وللانفراج الذى يشعر به عقب ممارستها ، وهو إنما يحس كربا لأنه ضائق بنفسه عاجز عن الملاءمة بينها وبين الوسط ، والمدخن — مثل السكير — يطلب التدخين فى إلحاح إذا أحس هما أو كان منهوكا أو كان ساخطا أو كان مضطربا ، وهـذه كلها حالات نفسية سيئة تحمله على الترفية بالاقبال على التدخين .

ولهـذا السبب نحتاج إلى دعاية إيجابية بأن نبين للدخنين قيمة المنزل الحسن والألفة السعيدة فى البيت ، ولذة القراءة ، ومزايا الألعاب الرياضية ونحو ذلك مما يجعل التدخين غير لازم .

# عودة المهاجرين

## فأل طيب وروح جديدة

للأستاذ س . ق

قرأت منذ أيام أن سبعة آلاف من المهاجرين الذين تركوا ديارهم و بلادهم على إثر الغارات الجوية قد آثروا العودة إليها على البقاء فى مهاجرهم . وقرأت بعد هذا الخبر حديثا لمعالى وزير الوقاية بأن الرأى قد استقر على منع هجرة غير القادرين الذين يهاجرون على نفقتهم الخاصة .

وكلا الخبرين مفرح وساو ، ولا سيما أولهما ، لما يدل عليه من تغير الروح الضعيفة التى قذفت بهؤلاء الألوف بعيدا عن ديارهم ومواطن أعمالهم تحت تأثير الهلع والذعر اللذين لم يكونا لائقين بأمة مؤمنة صابرة كالأمة المصرية العظيمة .

وكلنا يذكر ذلك الطوفان الآدمى الذى انساب على محطات الاسكندرية عقب الغارة الكبيرة الأولى ، والسيل الذى ظل يتدفق على المحطات والطرق عقب توالى الغارات على الثغر وعلى مدن القنال — فيما بعد — ونذكر حالة الذعر المروع التى كانت تستولى على الجماهير رجالا ونساء وأطفالا . حتى لقد ذهلت بعض الأمهات عن أطفالهن فحملن الوسائد وجئن بها إلى المحطة وهن يحسبنها الأطفال ؛ وحتى لقد شردت النساء عن أهلهن ولم يدر هؤلاء أين ذهبن ، ولا درى أولئك أين ذهبوا .

وكلنا يذكر كيف أضبحت الاسكندرية معطلة المرافق تكاد تجوع وتموت ، لأن العمال هجروها فتعطل دولاب العمل ودبت الفوضى وعم الهلع ، ولولا الجهود الجبارة التى بذلت لوقف هذه الكارثة عن طريق الأوامر العسكرية بعودة العمال ، و إنشاء مناطق للهجرة وتخصيص القطر لنقلهم إليها و إعادتهم اليها ، لساءت العاقبة وأفلت الزمام .

ولقد آوى الى المهاجر غير النساء والأطفال رجال أشداء مفتولو السواعد استمرأ بعضهم رعاية سيدات الهلال الأحمر وسواهن ممن تطوعن لرعاية المهاجرين ، كما استمرأوا رعاية الحكومة ، فتزايد عدد المهاجرين وكتب بعضهم إلى ذويهم يستقدمونهم إلى العاصمة ليستمتعوا بهذه الضيافة الطيبة ! وكانت هذه الروح فضيحة الفضائح .

و بجانب هؤلاء شرد الكثيرون والكثيرات فى بلاد الريف فلم يجدوا مثل هذه الرعاية ، بل تسولوا وجاعوا وثقلوا على أهل الريف الفقراء وانتشرت بينهم الأمراض وكانوا سببا فى ارتفاع الأثمان عليهم وعلى أهل المناطق التى حلوا فيها ، فى الوقت الذى انقطعت مواردهم وتعطلت أموالهم وانعدم إنتاجهم فخسروا وخسر معهم العمل الذى كانوا يقومون به .

كان ذلك بعض ما أحدثته الهجرة المفاجئة تحت تأثير الهلع والذعر . وكان ذلك كله مما يدعو إلى التشاؤم وسوء الظن بعزيمة هذه الأمة وروحها المعنوية وجوهر إيمانها التقليدى . ومهما التمس الإنسان من المعاذير لهذه الحالة فإنه يبقى بعد ذلك أنها جاوزت الحدود المعقولة والمنتظرة فى مثل هذه الكوارث .

فالآن وقد أخذت هذه الأفواج فى العودة إلى مواطنها ، ووجدت وزارة الوقاية نفسها فى موقف يسمح لها بوقف الهجرة الإجماعية يجب أن يغتبط من هالتهم الحالة التى وصفناها وأن يطمئنوا إلى قوة روح الشعب وثبات عقيدته ، وأن يفهموا أن المفاجأة هى التى أنستهم أنفسهم وأذهلتهم عن الاهتداء إلى روحهم العريقة فصنعوا ماصنعوا فى غمرة الفزع ، حتى إذا أنسوا بالخطر ردت عليهم شجاعة الإيمان واطمئنان اليقين ، فعادوا إلى مواطن الخطر طائعين مختارين .

وكما وقعت أخطاء من المهاجرين وقع مثلها من المسئولين عن الهجرة فى أول الأمر فلم يكن هناك تأهب كاف لاستقبال مثل هذه الحوادث ، ولم تكن هناك سياسة مرسومة للهجرة والإيواء ، فرأينا كيف أعدت القطر والسيارات لحمل المهاجرين بعيدا عن مواطنهم بلا حساب لما يصيب المدن ذاتها من وقف لحركة وتعطل للمرافق ، أو يصيب المهاجرين من التشرد فى مهجرهم المرتجلة ، و يصيب هذه المهاجر من الضيق والاكتظاظ ، ثم رأينا كيف يعاد العمل بعد ذلك إلى المدن التى نقلوا منها حينما تبين تأثير هجرتهم على دولاب العمل وعلى المرافق العامة والخاصة .

ولكن المسئولين تداركوا هذه الأخطاء التى كشفتها لهم التجربة ، وكان من حسن الحظ أن جمعت أمور الهجرة والوقاية فى يد واحدة حازمة وحصرت التبعات ، فسار العمل سيرا منظما ، وخطت وزارة الوقاية خطوات طيبة فى رسم سياسة للهجرة والوقاية انتهت إلى قرارها الذى مر ذكره كما انتهت إلى إنشاء عدد ضخم من المخابىء العامة .

والذين ساءهم فى أول الأمر تخبط السلطات على غير أساس لا بد أن يروقهم الآن وضوح سياسة الوقاية ودعم أسسها واستعدادها للطوارئ بهذه السياسة المعينة المتينة .

* * *

والآن يجب أن نقول : إن مجرد وقف الهجرة لا يكفى لحل المشاكل التى قد تتجدد بتجدد الغارات . فينبغى أن نمضى مسرعين فى السياسة التى رسمت وحددت ، وأن نكمل بعض نواحى النقص فيها ، ولتحقيق ما نشير إليه نتحدث عن النواحى التالية :

أولا — سارت وزارة الوقاية خطا سريعة ثابتة فى إنشاء المخابئ العامة ، فأنشأت منها عددا كبيرا يبلغ حوالى ٢٥٠٠ مخبأ ولا تزال ماضية فى إنشاء مخابئ أخرى ، وهذا عمل محمود من شأنه أن يزيد طمأنينة الناس ، وأن يقيهم شر هزات الفزع عند المفاجآت التالية .

ولكنها بجوار ذلك لا تزال تتراخى فيما يختص بالمخابئ الخاصة ، فقد صدر أمر بإلزام بعض أصحاب البيوت أن ينشئوا مخابئ خاصة لهم ولسكان منازلهم متى بلغ عددهم حدا معينا أو بلغت قيمة العقار قيمة خاصة ، ثم أجل الموعد المضروب مرة ومرة ، ثم قيل : إن السكان سيلزمون بالمساهمة فى تكاليف هذه المخابئ مع أصحاب البيوت . غير أن شيئا معينا لم يبت فيه إلى يوم تريم سياسة خاصة كما رسمت سياسة للمخابئ العامة ، وكان من جراء ذلك أن وقفت حركة إنشاء المخابئ المنزلية .

وليس فى هذا التراخى وهذا التردد ما يشجع على أن تنشر خطوات المخابئ الخاصة مع خطوات المخابئ العامة . ولا نكران لفائدة تلك المخابئ وضرورتها للسكان الذين يؤثرونها على المخابئ العامة البعيدة عن مساكنهم ، ولا مراء فى أن وجود المخابئ المنزلية مما يقوى روح المعنوية فى السكان ويمنعهم من الاستسلام للخوف ، والخضوع للذعر الذى قد يقعدهم عما يكلفهم كما حدث قبل الآن .

ثانيا — فيما يختص بفرق الإنقاذ وإطفاء الحريق ورفع الأنقاض والإرشاد إلى مواقع القنابل ، ظهر فى أثناء الغارات الأولى عدم كفايتها ونقص عددها مما اضطر المسئولين إلى الاستعانة برجال الجيش المرابطين فى رفع الأنقاض وهم غير مدربين فاستغرق العمل أضعاف الوقت الذى كان يقتضيه لو كانت هناك فرق خاصة مدربة تدريبا فنيا على مثل هذه الأعمال .

ولا بد أن تكون التجربة قد هدت المسئولين إلى مواطن الضعف ، وأن يكونوا الآن قد كونوا هذه الفرق ودربوها تدريبا صحيحا ، فقد قرأت عن غارب كثيرة قامت بها بعض هذه الفرق فى المنازل الآيلة إلى السقوط ، وذلك تصرف محمود ، وسياسة رشيدة ستظهر آثارها فى ساعة الخطر المقبلة .

ولكن الذى أعلمه من احتكاكى ببعض المتطوعين فى فرق المراقبة وإطفاء القنابل الحارقة ومن اهتمامى الدائم بالوقوف على آخر خطوات هذه الفرق ، يتيح لى أن أنبه القائمين بالأمر إلى أن المتطوعين يجدون كثيرا من الصعوبات فى عدم استكمال الأدوات اللازمة لهم من جهة ، وفى صعوبة التفاهم بينهم وبين بعض رجال البوليس فى مناطقهم من جهة أخرى ، وذلك فضلا على ما يلاقونه من عنت بعض الأهالى الذين لا يقدرون عمل هؤلاء المتطوعين حق قدره ، كما أن بعض المتطوعين ممن لم يحسن اختيارهم يستغلون تطوعهم استغلالا سيئا فى إرهاق الأهلين والتهجم على حرماتهم بلا مبرر .

وكل هذه الهنات ممكن تداركها فى الحدود المعقولة إذا نحن جعلنا خطتنا تدارك الخطر قبل وقوعه ، ولم ننتظر حتى تقع الواقعة ثم نأخذ بعد ذلك فى علاجها علاجا مرتجلا لا يفيد .

وما من شك أن تنظيم هذه الفرق وتوثيق الصلات بينها و بين رجال البوليس وتنقيتها من الواغلين فيها بغير استعداد، وإمدادها بكل الأدوات والوسائل اللازمة فى حدود المستطاع ذو أثر قوى فى حسن أدائها لمهمتها العظيمة ، التى يؤثر أداؤها كما يجب تأثيرا طيبا فى روح السكان وفى اطمئنانهم لقوة فرق المراقبة والإنقاذ والوقاية ، والاطمئنان حالة نفسية تساعد على استقبال الخطر بصبر وثبات .

ثالثا — شرعت وزارة الوقاية فى حملة لتنوير الأذهان فى شؤون الوقاية الشخصية من الغارات ، وهو مشروع جيد ، ولكن السرعة واجبة فيه . فما ندرى متى نستقبل الخطر الحقيق ، فيحسن أن تنتشر هـــذه الحملة فى كل مكان وبجميع الوسائل وفى مستوى جميع الطبقات ، ويمكن استخدام الصحافة ومحطة الإذاعة والأشرطة فى دور السينما ، ولا ضرر من أن يكون عرض هذه الأفلام إجباريا فى كل دور السينما وفى الأجهزة المتحركة التى تذهب لكل الطبقات فى أحيائهم ولا تنتظر حتى يجدوا ثمن تذكرة السينما التى يعجز عنها الكثيرون .

ومما يجب أن تشمله هذه الدعاية ، فوق تعريف الناس بوسائل الوقاية المستطاعة ، أن تمدهم بمعلومات صحيحة عن حقيقة الأخطار التى يتعرضون لها ونسبتها . فالواقع أن الذعر الذى يصيب السكان أكبر من حقيقة الخطر ومن نسبة الإصابات فى المدن المأهولة ، فمن الواجب أن يعلم الأهالى هذه الحقيقة ، وليس معنى هـذا أن نهون من شأن الخطر الذى يتعرضون له ولكن معناه أن نقضى على عنصر المبالغة وعلى الأوهام التى يجسمها الخوف ، من فعل القنابل وتأثير الغارات

وكذلك ينبغى أن تشتمل حملة الدعاية على توثيق الروابط بين المتطوعين والجمهور ببيان قيمة العمل الذى يقومون به والخطر الذى يتعرضون له فى سبيل الخدمة العامة ، وضرب الأمثال بالمتاعب التى يسببها هم الجمهور نفسه بامتناعه عن تنفيذ الإرشادات . ولا مانع من قيام بعض المتطوعين برذاعات عما يلقونه من مثل هذه الأمور ومناشدة الجمهور أن يتعاون معهم على ما فيه خير الجميع .

* * *

هذه أهم ملاحظاتنا على سياسة الوقاية من الغارات ، وهى جميعا فى حدود المستطاع ، ولعلها لم تفت القائمين بالأمر ، وهم جديرون بتحقيقها متى أخذوا الأمور أخذ الواقع فى الخطر فعلا ، أو المشارف له ، وليس فى هذا التعبير أية مبالغة فتقلبات هذه الحرب لا تحصى ومفاجآتها لا تعد ، وقد رأينا عاقبة الارتجال فى الماضى فنحن جديرون أن نحتاط للمستقبل بل للحاضر ، فالحاضر ملىء بالمخاوف والأخطار ، ومن شأن الحيطة أن ترد الخوف أمنا والخطر سلاما إن شاء الله ما

س . ق

# البغاء والرقيق

لليوزباشي صالح زكي

رئيس مكتب حماية الآداب بالقاهرة

لست أدرى لماذا يحرم الاتجار بالرقيق ويبقى البغاء مباحا مع أن البغاء وتجارة الرقيق توأمان متلازمان، فالعاهر تظل دائما عاهرا للاستغلال .

نعم إن البغاء الرسمي مادو إلا وسيلة من وسائل الاتجار بالرقيق ونوعا من أحط أنواعه، ومن دواعي الأسف الشديد أن هذه التجارة راجت أسواقها وظلت طوال تلك السنين تحت حماية لائحة العاهرات، فقد قضت تلك اللائحة أن تكون صاحبة بيت العاهرات لها السيطرة على المومس، فهي تبدأ في وضع أول غل للعبودية في عنقها عندما تتقدم طالبة الاندماج في سلك العاهرات ؛ و يقضي نظام هذا الاندماج بتقديم طلب كتابي لمكتب الآداب "الخاص بالعاهرات" تذكر فيه الطالبة اسمها و بلدها وأسباب رغبتها في احتراف البغاء واسم "العائقة" التي ستكون تابعة لها كنص اللائحة، فتضطر إلى الالتجاء إلى إحداهن لتقييد اسمها بسجلها وهنا تبدأ "العائقة" في نصب شراكها فتجزل لها العطاء وتنفق عليها ببذخ و إسراف . ولما كان فحص طلب الاندماج يحتاج إلى سؤال شاهدين يشهدان بخلو الطالبة من الموانع الشرعية "فالعائقة" تستحضر شخصين لتأدية هذه الشهادة بأجر معلوم ثم يدعو الحال، إلى تعزيز شهادتيهما بشهادة شيخ الحارة الذي عليه أن يشهد بمعرفته للشاهدين نظير جعل خاص تدفعه "العائقة" عن الطالبة، على أن يكون دينا تسترده عند اندماجها ؛ ثم تحول المومس إلى مكتب الطبيب الشرعي لتقدير سنها، إذ لا يسمح لمن يقل عمرها عن الواحدة والعشرين سنة بممارسة البغاء فتذهب معها "العائقة" في سيارة أو عربة وهكذا تنفق على المومس بسخاء وتقيد عليها ثمنه قروش بقرشين وتحسب عليها الكيل كيلين وذلك لتعجز عن الأداء ولا تستطيع الوفاء .

بعد ذلك تتم الموافقة على اندماج المومس في العاهرات فترسل للكشف عليها وتعطى تذكرة لممارسة مهنتها وتعين لها "العائقة" غرفة في بيت العاهرات المرخص لها بإدارته أو دكانا تؤجرها لها بعشرين قرشا في اليوم الواحد، وتفرض عليها خمسة قروش أخرى ثمن المصباح للإضاءة "الكاوب". والمومس محتم عليها دفع هذا المبلغ يوميا في نهاية عملها وليس لها أن تتأفف أو تتردد، فإذا لم يزرها أحد أضافت "العائقة" إيجار اليوم على دينها . والمومس لكي تحصل على هذا المبلغ مضطرة لأن تسمح لخمسة أشخاص بزيارتها في الليلة الواحدة، وأنى

لها ذلك إن كانت قبيحة الخلقة أو متشبثة بأذيال الخجل، و إن وافاها العدد المذكور فكيف تحصل على ماتسد به دينها إلا إذا سمحت لأضعاف هذا العدد بزيارتها .

و يالشقائها إذا أوقعها حظها العاثر فى زائر به مرض فانتقلت العدوى إليها فتذهب إلى الكشف فتظهر إصابتها فيبعثون بها إلى مستشفى الحوض المرصود وهو نوع من أنواع السجون . وربما استدعى علاجها البقاء فى هذا السجن شهورا تظل أجرة غرفتها محسوبة عليها، كل هذا و"العائقة" لاتترك وسيلة لإرهاقها بالديون إلا بذلتها حتى تضمن استعبادها إلى الأبد، لأن المومس إذا أرادت ترك "عائقة" إلى سواها وجدت نفسها تنوء بدين باهظ فتذعن مضطرة إلى أن تسددها ماعليها ، وإلى لها ذلك وكل يوم تطلع عليها "العائقة" بدين جديد، فإن أصرت على ترك المنزل فعلى "العائقة" الجديدة أن تدفع للقديمة ماعلى المومس من دين، وهكذا تنتقل المومس من دائنة لأخرى كسلعة دون أن تجد لها من هذا العسف مخرجا .

* * *

يحسب كثير من الناس أن المومس التى سقطت أخلاقيا وكشفت عن وجهها برقع الحياء و باعت عرضها رخيصا فى سوق البغاء قد ألفت هذه الحياة ، أذعنت لها راضية قانعة وما علموا أن القلم يعجز عن وصف حال المومسات البائسات وتصوير عيشهن، فهى حياة الاستعباد المعنوى والاسترقاق الأبدى . ولئن قدر لك أن تسمع من بغىّ صفحة ماضيها وما تقاسيه فى حاضرها فإنك لاشك تسمع قصة (درامة) مفجعة تهتز لها قوائم العرش وتسترسل لها عيون السماء و يتقد لها قلب الأرض ، أقول بلا مغالاة إن المومس هى أتعس مخلوق على وجه الأرض، بل هى أشق حالا من العبيد الأرقاء فان هؤلاء قد لايعوقهم الرق عن أن يكونوا نزلاء القصور مع ربات الخدور ، أو أن يكونوا زينة المحافل يقاسمون أسيادهم السرور و يشاطرونهم البهجة والفرح، وقد لايمنعهم الرق عن أن يتنعموا بلقمة حلوة سائغة من يد سيد كريم أوكلمة عطف طيبة من فم ولى رحيم، أو تضمهم غرفة هادئة يتنسمون فيها نسيم الراحة والنعيم، ولكن المومس يكتنف الشقاء معيشتها فى كل لحظة وفى كل مكان وفى كل مرحلة من مراحل حياتها، لأنها فى الحقيقة لاتعمل لحسابها بل لحساب "العائقة" وتشقى وتحتمل صنوف العذاب والمذلة والهوان أملا فى الخلاص من الدين الذى ترسف فى أغلاله .

"و لعائقة" تستخدم شتى الوسائل لتصبح المومس بين يديها سلعة تباع وتشترى كالأنعام فتكتب عليها الدين أمانة فى عنقها أوتستكتبها صكا باستلامها حليا موهوما حتى إذا سولت لها نفسها أن تهرب اتهمتها بالخيانة وتبديد الأمانة أوتعمد إلى تزويجها زواجا صوريا من رجل ممن يتعيشون من كسب العاهرات وتهددها برفع دعوى الزنا عليها إذا حدثتها نفسها بتركها .

و يالايت الأمر يقف عند هذا الحد فإن "العائقة" تعامل المومس كخادم فتضربها وتفرض عليها الغرامات إذا لم تبد كياسة فى جلب الزائرين ومهارة فى اقتناصهم فهى ترغمها

على قبول أى زائر مهما كانت صفته وكانت هيئته مادام فى جيبه بعض الدراهم غير مبالية بما يلحقها من مرض أوأذى. وقد يزورها أشخاص متنوعون فى الخلقة والقذارة والقبح والدمامة ومنهم من هو سكير وعربيد فينالها منهم قة تتقبلها المسكينة بقلب كسير .

هذه ناحية من نواحى الشقاء التى تكتنف حياة المومسات، ولو أنى وفقت إلى الاسترسال فى وصف حياتهن فى ماكنهن ومسكنهن وملبسهن لأدركتم أن هناك أرواحا ترسف فى قيود الذل وأدعى ماتكون إلى الإسراع فى إنقاذها وفك أسرها وذلك بإلغاء البغاء ما

اليوز باشى صالح زكى

---

"وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

[ قرآن كريم ]

# المحاباة وآثارها فى حياة الأسرة المصرية

للأستاذ عطيه مصطفى مشرفه

إن اختيارى للكتابة فى هذا الموضوع لم يكن عفو الخاطر ، بل دفعتنى إليها آلام نفسية تعانيها الأسرة المصرية ، تلك الخلية الاجتماعية التى قال أرسطو إنها مصدر الدولة وأساسها الذى تقوم عليه . ودفعنى إليها ما لاحظت من روح كادت تعصف بآمال الأسرة فتفككت وحدتها وأعدمت الثقة المتبادلة مع أفرادها . لذلك كان قصدى أجل وأخطر من مجرد تحرير مقال .

المحاباة داء وبيل خطر منتشر فى مصر طالما تحدثنا عنه وشكونا من آثاره فى الوظائف وفى دوائر الأعمال التجارية والصناعية والزراعية والشركات .

ولا ينتظر القارئ أن أقول له الآن إن كثيرا من أعمال الدولة ووظائفها قد يعهد بها إلى أناس لا يحسنون القيام عليها ، وكان الواجب أن يعهد بها لولا وجود المحسوبية إلى نفر من ذوى الكفايات ، فإن القارئ يعرف الكثير من هذه الأمثلة وهى ماثلة أمام عينيه فى نواحى الحياة العامة والخاصة .

ولكنى أكتب هذه السطور لأن هذه المحاباة قد انتقلت من الأعمال العامة إلى الأسر ، فبدل أن يوزع الأب حبه وحنانه على أولاده بالقسطاس ، وبدل أن يوزع ثروته بالتساوى عليهم نجد فى كثير من الأحيان أن المحاباة تلعب دورها فيتحيز الأب لابن دون غيره ولو كان هذا التحيز ظالما لا حق فيه ولا عدل .

فعلى نظام المحاباة هذا يقع قسط غير يسير من التبعة فى اضطراب الحياة فى كثير من العائلات فتغرس بذور الحقد والبغضاء فى نفوس الأسرة ، وكان الأجدر أن يغرس بدلها المحبة والمودة والعطف . لذا يجب القضاء على تلك المحسوبية التى يخشى إن هى انتشرت أن تسبب أزمة اجتماعية خطيرة فى الأسرة واضطرابا عنيفا بين أفرادها .

ومحسوبية أفراد الأسرة ظاهرة غريبة مردها إلى عناصر شتى أهمها الجهل . وهى تتشكل بأشكال مختلفة وترتدى أثوابا كثيرة من الأهواء والشهوات .

فاعتقادى أن مقاومة مثل تلك الخرافات عمل عسير يجب السير فيه برفق وحذر ، لذا يجب تجنيد قوى الدعاية والإقناع جميعها فى تفهيم الناس حقوقهم خصوصا فى بلد كمصر نسبة الامية فيها لا تزال كبيرة وبذلك تنضج الأفكار الاجتماعية كلما كثر الحديث فى معايب المحاباة . ولا شك أن التعليم أهم وسيلة من وسائل التهيؤ لقبول الإصلاح خصوصا فى مسألة كهذه عميقة الجذور تتحكم فيها العادات والتقاليد .

علاج هذا الداء الوبيل فى اعتقادى هو أن توضع قواعد ثابتة مضبوطة لا تحتمل الاستثناء وحبذا لو نستهدى بقبس من نور الإسلام الذى ينير طريق الإصلاح الاجتماعى للفرد والجماعات فيتخذ المصلحون من مبادئ الشريعة الإسلامية الغراء ومن حكمة التشريع وسيلة لتفهيم الناس ما يجب عليهم أن يعملوه حتى يرضوا الله ويرضوا أنفسهم، وبذلك نهيئ الأذهان والنفوس للسير على هدى الشريعة الغراء ونبذ هذا الظلم وهذه المحاباة .

ويشجعنى على الكتابة فى هذا الموضوع أن هناك لجنة للأحوال الشخصية فى وزارة العدل توالى بحث التقرير الذى وضعته لجنة إصلاح الوقف الأهلى فى وزارة الأوقاف .

ويسرنى ما علمت من أن اللجنة رأت إبطال الشروط التى لا تتمشى مع أحكام الشريعة الإسلامية فى الأوقاف الحالية والأوقاف المستقبلة، إذ رأت اللجنة " أن كثيرا من الواقفين يشترطون شروطا لا تتمشى مع أحكام الشريعة الغراء ولا مع الفطرة السليمة وما يجب أن يقوم عليه البناء الاجتماعى من توثيق الروابط بين الاسر بصفة عامة وبين افراد الأسرة الواحدة بصفة خاصة ، كأن يشترط الواقف حرمان بعض أولاده أو حرمان أولاد البطون أو حرمان من يستدين أو يحجز عليه ولو للأموال الأميرية ، أو يدخل فى وقفه المفاضلة بين الأولاد ويميز بعضهم على بعض بما يخالف نظام التوريث فى الأموال الحرة، أو يقف الواقف جميع ما يملكه أو معظمه على الخيرات مع وجود أولاد يحرمهم جميعا من وقفه إلى غير ذلك من الشروط التى يكون الباعث عليها فى الغالب تأثر الواقفين بالأهواء وضعف نفوسهم أمام المؤثرات والعوامل الخارجية " .

فوضعت بذلك حدا لسخافات من تحدثهم أنفسهم بحرمان البنات أو أبناء البطون أو تمييز بعض الورثة على بعض، أو حرمان ذرية بناتهم بعد وفاتهن وما إلى ذلك من السخف الذى يمليه الواقف ناسيا أو متناسيا أن فى ذلك مخالفة للشريعة الإسلامية .

وفى رأيى أنه يجب أن ينص فى التشريع على أن يسمع القضاة بأنفسهم إشهادات الوقف وأن يراقبوا تحريرها وأن يوجهوا الواقفين إلى مقاصد الشريعة الاسلامية وألا يقبل منهم ما يخالف ذلك ، ويجب أن تكون إشهادات الوقف غير متعارضة مع مبادئ الشريعة الاسلامية ، كما يجب أن يحصل التصرف فى الشروط العشرة تحت رقابة القضاء بحيث يلغى القاضى كل ما يجده من الشروط مخالفا لأحكام الشريعة الإسلامية حتى تتحقق للأسرة السعادة والرخاء والسلام .

والكلام فى هذا يؤدى بنا إلى الكلام عن الإرث، فلا يجوز للمورث الاحتيال على حرمان بعض الورثة من حقهم الشرعى فى الميراث كله أو بعضه . نعم إن حياتنا الاجتماعية محوطة بظروف غريبة قد تحول دون استيحاء الشريعة الغراء فى جميع أعمالنا ، لأن تقاليدنا المتوارثة قد تقف عثرة فى هذا السبيل ، ولكن الكاتب الاجتماعى يجب أن تدفعه رغبة الإصلاح كما

تدفعه الغيرة على سلامة الأسرة من الانحلال والتأخر والفساد إلى محاربة تلك الأهواء والشهوات التي تهوى بالأسرة إلى قاع التنازع والخصام .

و إذا كان الشارع المصرى قد نص فى القانون المدنى فى المادة ٢٦٣ على أن بيع الحقوق فى تركة إنسان على قيد الحياة باطل ولا يرضاه فما كان ذلك إلا تطبيقا لهذا الأصل المتقدم الذكر و أحد مواطن تطبيقه .

ويسرنا أن نقول إن محكمة النقض المصرية لم يفتها ذلك فقررت " أن كون الإنسان وارثا او غير وارث وكونه يستقل بالأرث أو يشرك فيه غيره إلى غير ذلك من أحكام الإرث وتعيين الورثة وانتقال الحقوق فى التركات بطريق التوريث لمن لهم الحق فيها شرعا كل هذا مما يتعلق بالنظام العام والتحيل على مخالفة هذه الأحكام باطل بطلانا مطلقا لا تلحقه الإجازة ويحكم القاضى به من تلقاء نفسه فى أية حالة كانت عليها الدعوى[1] " .

وصفوة القول أن كل ما أرجوه أن أثير حركة فكرية واسعة النطاق بين طائفة من علماء الدين والمشترعين ليردوا من تحدثه نفسه بالانحراف عما جاءت به مبادئ الشريعة الإسلامية لأسباب عاطفية أو شخصية فى تصرفاته بالقياس إلى أولاده الذكور او الإناث ، خصوصا أن الإسلام جاء ليكون دينا عاما لا لأمة خاصة ولا لزمن خاص فنظم العلاقة بين العبد وربه كما واجه كل مرافق الحياة الدنيوية وتعرض لأسسها فنظم الأسرة ووضع القواعد التى تنير للناس السبيل فى الحياة فقال تعالى :

" يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ " .

وحبذا لو ألفت وزارة الشئون الاجتماعية لجنة من كبار المصلحين لمحاربة هذه التفرقة وتطهير البلاد من شرورها بإظهار مقاصد الشريعة وأغراضها ومراميها للناس ، لأن الأسرة فى اعتبارى هى العمود الفقرى لكل أمة حية ناهضة .

عطيه مصطفى مشرفه

## أقوال العرب فى حب البنين

غضب معاوية مرة على ابنه يزيد فأرسل إلى الأحنف بن قيس فسأله عن رأيه فى البنين فقال " عمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فاعطهم وإن غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك" فقال " لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت علىّ و فى قلوبهم غضبا على يزيد فسللته من قلبى " .

وقال المعلى الطائى :

| | |
|---|---|
| لولا بنيات كزغب القطا | خططن من بعض إلى بعض |
| لكان لى مضطرب واسع | فى الارض ذات الطول والعرض |
| وإنما أولادنا بيننا | أكبادنا تمشى على الارض |

(١) الطعن رقم ٢ سنة ٤ قضائية منشور فى ملحق مجلة القانون والاقتصاد السنة الرابعة العدد الثانى ص ٢٠٥ — ٢١٠

# الصناعة المصرية

## كيف ندعمها ونرقيها ؟

للأستاذ س . م

يستطيع المرء أن يشك فى نجاح أو لجدوى المتكررة فى لاصلاح الاجتماعى فى القرية المصرية بين لصناعيين أو لمتصلين بالصناعة برهانا على أننا نسير بخطوات قد تكون بطيئة ولكنها أكيدة نحو التطور لاقتصادى الذى سارت فيه الأمم لأوروبية . فان أعظم العقبات التى تعترض نمو الصناعة المصرية فى الوقت الحاضر هو ضعف القوة الشرائية بين الفلاحين الذين يمثلون أكثر من ثلاثة أرباع الأمة . ولا يمكن أن تنهض صناعة على القواعد والأصول العصرية إلا إذا كانت تنتج لاستهلاك العظيم لسواد الأمة، هذا لاستهلاك الذى هو مميزة الآلات العصرية . وما دام الفلاحون عاجزين عن أن يشتروا هذه المنتجات فان الصناعة المصرية لن تجد الدافع الذى يهيئ لها النجاح ويقويها على الثبات وتنميها وترقيها . وما دام الفلاح لا يشترى كرسيا أو مائدة أو صحاف ولا يزدان منزله بالمرآة أو الصورة أو السرير أو لمراتب أو السجاجيد أو الخزائن ، وما دام هو وأعضاء عائلته لا يلبسون الحذاء أو الجوارب ولا يفاخرون بالقماش نعلى ولا يلبسون من الملابس غير البفتة الساذجة . نقول . إذا كانت هذه حال الفلاحين الذين يتكون منهم سواد الأمة فان الصناعة لن ترتقى لأن المصنوعات من تجد من يشترونها بالكثرة الساحقة التى تحتاج اليها المصانع العصرية لكى تعود أرباحها بالوفرة التى تغرى الجمهور بالاقبال على أسهمها فتنمو وتتكاثر .

فالدعوة الى لإصلاح لاجتماعى بين الفلاحين هى أيضا دعوة الى تأييد الصناعة وتنميتها . ولذلك نعتقد أننا فى السنوات القادمة سوف نجد دعوة البر بالفلاح ينهض بها الصناعيون ورجال الصناعة فى مصر . لأن هذا البر يقوى الفلاح على الشراء ويفتح الأسواق المحلية للمنتجات الصناعية .

ومما يجدر ذكره ويجب ألا ننساه فى تاريخنا الاقتصادى فى لمائة أو لخمسين سنة لماضية أن صناعتنا اليدوية قتلت قتلا ذريعا دون أن يهيئ الميدان للصناعات لآلية . بل وجدت المصانع لعصرية التى تعتمد على لآلات بعقبات من حيث الأنظمة الادارية تجعل تأسيس المصانع شاقا ، بل أحيانا متعذرا كما وجدت من جواز لمصنوعات الأجنبية الى مصر بدون تكاليف جمركية إلا القليل الذى لا يزيد على ثمانية فى لمائة من ثمن الواردات عقبة

أخرى تمنع نشوءها فى خطواتها الأولى التى تحتاج إلى الرعاية و الحماية . فإن الانقلاب الصناعى فى أوربا ، الذى يقصد منه زوال الصناعات اليدوية وقيام الصناعات الآلية مكانها ، هذا الانقلاب قد تم فى مصر ولكن بصورة أدت إلى خراب ذلك أن الأمم الأوربية أقامت مصانعها الآلية الجديدة واستخدمت فيها العمال اليدويين السابقين فلم تخسر شيئا بل كل ما حدث لها أن تغير أسلوب الانتاج فيها من اليد البشرية إلى الحديد والنار وزاد الإنتاج أكثر من قبل فزادت ثروتها . أما فى مصر فإن الصناعات اليدوية قد زالت دون أن يمهد الطريق لإيجاد الصناعات الآلية ، بل قنع الموكلون بأمرها بفتح أبواب الجمارك المصرية فصارت المصنوعات الأوربية تدخل عندنا بلا حساب و بأخف الأعباء الجمركية فتباع فى أسواقنا فى المدينة والقرية وتجعل الصانع اليدوى لا محل له فى الدورة الاقتصادية فلا هو قادر على أن يمارس صناعته القديمة بيده مستقلا فى حانوته الصغير ، ولا هو قادر على أن يلتحق بالمصنع الحديث لكى يعمل فيه بالأجر الوافر . لأن هذا المصنع الحديث لم يكن فى القاهرة أو فى أية مدينة مصرية أخرى بل كان فى مدن الأقطار الأوروبية و الامريكية .

قلنا إن عقبات الصناعة المصرية العصرية أى التى تعتمد على الآلة دون اليد كثيرة . منها ضعف القوة الشرائية عند الفلاحين . ومنها — إلى وقت قريب — فتح أبواب الجمارك المصرية لدخول الواردات الأجنبية . ولكن هذه العقبة الثانية قد عولجت إلى حد ما فصارت مصلحة الجمارك تنظر إلى فائدة الإنتاج المصرى وترفع وتخفض فى المكوس الجمركية وفقا لمقتضيات هذا الإنتاج . على أن هناك عقبة أخرى لا يمكن أن يستهان بها . ذلك أن المصنع المصرى يحتاج إلى أن يستوفى شروطا هندسية وصحية يجد أرباب المصانع فيها عنتا عظيما كما ينفتح الباب للتأويل والتحريج فى التفسير فى هذه الشروط يجعل الانصاف بعيدا عن التحقيق . وحسبنا أن نعرف أن هذه الشروط ترجع إلى سنة ١٩٠٤ حين كانت النية تتجه نحو قصر النشاط الاقتصادى فى البلاد على الزراعة و إهمال الصناعة إهمالا يكاد يكون تاما . ويكفى القارئ أن يعرف أن من هذه الشروط ألا تخفض أرض المصنع عن أرض الشارع الذى يقوم عليه . وكثيرا ما قال أرباب المصانع إن موظفى الحكومة أنفسهم يؤدون واجباتهم فى غرف تنخفض عن مستوى الشوارع التى حولهم بنحو متر ونصف ، لعمال الذين فى المصانع ليسوا أنعم من الموظفين وأن الآلات الثقيلة تحتاج إلى أرض ثابتة فلا يمكن أن تقام على سقف ، وإن المبانى فى مدينة كبيرة مثل القاهرة لا يخلو مبنى كبير منها من "بدرون" فيجب أن يسمح لهم بإقامة الآلات فى هذه "البدرونات" ولكن هذه الاحتجاجات لم تجد إلى الآن المدرس الكافى من ولاة الأمور . وهناك أيضا قانون قديم ينص على أن الشركة المساهمة يجب أن تتألف على الأقل من ألف سهم ثمن كل سهم منها أربعة جنيهات . فالمبلغ الابتدائى الذى يجب تكوينه لإنشاء شركة جديدة مساهمة هو أربعة آلاف جنيه على الأقل .

وهذا مبلغ ضخم لا يجرئ الممولين على استثمار أموالهم فى الصناعة، ولسنا نشك فى أن حكومتنا لو عمدت إلى درس القوانين الخاصة بإنشاء الشركات وتأسيس المصانع فى الأقطار الأجنبية لوجدت الوسائل المختلفة للتيسير على الممولين والصناعيين وتجرئتهم على إنشاء المصانع فى بلادنا . فان مما يؤسف له كثيرا أن ينشئ أحدنا مصنعا لصنع الجبن مثلا. فإن أقام آلاته زاره مندوب من وزارة الصحة ثم آخر من وزارة أخرى ثم بعد أن ينفق النفقات الباهظة يقال له إن الشروط — وهى كما قلنا تعود إلى سنة ١٩٠٤ — لم تستوف . فعليه أن يخرج من مكانه ويختار مكانا آخر . ثم يقضى الشهور بل أحيانا السنوات قبل أن يمنح رخصة لمصنعه .

على القرب منا فى فلسطين ، أنشأ اليهود مئات المصانع التى تورد إلينا الآن العقاقير وغيرها من المصنوعات التى كان يمكننا أن نصنعها فى بلادنا لو أننا كنا قد وجدنا الحماية الجمركية منذ عشرين أو ثلاثين سنة والتيسير فى إنشاء المصانع وتأسيس الشركات . ولو كنا قد عنينا بالترفيه عن الفلاح حتى تزيد قوته الشرائية . ولو أننا قد فعلنا ذلك لما كابدنا هذا الغلاء الذى يكاد يحرم بيوتنا من أدوات الحضارة العصرية . فقد ارتفعت أدوات المائدة كالصحاف والشوك والسكاكين كما ارتفعت أثمان العقاقير وغيرها إلى خمسة أضعافها وأحيانا عشرة أضعافها . فنحن الآن نشترى الصحفة بخمسة قروش ولم يكن ثمنها يزيد قبل الحرب على قرش واحد. ونشترى بعض المستحضرات الطبية بمائة قرش ولم يكن يزيد ثمنها قبل الحرب على عشرة قروش، بل إننا قد عدمنا أحيانا بعض حاجاتنا المنزلية والمكتبية والطبية لأن صعوبة الملاحة فى هذه الحرب قد جعلت نقلها إلينا من الأقطار الأجنبية شاقا أو متعذرا . ولو قد كنا وجدنا التيسير والتشجيع لما وقعنا فى هذه الحال التى نكابدها الان . ففى الحرب الماضية ارتفعت أثمان الزجاج والأقمشة حتى كان بعضنا يكسر القنينة لكى يحيلها إلى كوب للشرب ، لأن الأكواب كانت قد بهظت أثمانها إلى حد عجز معه الفقير عن شرائها ، وكذلك الحال فى الأقمشة حتى كانت طاقة البفتة تبلغ السبعة أو الثمانية من الجنيهات .

أما فى هذه الحرب فقد توافرت لنا أكواب الزجاج والأقمشة بفضل المصانع المصرية التى تصنعها . ولكن هنالك عشرات من المصنوعات تحتاج إلى من يقوم بتأسيسها لكى تغنينا عن الواردات الأجنبية وتفتح أبواب الرزق لآلاف بل ملايين العمال المصريين وترفع المستوى الاقتصادى العام للأمة كلها فتنتشر الحضارة الصناعية ، حضارة العلوم التى لا يمكن أمة أن تصف نفسها بالتمدن إذا خلت منها . وقد قضى كاتب هذه السطور أكثر من عشرين سنة وهو يحض على الأخذ بالصناعة المصرية التى تتجسم فيها العلوم والتى تنبنى على الاختراع والاكتشاف وتزيد الثروة العامة وتجعل التعليم العام الراقى ممكنا والقوة الدفاعية موفورة حين تأخذ المدينة مكان القرية وحين تنتشر المصانع فى أنحاء البلاد، كل مصنع منها مدرسة بل جامعة لتدريب الذهن واليد على قواعد الثقافة العلمية الجديدة ».

"س . م"

# صور من القاهرة المجهولة

## على أنجاد أبي السعود

للأستاذ محمد عبد الكريم

. . . عتريس أو المعلم عتريس عامل من عمال المدابغ الذين أفنوا شبابهم فى شغل شاق. حتى إذا أضنى الوحل والماء الآسن سيقانه، وأوشك فساد الهواء أن يأكل صدره وأجفانه تخلى عن العمل أو تخلى العمل عنه . وقبع فى مقهى بحى فم الخليج يلتمس رغيف الخبز من بيع يتوسط فيه أو من دلالة مسترشد عن شىء يبتغيه . وهو محدث لبق . يحدثك على جهله حديث العارف الحكيم . وقد وسع رأسه من مختلف العلوم والفنون مالم يجتمع لسواه . ينظم الشعر ويرويه . . . وينشئ الخطاب الجامع ويلقيه . . لا بل يؤلف تاريخ من وحى خياله . . . ويحكيه . . . ! !

عرفته إذ تطوع لمرافقتى وإرشادى فى جولة لى بتلال زينهم . وأبيت من يومها أن أتخلى عن صحبته فى جولاتى بأطراف البلد . وإذا كان فى كشف خفايا القاهرة وحباياها مشقة أو صعاب فالفضل فى تذليلها راجع لصحبة عتريس . . .

بين المصانع : بدأنا السير من فم الخليج بجوار سور العيون الأثرى قاصدين حى أبى السعود ، وقد رميت بزيارة هذه المنطقة الى غايتين : الأولى دراسة حال عمال الصباغ بعد أن جلوت أمر عمال المدابغ فى مقال سابق ، والثانية الوقوف على ما فى إقامة المصانع بتلك الجهة من أثر فى صحة الأهلين ، وعرض أسباب علاج تلك الحال .

واتخذنا سبيلنا إلى التل حتى بلغنا منطقة المصانع ، هذا مصنع لفحم الحيوانى تملكه شركة أجنبية تعنى بجمع العظام من المذابح وغيره وتبعث بها إلى معامل شركة السكر للاستفادة منها فى عملية التكرير ، تجاوره مخازن شركة الأمعاء ومخازن الخرق البالية ، وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المخازن فى مقال سابق ، و يقابل مصنع الفحم معمل كيميائى لشركة الأنجلو اجبشيان لتوريد وقد اختص بجمع الدماء من المذبح وتجفيفها واستخراج مادة الألبومين Olbomine الهامة فى عملية تكرير السكر ، كذلك ترد على هذا المعمل جميع الأسماك التى تتعفن بالأسواق ليجففها و يستخرج منها المادة الكيميائية المعروفة بجوانو Guano و يحيل بقايا ما ينتج سمادا عضو يا نافعا يبيع الطن الواحد منه بثمانية عشر جنيها إذا كان من بقايا الدم وعشرة جنيهات لبقايا الأسماك .

و بالمعمل عمال قليلون بعضهم من الرجال والبعض من النساء والبنات و يتراوح أجر الرجل فى اليوم بين ستة وتسعة قروش وأجر المرأة بين ثلاثة وأربعة قروش .

لم أطق البقاء فى مخزن هذه الشركة، حيث الدماء والأسماك المتعفنة، فقد ضاق صدرى واحتبست أنفاسى وخرجت أسائل نفسى : إذا كان هذا حال ما عسى أن يفعل أولئك المساكين من رجال ونساء وأطفال ، أولئك الذين يقضون العمر فى هذا الجو الفاسد الخانق لقاء أجر لا يفى بما يسد الأود أو يستر الجسد ؟

فإذا تركت هؤلاء ورجعت البصر إلى الذين استخدموهم ، إلى أولئك الأجانب الذين لم يدعوا شيئا مهما حقر وضؤل دون أن يستفيدوا و يفيدوا منه، أكبرت فى القوم عزمهم، وحييت فيهم نشاطهم، وتساءلت أين نحن من هؤلاء وأين أبناؤنا الذين درسوا الكيمياء من خريجى كليتى العلوم والزراعة، ولم لا يعنون بمثل هذه الأعمال . وإذا كان الأجانب قد سبقونا إلى مذبح العاصمة فأفادوا من كل ما يتخلف من نفاياته و بقاياه بل من أتربة التلال خلقوا صناعة رابحة فحرى بالإخصائيين من أبنائنا أن يجاروهم ما استطاعوا على أنى إذ ألوم الشباب أعتب كذلك على أولئك الأغنياء من رجالنا الذين قبروا أموالهم بين جدران الخزائن فحرموا أنفسهم كسبا وفيرا وأساءوا إلى أبناء وطنهم وقصروا عليهم بالبطالة بعد أن بذل هؤلاء فى سبيل العلم كل ما يملكون من جهد، وأنفق الآباء من أجلهم كل ما وصل الى أيديهم من مال.

فى مصنع السماد : اليوم الثلاثاء، يوم زيارة أبى السعود، و لنسوة يملأن المكان، وقد اكتظت الساحة على سعتها بالناس ، وكأنى بهم يحتفلون بمولد ولى ، أو يسعون إلى وليمة غنى .

هذا هو " الحاوى " ينفخ فى البوق ، وذاك " أدباتى " يضرب الدف و يلقى المواعظ منظومة ومنثورة، وذاك " قرداتى " جمع الناس حوله ، وفى جوار هذا الحفل الضاحك اللاهى يقوم فريق من العمال بعمل من أشق الأعمال ، عمل يحترق له القلب ويخبو له نور العين ، هؤلاء هم عمال السماد الذين يعملون فى نقل المواد البرازية و يتولون خلطها بالأتربة لتصير سمادا نافعا .

صعدنا إلى التل حيث يقوم المصنع ، حتى إذا بلغنا بابه استوقفنى مشهد حصان ملقى على الأرض فمضيت أتأمله و إذا بفترس يصيح من ورائى " جرى إيه يا افندى ... حصان ميت قدامك .. حا تتبلى عليه ... والا واقف تقرا الفاتحه على روحه ! ! " وقد أحضر هذا الحصان إلى المصنع لتقطيعه وصهر لحمه والانتفاع به كسماد عضوى .

ذلك بأن المصنع يقوم على عملين : الأول نقل الأتربة من الجبل وخلطها بالمواد العضوية التى يؤتى بها من مخلفات المذابح وما تحمله عربات الكسح من مجارى المنازل

التى لم توصل بعد بالمجارى العامة ، والثانى إعداد مواد عضوية إضافية وخلطها بالأتربة لإكساب السماد قوة وقيمة ، وقد عمد المصنع لتحقيق الغرض الأخير إلى تسلم الحيوانات النافقة حيث تقطع ثم تلقى فى مصاهر كبيرة فتذيبها النار وتسيل فى مجار خاصة إلى أن تصب فوق سطح منبسط بالتل لتخلط بالتراب وتصير سمادا ، كذلك يلقى فى هذه المصاهر كل ما يطلب إعدامه من اللحوم الفاسدة التى يبعث بها مذبح العاصمة ، وأجور عمال المصنع ستة قروش يوميا فى المتوسط ، وبه عاملتان أجر الواحدة أربعة قروش .

خرجنا من المصنع فاستقبلنا الحارس وكان المرض بادیا على وجهه ، سألته عن حالته فقال : مريض ، قلت : من لرائحة طبعا ، فأطرق المسكين . ولاحظ الرجل أنى أدون ما يقول فأوجس خيفة وصاح يحاول استدراك الأمر ... " لأ يا افندى أنا مش عيان من الريحة دا انا صحتى بتيجى عليها وحياة النبى ..." واضطرب الرجل وتوسل إلى " لا أذكر ما يسىء عن المصنع ، مؤكدا أن الشركة "شايله عمالها على الكفوف" وأنه رب عائلة ولا يقوى على غضب الرؤساء .

ومرت بنا عربة من عربات الكسح ، وقد راعنى أن رأيت الحارس يبادر إلى نقل بعض ما بها و يودعه حوض الشرب جواره !! ، ولاحظ عتريس دهشتى فبادر إلى تبديدها إذ أخبرنى أن هذه هى الطريقة التى تنقل بها الشركة الماء لعمالها فى إجبل و إن كانت قد أعدت صنبورا لشرب عمال حظائر الخيل .

فى حظائر الخيل : وانتقلنا إلى بناء آخر يجاور مصاهر اللحم تأوى اليه خيول وعربات الكسح وفيه بعض العمال يرأسهم موظف أجنبى اسمه مسيو جيز .

استقبلنا الموظف استقبالا حسنا ، سألته عن حاله وكيف يتحمل هذا الجو الخانق فقال : إنه أمضى فى هذا المكان سنين طويلة دون أن يتأثر أو يتضرر من شىء . وتأملت عينى محدثى فرأيتهما تنطقان بما ينقض قوله ، فعيناه ككل عيون الذين يعملون بتلك الجهة ذابلة محمرة الأجفان متطايرة الأهداب . ولا عجب إذ يصيب القوم ما يصيبهم فإن ساعة واحدة قضيتها بينهم خلفت لى ألما فى عينى وضيقا فى صدرى لازمنى أياما طوالا .

ومضى المسيو جيز يشرح لى عمل الشركة فقال إنها تعد السماد المعروف بالكفرى وتورده إلى المزارعين الذين يحتاجون اليه ، وخاصة فى زراعة القمح والذرة ، وهى تدفع لمصلحة المذابح أجرا و إتاوة يسيرة عما تستخرجه من الأتربة . وقد أشار الرجل إلى أثر حرمان الشركة من الدماء التى كانت تحصل عليها من المذبح بعد أن أعطى التزام هذه الدماء إلى شركة الانجلو التى أشرنا إليها فى مستهل هذا المقال .

واسترسل مسيو جيز فى الحديث فتساءل عن سر اهتمامى بأمر العمال وأحوالهم قائلا : إنه يحسن بالحكومة قبل أن تنتقد القذارة وسوء النظام الصحى فى مناطق العمل أن تعنى بصحة الفلاح وأن تنقذه مما يحيق به من أخطار بإعداد المستشفيات و إمداده بالماء النقى وأن تعد له المسكن الصحى بدلا من أن تتركه يبيت مع حماره وجاموسته . قلت إن الحكومة بدأت تعمل لعلاج كل ما ذكرت ، واذا كان الفلاح لم يبلغ بعد المستوى الصحى اللائق فليس فى هذا ما يبرر إهمال أمر العمال والصناع وتركهم يشقون بما هم فيه ، فالعمال كالفلاحين عماد الثروة ودعائم الإنتاج .

على قمة التل : تركنا الحظائر وودعنا مسيو جيز خير وداع ، وانتقلنا إلى التل نسعى إلى عاليه لنشاهد العمال بمناطق العمل ، ومر بنا فى طريقنا بعض النسوة فاستفسرت من عتريس عن وجهتهن فقال إنهن ذاهبات إلى مصاهر اللحم ليشترين أجزاء من لحوم الخيل النافقة لاستعمالها فى " الشبشبة " وأعمال السحر .

وسرت وعتريس خلفى يجر ساقيه جرا حتى بلغنا مناطق استخراج الأتربة ، وكان العمال منهمكين فى عملهم . حيياهم فردوا التحية بأصوات خافتة وأنفاس محتبسة ، من فرط التعب . وعمد عتريس الى رابية عاليـة تشرف على الوادى الفسيح ومضى يتأمل الفضاء وماتكشف عنه وانطلق ، إذ أثارت الطبيعة شاعريته ، يحيى العمال شاديا ببعض المواليا والأزجال .

حالة عمال السماد : وعمـال السماد ، كبقية عمال الحى ، يعمل أكثرهم بما يسمى الطريحة ، فهم لا يتقاضون أجرا ثابتا و إنما يتوقف أجرهم على مقدار ما ينجزه كل منهم ، لذلك تراهم فى عملهم دائبين متهالكين ، وهم رغم ما يبذلون من جهد لا يكادون يحصلون طيلة يومهم من الصباح الباكر إلى الغروب على أكثر من ستة قروش .

وقد شكا الى العمال مر الشكوى من قلة الأجور وتساءلوا أين : علاوة الغلاء التى فرضتها الحكومة على الشركات ؟ وقال أحدهم إن لديه خمسة أولاد ، و إنه مع عمله الشاق لا يتناول غير وجبتين ، وكل ما يسعى إليه أن يتمكن من الحصول على " اللقمة والهدمة " .

أما حالة العمال الصحية فهى أسوأ ما يتصوره العقل ، فلقد أثرت فيهم الروائح الكريهة التى أفسدت الهواء وكذلك الأتربة التى تثار حول العمال أسوأ تأثير ، فأنت لا ترى إلا أشباحا تتحرك تحمل التراب بأذرع واهنة ووجوه مصفرة وعيون كاد الفساد يذهب ببريقها ، ولست أعدو الحق إذا قلت إن العمال قد بلغوا دركا أحط من درك السـائمة فصحتهم رخيصة وحياتهم لا قيمة لها ، واذا انهار جرف من التل على أحدهم فقتله حسب ذويه أن يتسلموا عائلهم جثة هامدة ليواروه فيما كان يعمل فيه طول حياته من تراب .

لسنا ننكر أن الحكومة قد بذلت وتبذل فى سبيل العمال الكثير، وأنها أصدرت القوانين المختلفة لرعاية العامل وضمان راحته وصحته ومستقبله، ولكن المسألة ليست مجرد إصدار شرائع وسن قوانين، فقد عرضت فى هذا المكان حياة كثير من طوائف العمال، وجلوت ما يحيق بهم من بؤس وما ينتظرهم ويتنظر ذويهم من مستقبل مظلم، نقول ليس الغرض سن قوانين يقتضى إعدادها سنين طويلة حتى إذا صدرت قنعنا بصدورها لنجيب السائل إذا سألنا عن عمالنا " العمال هنا بخير وها كم قوانين العمل التى صدرت لصالحهم " إنما الغرض من هذه القوانين تنفيذها ووضعها موضع الاعتبار وأخذ المقصرين من أصحاب العمل بالشدة حتى يعرفوا مكان الرجل الذى يخلق لهم الثراء ويدر لهم الخير فيطعموه كما يطعمهم ويسعدوه كما يعمل لإسعادهم .

فى حى أبى السعود : وعدت ورفيق ورائى يتعثر فى مشيته حتى بغنا منطقة المساكن، فاذا نحن فى حى كبير: بيوت حديثة فى شوارع منظمة يقوم هذا الحى الكبير وسط هذا الجحيم القاتل، فالتلال بما حوت من مدابغ ومصانع ومحارق تحيط به، وقمائن الجير وفواخير القلل تثير دخانها عليه، ولست أدرى كيف أذنت مصلحة التنظيم للناس بالبناء فى هذا المكان؟ إن الواجب ليقضى بوقف تجديد رخص لمنشآت الصناعية بعد أن زحفت المساكن نحو التل ووجهته، وأكبر الظن أن من الميسور إلزام الكثيرين من أصحاب المحلات الخطرة الانتقال إلى داخل التلال مادام تجديد الرخص رهن إشارة الحكومة .

والذى نراه فوق ذلك أن تقوم الحكومة بغرس الأشجار فى المنطقة التى تفصل المصانع عن المساكن وخاصة حول مسجد أبى السعود لتلطف الهواء الذى ملأه الفساد وتخفف بعض مافيه من سموم وأضرار .

وقبل أن أختتم هذا البحث أود أن أوجه نظر ولاة الأمور إلى ما سبق أن أشرت إليه فى مقال سابق من ضرورة التعجيل بإتمام مشروع إزالة التلال المحيطة بالقاهرة لأن هذا المشروع فضلا عما فيه من تجميل للمدينة وحفظ لصحة أهليها رابح منتج وبخاصة فى هذه الآونة التى ارتفع فيها سعر السيد وأصبح السماد الكفرى هاما ومطلوبا فى الزرعة .

نحن نرجو ألا نضيع الفرصة فى مباحثات لجان تنعقد وتنفض . فالمشروع قد كمل من قبل بحثا وتمحيصا، وليس أمامنا إلا العمل والتنفيذ ؟

محمد عبد الكريم

# أيها الأطباء

فى الإحصاء الرسمى للمهن أن المشتغلين بالطب البشرى بلغ مجموعهم ٤٢٤٣ فى نهاية سنة ١٩٣٩ ( يدخل فى هذا العدد أطباء الأسنان وهم يزيدون على الستمائة .

أولئك هم الذين يخدمون أجسام سبعة عشر مليونا من الأنفس ، فلو وزعوا بالعدل على عدد السكان لكان على كل طبيب أن يعالج أكثر من أربعة آلاف مريض كل عام ، فأنت ترى أننا مأزومون فيمن يعالجون أجسامنا ، لكن هناك أزمة أشد وأبلغ فقد بدا لى أن أضع أمامى " دفتر التليفون " وأحصى عدد أطباء القاهرة فإذا هم نحو ألف وستمائة عدا من ليست لهم تليفونات ومن يعملون فى " عيادات " كبار الأطباء ، ومعنى هذا أن نحو نصف أطباء القطر كله محتشدون فى العاصمة وحدها ، ولا شك أن الإسكندرية وهى العاصمة الثانية تستأثر بعدد عظيم من النصف الباقى ، ولا يزيد سكان المدينتين معا على مليونين ونصف مليون ، فالأطباء القائمون على علاج بقية المدن والقرى ، أى على علاج خمسة عشر مليونا من الأنفس ، لا يزيدون على الألف إلا قليلا .

هذا سوء توزيع بغير شك ، ويزيد هذا السوء وضوحا أن هذا العدد الضئيل من الأطباء الموزعين على مدائن مصر وقراها ، يقيم فى المدن وحدها بحكم الوظيفة الأميرية ، أما القرى وهى أربعة آلاف قرية ، فمن المتعذر أن تعثر فى إحداها على " عيادة " لطبيب .

ولم نصل بعد إلى مستوى الأمم التى تنتشر فى قراها الجمعيات التعاونية الناجحة ، التى تقيم على نفقتها مستوصفا وتستخدم طبيبا وصيدليا وزائرة صحية ومخزنا للأدوية بل نحن فى كل شأن من شؤون الإصلاح ننتظر الحكومة حتى تعمل ، وننتظر القوانين القاهرة حتى تصدر وتنفذ ، وليست الحكومة بقادرة على كل شىء إلا أن تجد من عواطف الشعب مؤازرة وتأييدا .

صحيح أن مشروع المراكز الاجتماعية يكفل للقرى وساكنيها مزيدا من العناية بالصحة ولكن بيننا وبين تعميم هذه المراكز مدى بعيدا ما دامت موارد الدولة محدودة وأعباء الخزانة جساما .

ودونك مظهرا آخر من مظاهر سوء التوزيع حتى فى المدينة الواحدة ، فإن شارع شبرا وحده يختص بنحو مائة طبيب ، وشارع فؤاد الأول يزدحم بمثل هذا العدد ، وقل مثل هذا وذاك عن ستة شوارع أخرى أو سبعة ، أما بقية أحياء المدينة وشوارعها فمحرومة من كفايتها من الأطباء ، والحال كذلك فى الضواحى أو فى أكثرها .

لم هـذا ؟ ولم لا يوزع هؤلاء الأطبـاء أنفسهم على الأحياء والمنازل ليجد كل منهم كفايته من المرضى ومن الرزق ، بدلا من التزاحم على مرضى معدودين ورزق محدود !

ولم لا يورعون أنفسهم على مدن الريف وقراه ليخدموا الناس ويخدموا أنفسهم ، ولا يتركوا الملايين من الفلاحين والعمال فى عهـدة الحلاقين والدجالين من محترفى الأجسام ووصافى العقاقير وكتاب الحجب والتعاويذ .

هل من الضرورى للطبيب أن يعيش فى عالم المتاع والترف ؟ وهل لابد من سيارة وصالة وكباريه ! ومن أين يجدون نفقات هذه المباهج اذا كانوا يعطلون أرزاقهم بمثل هذا التزاحم السخيف ؟

وهل هانت علينا مساقط رءوسنا ومنابع نعمتنا فأصبح المتعلم يشمئز من سكناها ؟

أليس المتعلمون والمثقفون والمتحضرون جديرين أن يفيضوا على اخوانهم وأهليهم الثاوين فى القرى بعض ما أوتوا من علم وثقافة وحضارة ، لتكون نعم الحياة قرضا متبادلا بيننا نحن الحضريين وبين إخوتنا الريفيين ؟ ! يحرجون لنا طيبات الأرض وثمرات الحقل ويؤدون الضرائب التى تدر على الموظفين مما مرتباتهم ، ونقدم إليهم نحن العلم الذى يصون عقولهم ويهذب نفوسهم والطب الذى يحفظ أجسامهم من العلل ، ويزيدها قدرة على العمل والإنتاج . أما أن نستنزف ما لديهم من خير ، ولا نرد إليهم الجميل بخدمة تؤديها فهذا عين الأنانية وعين العقوق .

أفلا ندخل مدن الريف إلا موظفين؟ أى أننا إذا لم نخضع لإرغام القرارات الوزارية ولسحر المرتب ، لم نخضع لمعنى وطنى ولا لحافز أخوى ولا لباعث إنسانى ؟!

وهل علم أطباؤنا أن مما شرعه العهد الكمالى فى تركيا ألا يعين الطبيب موظفا فى الحكومة إلا اذا أقام مدة معينة فى الريف ؟

إلى القرية أيها الأطباء ، فان الأرماد تعمى عيون إخوتكم ومواطنيكم ، والأوبئة المختلفة تفتك بأجسامهم ، وهم فى حاجة إلى مقامكم بينهم ليتعلموا منكم النظافة والأناقة والذوق السليم .

إلى القرية تجدوا الزرق وافرا والعمل لذيذا والحياة ناعمة وديعة .

إن المدينة إذا ضمنت لكم بعض مباهجكم ، لا تستطيع أن تكفل كل مطالبكم ، وليس الرزق إلا فى كنوز الأرض ، وهو مهيأ لكم فاسعوا إليه إن كنتم بأنفسكم أبرارا ما

# التاجر المصرى
# كما يجب أن يكون

للأديب عبد الحميد المشهدى

صدع تفرع عن الإنحلال الخلق العام ، وذلك هو فقد الثقة فى نفس التاجر ، أو التاجر المصرى ، فتحولت عن يده التيارات الرئيسية للتجارة ، وأعرضت عنه ينابيع الكسب إلى سواه ، ولما يزل يعانى ويكابد كلما باع أو اشترى ، وما زال يتوسل لادعاءاته بمختلف الأيمان ليصل إلى مكان التصديق من نفس عملائه ، وهم منه قبل الشراء فى تردد وخوف ، وبعد الشراء فى كراهة ونفور . وهيهات بعد ذلك أن يدرك فى ساحة السبق والتنافس زميله الأجنبى ، حل بلادنا فقيرا من المادة ، غنيا ببعض مظاهر الخلق الإسلامى ، فحول إليه الأنظار بصدقه فى القول ، ونال رضا معامليه بأمانته فى المكيال أو المقياس أو الميزان ، وجذب الناس بحسن إدارته وجمال تنسيقه ومتابعة كفاحه ونظافته ، فاغتنى فى سرعة وأثرى ، وأصبح من ذوى النفوذ فى بيئته والسلطان . . . وصاحبنا المصرى لا يزال يدعى ويقسم ويعنى ويكد ، ويتدهور وينكمش ، وتطفح على مظاهره علائم العوز والفاقة ثم لا يلبث أن تقع عينه على صرح أو ضيعة لزميله "الخواجه" ! ! فلا يملك إلا أن يضرب كفا بكف ويبعثها زفرات ساخنات تحمل فى طياتها صيغا من الحوقلة أو عبارات النقمة والغضب على المسلمين أو المصريين الذين آثروا الأجنبى الدخيل ، على مواطنهم اللصيق ، وفضلوا الأعجمى الألكن على ابن العروبة والإسلام أو حفيد الفراعين الأماجد . . وكان جديرا به قبل أن ينفس على هذا الأجنبى منزلته وثراءه أن يراجع أسلوبه كمصرى فى البيع والشراء والمعاملة ، وأن يجافى منها مالا ينطبق على تعاليم دينه ، ويحتذى منها ما يتمشى مع شرعة نبيه ، وما جمع الناس حول "الخواجه" شراة وبائعين وبنى له ثروة ومكانة بين المصريين ، وما فتح على الإسلام قديما آفاقا واسعة فى بلاد اليمن والهند والأفغان ومهد له فى قلوب الملايين من سكان جزر الهند الشرقية ، وبين السودانيين والحبشيين . . وشتان بين تاجر أضاف إلى كسبه فى تجارته ثروة من الثقة غالية ، وأفقا من السمعة كريمة ، وكنزا من القلوب ثمينا ، وفتح الإسلام مبينا — وبين تاجر انحسر ظله عن الربح فى الخارج وساءت سمعته بين معامليه فى الداخل . وفقد ما كان ، وما ينبغى أن يكون له ، من ثروة ، ويكاد لا يتصيد لقمة إلا فى بحر من العرق . . .

أجل قد استطاع التاجر الأجنبى ببعض الفضائل الإسلامية أن ينجح النجاح الذى يشتهيه . وإن كان البعض قد تجاوز النجاح المشروع إلى نجاح فى ميدان آخر ، فمزج الحرام

بالحلال . والمباح بالمحظور، واستطاع أن يروج للخمر إلى جوار البقول ، وأن يدخر أقوات الناس إلى أن ترتفع بها نسبة الأسعار . ارتفاعا يرضى نهمه ، وأن يقرض الجنيه للضطرين والمبذرين مقابل ريال في الشهر الواحد ! ! وأن يرهن الضيعة كاملة على ربع ثمنها ثم لا يلبث أن ينتزعها بعد عدة سنين ، ثم لا يكون للناس حديث بعد ذلك ، إلا أن "الخواجه" ، رجل طيب وأمين وصاحب "كلمة واحدة" وهذا كل ما استحق به عند الناس هذه المنزلة وهذا الثراء .

لقد بلغ متوسط ما يملكه المالك الأجنبي نسبة تزيد على متوسط ما يملكه المصرى زيادة أشفق على القارئ الكريم من ذكر أرقامها .

صحيح إن الأراضي المملوكة للأجانب قد نقصت عما كانت عليه منذ ١٥ سنة بمقدار ١٣٥,٠٢٠ فدانا ، ولكن ذلك لم يكن إلا تبعا لنقص عدد الملاك منهم ، فنسبة الملكية لا تزال تحتفظ بمكانها المرتفع على المصريين . وإذا كان الأجانب قد أخلوا جزءا من ميدان الزراعة ، فإنهم قد احتلوا أجزاء فى ميادين الاقتصاد الأخرى ، ونقلوا أموالهم إليها مما لا مجال لتبيانه فى هذا المقام .

نعم . . لقد استطاع التاجر الأجنبي، ومن سار على نهجه من المصريين ، أن يحصل على كل هذه المزايا المادية والأدبية بفضل بعض الآداب الإسلامية ، فكيف لو أخذ التاجر المسلم والمصرى بكل هذه الفضائل والآداب فامتنع :

أولا — عن ادخار الأقوات الضرورية للناس ومستلزماتها فى وقت مست الحاجة فيه اليها انتظارا للكسب الفاحش وإشباعا لجشعه ، من عناء العامل وجهد الفلاح ، وشقاء الطبقات الوسطى ذات الأولاد الكثيرين ، وهذا ظلم عام أدخله بعض العلماء فى وعيد قوله تعالى "وَمَن يُرِدْ فيه بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" فضلا عما فى هذا الادخار من الخمول والاستسلام ، وبطء دورة العمل ، وما أشبه المدخر بقعيدة البيت تنتظر رزقها فى مطالع المواسم ، وخير أنواع التجارة كسبا ، أكثرها استهلاكا وأسرعها دورة.

ولقد روى من أحاديث النهى عن الادخار شيء كثير ، نكتفى منها بقوله عليه السلام: ( من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لادخاره ) وفى رواية أخرى ( فقد برئ من الله وبرئ الله منه). وللتجار المسلمين الأول فى هذا المقام من القصص ما يعتبر آية فى العفة والقناعة، وحسبك أن تعلم أن تاجرا من ( واسط ) علم أن وكيله فى البصرة قد أخر قمحه أسبوعا انتظارا لتحسن الثمن ، فأرسل إليه يأمره أن يتصدق بجميع الثمن والربح وقال عسى أن يكون ذلك كفارة لى يوم القيامة عما حدث .

نعم . . . يجوز ادخار الأقوات إذا كثر الإنتاج وهبطت الأسعار ، ورغب الناس عنها ، إلا بثمن زهيد، كما يجوز إصدارها إلى الخارج طلبا لاعتدال الأسعار ، وحسن الموازنة

بين السلع وقيمتها العادية ، أما في مثل الظروف التي تظلنا هذه الأيام والتي نقص فيها الإنتاج العام لظروف دولية مختلفة ، فما أحدر هؤلاء المحتكرين بعذاب الدنيا : بمصادرة أموالهم وسجنهم وتجريدهم من اعتبارهم ، إلى أن يأتيهم عذابهم الموعود في الآخرة " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم " .

ثانيا — ألا يثني على سلعته ولا يمدحها ، إلا بما قد يخفى على المشتري من أمرها ويهم عليه من شأنها ، لأنه إذا مدحها بما ليس فيها فقد كذب وغش ، وإذا ذكرها بما هو معروف عنها ، كان ذلك فضولا وهذيانا ، والمرء محاسب على كل ما يقول ، قال تعالى : " مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " وإذا كان مجرد الثناء والمديح للسلعة غير جائز من باب أولى لا يجوز تأكيد دعواه بالحلف ، لأنه إن كان صادقا فقد عرض ربه للحلف والله ينهى عن ذلك بقوله "وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ" وإن كان كاذبا فقد جاء بيمين كاذبة ، وفي الحديث " اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع " وفي حديث آخر " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : عتل مستكبر ، ومنان بعطيته ، ومنفق سلعته بيمينه " وأيضا يقول " ويل للتاجر من بلى والله ولا والله ، وويل للعامل من غد وبعد غد " .

ثالثا — ألا يستر على عيب في سلعته دق أو عظم ، وإلا كان ظالما غاشا تاركا للنصح في المعاملة ، وفي هذا أكله استيلاء على أموال الناس وحقوقهم وأكلها بالباطل ، وفقدان لما بقي في النفوس من الثقة بالمسلمين بصفة عامة والتجار بصفة خاصة ، وسوق للتلاعب على كواهل الغير بغير يد لهم في ذلك ، وملء لقلوب الناس بالشك والتردد ثم بالنفور والكراهية والحقد ، وإطعام للأولاد والأهل من فضلات الكذب والخداع والغش ، وحسبك أثره في بناء النشء وتهذيبه ، مما يزيد في تحلل روابط المجتمع ويلوث سمعته عند الأغيار .

رابعا — ألا ينقص من مكيال أو مقياس أو ميزان ولا يطفف فيها ، وأن يبيع بالمعايير التي يشتري بها ، وإلا كان مطففا والله يقول "وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" وكما يكون التطفيف في الكيل يكون في بقية الوحدات الوزنية والقياسية .

خامسا — ألا يرسل من الإشاعات والأراجيف ما يخفي به السعر الطبيعي ليحقق بذلك غرضه من زيادة السعر والكسب ، بل يبيع سلعته بالسعر الطبيعي المتعارف بين الناس ، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنه تصدق

به ، وفى رواية فكأنما أعتق رقبة ". وكما لا يجوز اصطناع الأسعار وتزييف الأخبار عنها ، لا يجوز كذلك " النجش " وهو المعروف بالمزايدة العلنية المفتعلة يقيمها بعض التجار الغاشين إيهاما للبسطاء بأنها بضائع رخيصة بسبب العجز عنها أو تصفيتها أو مصادرتها أو ما يشبه ذلك ، و إيقاعا لبعض السابلة فى حبائل المطامع وأشراك الخديعة ، وفى كل هذا إغراء وغش وترك لنصح المسلمين وهو أمر مأمور به .

سادسا - ألا يروج زائف النقود التى يمكن أن تدلف إليه وتلتبس عليه ، لما فى ذلك من الاضرار المتنقلة بتنقل النقد الزائف فى أيدى الناس ، فيستشرى فساده و يستفحل خطبه . ومن هذا وأمثاله حذر رسول الله فى حديثه " من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها ، لا ينقص من أوزارهم شيئا " . وقال تعالى "وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ" وقال "يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" وليس ذلك إلا ما ترك خلفه من السنن السيئة . فعلى كل تاجر أن يتعرف أوصاف المعادن الصحيحة منها والزائفة ، وأن يطرح ما يمكن أن يلتبس عليه من الزائف فى مثل بحر أو نهر أو بئر أو يتلفه بطريقة ما ، حتى لا تصل إليه يد بعد ذلك .

هذا ما يجب على كل تاجر مسلم أن يتجنبه و يتحاشاه ، منعا للظالم ، وتلافيا للإضرار بالناس ، وبذلا للنصيحة الخالصة للمسلمين ، ولو أضاف كل تاجر إلى ما تقدم روح القناعة فى الربح والرضا منه بالقليل ، لكان فى ذلك استجابة لأمر الله فى معرض العدل والإحسان ، ومدعاة لشهرته بين الناس ، ونفاد سلعته قبل سواه . وأبرك أنواع التجارة ربحا ، وأوفرها ثمرة ، أكثرها حركة وأسرعها دورة . وقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن سبب ثرائه فقال ثلاث : ما رددت ربحا قط ، وما طلب منى حيوان فأخرت بيعه ، ولا بعت بنسيئة .

ومن التجار من يرون فى التجارة طريقا للإحسان الخفى ، فيبيعون للفقراء سلعهم بغير ربح ، أو بربح يسير ، و يمدون لهم أحيانا فى أجل الاستيفاء ، أو يتنازلون عن بعض الديون محتسبين ذلك عند الله ، مغتنمين من دعوة الرسول إذ قال " رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء " وقال أيضا " من أقرض دينا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله ، فإذ حل الأجل فأنظره بعد ، فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة " . نعم هذا ما كان عليه التاجر المسلم بالأمس . ففتح للإسلام بأخلاقه دنيا من القلوب والمشاعر ، وآفاقا واسعة بين الماء واليابسة . وهذا ما ندعو إليه التاجر المسلم اليوم ، ليستعيد مكانة سابقيه ، فى بناء مجده ومجد الوطن والإسلام .

لست من المؤمنين بأسلوب الكتابة وطرق الإقناع وحدهما ، بل لا بد من تداخل الحكومة تداخلا إيجابيا لإصلاح جميع وسائل التعامل ، وقد كان الحال فى اليونان قبل عهد

الزعيم اليوناني متكساس كالحال فى مصر ، فلما تولى هـذا الرجل الحكم سن من القوانين ما حرم به الغش والغلو فى الأسعار والكراء ، واستغلال الغريب ، ثم نظم وسائل التبادل التجارى بين اليونان والبلاد المجاورة لها ، وحرم على الأجنبي العمل فيما يزاحم به المواطن اليوناني ، وقد صنعت تركيا مثل ذلك . وقديما سيرت حكومة السلطان الغورى أسطولا تجاريا ضخما إلى سواحل أفريقيا وآسيا يحمل التجارة صادرة وواردة حين أحست احتكار الأجانب لزمام التجارة الخارجية فى مصر وما يتبعها من الممالك الإسلامية ، وكذلك صنعت حكومة محمد على الكبير فى تجارة بعض الأصناف ، فإذا كانت الحكومة المصرية ترى أن هذا أسلوب قديم ، وأن لدى ولاة الأمور من المهام ما يحول دون الإشراف على مثل هذه المشاريع ، فلا أقل من أن تشجع التجار المصريين وتساعدهم إيجابيا على تملك زمام التجارة الخارجية ، وتسن فى داخليا من القوانين ما يحفظ على المنتج والمستهلك والتاجر حقوقهم كاملة ، لا يعدو أحدهم على حقوق الآخر ، وشعارهم جميعا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا ضرر ولا ضرار " .

صحيح أن ولاة الأمور قد رأوا أن الشر يتفاقم ، وأن المرض يستفحل ، فتداخلوا فى ضبط المكاييل والموازين والمقاييس ثم بثو العيون والأرصاد لمراقبة تنفيذ القوانين الخاصة بذلك ، ثم جردوا حملات صحية لمحاربة الغش والفساد فى الأطعمة والأشربة فنجحت مهمتها إلى حد كبير ، ولكن ذلك لا يزال فى دائرة المدن الكبرى وحدها ، بل لا يزال التشريع قاصرا عن معاقبة كل أنوع الغش والتدليس والخداع ، والسرقة فى المبيع والمشترى ، وإذا كان يعاقب فعقاب دون الجزاء ، وما يترتب عليه من إضرار بالناس وتسوىء لسمعة البلد أفرادا وجماعات . فحبذا لو تسعت دائرة الرقابة ، واشتدت وطأة التفتيش ، وتضاعف الجزاء ، إذن لتبدل الحال غير الحال ، ودرجت مصر إلى مكانها الطبيعى بين العالمين .

ولعله مما يزف إلى صدرنا برد الأمل وراحة الرجاء قيام شركات وأفراد مصريين ، تبدأ حياة جديدة قامت على أساس من الخلق الإسلامى الكريم ، فدرجت ونمت واستوت على سوقها تتحدى عوامل الفناء والتحلل ، وتظل بفيئها عملا ناجحا ، وتطعم من ثمارها آلاف الأسر من طريق كريم .

حبذا لو أخذ كل تاجر مصرى بهذه المبادئ ، وثاب إلى هذه التعاليم ووازن بين هذا النجاح الموفق وذلك الفشل الذريع المتداعى ما

عبد الحميد المشهدى

# القوانين والتنفيذ

## للأستاذ " س . . . "

قرأت فى مجلة أسبوعية الخبر التالى تحت عنوان "رعاية العيون . تشريع مفيد مطارب" لمناسبة إقرار قانون البلهارسيا بمجلس النواب . نذكر أن هناك تشريعا مشابها له ينفذ سريعا وهو تشريع لرعاية عيون الأطفال تنص أهم مواده على :

( ١ ) وجوب تقديم كل طفل دون السنتين لمركز رعاية عيون الأطفال فى الجهة التى يقيم فيها مرة كل أسبوع .

( ٢ ) يقع واجب تقديم الطفل على والده أو الشخص الذى يكون الطفل فى حضانته .

( ٣ ) تعاقب كل مخالفة لأحكام هذا القانون بغرامة لا تزيد على ٢٥ قرشا .

واستطردت المجلة تقول : "ولا شك أن مصر فى حاجة ماسة إلى مثل هذا التشريع لمكافحة أمراض العيون المختلفة المتفشية فى البلاد ومحاربة ارتفاع نسبة العميان فيها ، فهو إلى جانب فوائده المباشرة خير ضمان عملى لاطلاع مجموع السكان — وخصوصا الأمهات — على الإرشادات والتنبيهات الوقائية اللازمة " .

وفى مواد مشروع القانون المقترح ، كما فى تعليق المجلة عليه ، ما يدل على ظاهرة عقلية غريبة فى معالجتنا للمشاكل العامة ، تلك الظاهرة هى الانخداع بالألفاظ والتشريعات على الورق ، واعتقادنا بأن كل مشكلة تحل فى عالم الواقع متى حللناها فى عالم الألفاظ . فكل عيب وكل نقص يمكننا أن نعالجه متى شرعنا قانونا لعلاجه !

وياليت هذه القوانين التى نقترحها منقولة عن البيئة المصرية ، وملاحظة فيها ظروفنا الواقعة ، ولكنها تنقل عن تشريعات أجنبية وضعت لبيئة تختلف عن بيئتنا . فهى إما مستحيلة التنفيذ فى غير بيئتها وإما أنها مصطدمة بالبيئة الجديدة التى لم توضع لها فتضاعف تكاليف تنفيذها .

وقد نبهت فى مقال بهذه المجلة إلى ضرورة استملاء البيئة المصرية كل مشروعات الإصلاح إذا أريد لها التحقق والنجاح . ونحن بحاجة ماسة أن نلقى بالنا دائما إلى هذه الحقيقة حتى نخلص من عقلية التقليد وترقيع التشريع والتفكير .

إن القوانين في كل أمة بضاعة غير قابلة للتصدير إلا بمقدار ما تتشابه الظروف العامة بين المصدرين والمستوردين وما القوانين إلا تنظيم لحالة موجودة بالفعل ومسايرة لعقلية كائنة متحققة . فالقانون لا يخلق عقلية جديدة ، ولا يعيش ما لم يلب حاجة نفسية وجدت من قبل . وأهم من هذا وذاك أن يكون ممكن التنفيذ وأن تملك السلطة التي تسنه وسائل الإشراف التام على تنفيذه حتى تحفظ للقانون احترامه وتكفل عدم العبث به .

* * *

وعلى ضوء هذه الحقائق نتطور لمشروع القانون المقترح خاصا بأمراض العيون :

مما لا شك فيه أن محتاجون أشد الحاجة إلى العناية بعيون الأطفال والكبار أيضا نسبة العمى والعور بين المصريين نسبة عالية جدا مما لا نظير لها بين أمم الأرض جميعا ويكفي أن نعلم أن نسبة المصابين بالرمد الحبيبي تبلغ ٥٩٪ من مجموع سكان وأن عدد المصابين بالعور نحو ٢٧٠,٠٠٠ والمصابين بالعمى نحو ١٢٠,٠٠٠ وذلك غير بقية أمراض العيون كالترخوما التي يبلغ عدد المصابين بها ١٤,٥٠٠,٠٠٠ شخص .

فهذه حالة تستعصي علاجا سريعا حاسما ولا شك ، ولكن أهدا العلاج هو من القوانين على الطريقة المقترحة ؟

إن عناية ميرمى إليه هذا القانون هو العلاج دون الوقاية . والعلاج وحده لا يكفي طالما أن الظروف المسببة للأمراض لا تزال كامنة في البيئة تمرض الأصحاء وتنكس المعالجين .

وسنؤجل الكلام على ناحية الوقاية لننظر فيما إذا كان مثل هذا القانون وافيا بناحية العلاج المحدودة . والإحصاءات والفحص عن ظروف الأطفال وآبائهم هي التي تهدينا إلى الجواب الصحيح .

تبلغ نسبة المواليد في كل سنة نحو ٤٤ في الألف من مجموع السكان ، وبعملية حسابية يتضح أن عدد المواليد حوالي ٦٥٠,٠٠٠ طفل في كل عام . وتبلغ نسبة الوفيات في الأطفال نحو ١٦٥ في الألف منهم أي نحو ١١,٠٠٠ طفل ، فيبقى نحو ٦٤٠,٠٠٠ مولود .

وحين نريد تنفيذ القانون تنفيذا صحيحا يجب أن ننشئ قبل سنه من مراكز رعاية الأطفال ما يكفي لمواجهة هذا العدد الضخم من المواليد ، وأن نمد هذه المراكز بالأطباء اللازمين والممرضين والممرضات والأدوات الطبية والأجهزة والأدوية اللازمة ، وإلا كان القانون حبرا على ورق ، غير قابل للتنفيذ من الوجهة العملية . فهل نملك نحن في ظروفنا الحاضرة تنفيذ هذه المقدمات من جهة المال والأماكن والرجال ؟

إننا لو وجدنا كل من نملك من أطباء العيون لهذه المهمة ما استطعنا أن نواجه هذا العدد الضخم من الأطفال فكيف والكبار كذلك في حاجة إلى العلاج ، ونسبة أمراض العيون هي هذه النسبة المرتفعة التي ذكرتها فيما تقدم ؟

فاذا نحن تجاورنا ناحية المستشفيات ومستلزماتها إلى ناحية من سيطبق عليهم القانون وظروفهم العامة اصطدمنا بعقبات عقلية وعملية واقتصادية تجعل من العسير تنفيذ هذا الإلزام على فرض تيسر المستشفيات . فأما العقبات العقلية فهي الجهل وانتشار الخرافات في الطبقات الفقيرة التي يعنيها هذا القانون بالذات . وصعوبة علاج هؤلاء الجهال الأميين بالقانون حتى يؤخذوا بجريمة مخالفته ويؤدوا الغرامة المفروضة وهي تقصم ظهور الكثيرين وستكون النتيجة هي شدة العداء للقانون ومحاولة الهرب منه ، ومضاعفة نفقات تنفيذه ووسائله .

وأما العقبات العملية فكلنا يعرفها ، لا في الريف فحسب بل هنا في قلب المدينة ، طالما أن العلاج بالمجان ، فالتزاحم والتعطيل وسوء المعاملة من "التمورجية" والخدم وإجهاد الأطباء بالعمل نظرا لقلة عددهم بالنسبة للمرضى . كل هذا يكره المرضى في العلاج ، ويدعوهم إلى الكسل والابتعاد عما يلقونه من الأذى والاهانات .

وأما العقبات الاقتصادية ، فأهمها بعد هذه المراكز عن القرى وضرورة تكليف الآباء مشقة الانتقال بأبنائهم مرة في كل أسبوع . وهو تكليف خيالي في ظروف الفلاح الراهنة فهو أولا لا يملك نفقة الانتقال ، وهو ثانيا لا يملك التعطل يوما كاملا في كل أسبوع بينما هو يعيش يومه بيوم من أجره التافه الضئيل . ولا بد أن يقصر في تنفيذ القانون ويعاديه ويتهرب منه .

وقد يخدع البعض بسهولة تنفيذ قانون التلقيح ضد الجدري ، ويحسبون تنفيذ القوانين الصحية الأخرى سهلا مضمونا كتنفيذ ذلك القانون . ولكن هناك فرقا ينبغي الالتفات اليه ذلك أن قانون الجدري يعقد محليا بواسطة حلاق الصحة ، أو بانتقال بعض المراكز الصحية ، فلا يكلف الفلاح شيئا من الجهد ولا المال . فوق أنه ينفذ مرة واحدة في العمر . فلا سبيل إلى الموازنة بينه وبين قانون ينفذ كل أسبوع وفي مكان بعيد .

فاذا استطاعت الهيئات المختصة أن تكفل للقانون الجديد كل التسهيلات المكفولة لقانون التلقيح ضد الجدري كان لها أن تسنه وتلزم مخالفيه بالغرامة ، إذ يكون التقصير حينئذ جريمة تقتضي العقاب .

* * *

وبعد فنفرض جدلا أن كل الوسائل توافرت لتنفيذ مثل هذا القانون ، فهل حدوى العلاج ووسائل العدوى حاضرة ترد الأصحاء والمعالجين إلى دارة المرض من جديد ؟

إننا نبذل للعلاج من العناية ما لو بذل بعضه للوقاية لكان أجدى وأتم . وهذه سياستنا في كل شيء وفي أمراضنا الصحية والاجتماعية والاقتصادية على السواء . فنحن لا نحاول إزالة الأسباب بل نحصر جهدنا في إزالة النتائج ، فنحصل على أقل الفوائد ببذل أكبر الجهود .

وفى موضوعنا الذى نعالجه الآن يتبين أن وسائل الوقاية جميعا أهم من وسائل العلاج وأن القضاء على أسباب أمراض العيون أو تخفيفها مقدم على سن القوانين لعلاجها ، فلننظر فى أهم هذه الأسباب :

أولا — مما لا ريب فيه أن الحالة الاقتصادية للطبقات الفقيرة هى أهم أسباب المرض فالتراخوما مثلا مرض غذائى ، تمكن الوقاية منه والشفاء كذلك بعد الإصابة بتوفير المادة الغذائية الصحية للأطفال والكبار، وسوء التغذية نتيجة للفقر الكالح وهى سببه الأصيل. كما أن القذارة بسبب الفقر من أهم أسباب أمراض العيون الأخرى ، فكل تحسن يصيب موارد الفلاح الاقتصادية فيوفر له الغذاء الكافى والماء والثوب النظيف وقطعة الصابون التى يغسل بها وجهه وخرقة القماش التى يجففه بها ، هو خطوة أساسية فى مقاومة أمراض العيون والأمراض كلها بأيسر مجهود .

ولن تتحسن حالة الفلاح الاقتصادية ما دامت مسألة الأجور الزراعية ومسألة الايجارات متروكة لتحكم الملاك ، وما دامت الضرائب كذلك موحدة على الأغنياء والفقراء مما يغل يد الحكومة عن التوسع المرن فى الميزانية لمجابهة الخدمات الاجتماعية والصحية بالسخاء اللازم فى مثل حالتنا الحاضرة .

ثانيا — يعد الغبار والأتربة من أشد الأعداء فتكا بالعيون ، وقرى مصر ومدنها على السواء مصابة بهذا العدو الذى يغير عليها من الصحارى الشاسعة المحيطة بها ، ومن الأتربة والأوساخ المكدسة بداخلها .

وقد ذكرت عدة مشروعات لوقاية القاهرة من رمال الصحراء ، أهمها زرع الغابات الخشبية على حدودها الصحراوية . وهذا المشروع يمكن التوسع فيه بحيث يشمل مصر كلها من أقصاها الى أقصاها على جانبى الوادى ، ولا يقعدنا عنه الا الكسل وعدم وجود سياسة انشائية ثابتة تنفذ فى مدى السنين .

ومثل هذا المشروع يمكن تنفيذه فى خلال نصف قرن من الزمان لضخامته وضرورة توفير الماء الكافى للرى بعد عدة مشروعات نيلية ذات نفقات كبيرة . ولكن مزاياه الكثيرة كفيلة بأن تحث على تنفيذه، على الرغم مما يقتضيه من نفقات يسهل تدبيرها فى هذا الزمن الطويل .

وزرع هذه السلسلة من الغابات يصد الأتربة الصحراوية عن وادى النيل ، ويعدل مناخه على مدار السنة ويوفر للبلاد الثروة الخشبية الثمينة .وقد قاسينا فى هذه الحرب والحرب الماضية عواقب ندرة الخشب فى العمارة والأدوات والوقود على السواء، كما أنه يوفر للبلاد ثروة حيوانية وصناعية من صيد الحيوانات البرية والانتفاع بلحومها وفرائها وعظامها فوق

أنها هواية جميلة ومنظر جذاب . كما يمكن إنشاء المراعى بين هذه الغابات وعلى مقربة منها والانتفاع بالمياه الفائضة عنها لهذا الغرض. وللراعى مزاياها الخاصة وليس هنا مكان تبيانها.

أما فى داخل المدن والقرى فإن مشروع الغابات سيكفل الجزء الأعظم من النظافة ، ويبقى بعد هذا أن نعنى بطريقة التنظيف ، فقد بطلت الطريقة الساذجة الأولية التى تستخدم فى تنظيف طرقات المدن والتى تثير الأتربة وتنقلها الى عيون المارة وأجسامهم وملابسهم وأنوفهم وحلوقهم فتتفحهم بعدد لا يحصى من جراثيم الأمراض المختلفة . كما أن أكوام السماد البلدى وعدم وجود الهيئات القروية التى تتولى الإشراف على نظافة القرى مما يضاعف كميات القذارة فيها .

ومسألة تنظيف القرى والمدن لا تنفصل عن أمراض العيون والأمراض عامة ، ومن هنا يجب أن تبدأ وسائل الوقاية فتكون حينئذ أهم وأجدى .

ثالثا — من ألد أعداء العيون الذباب ، فهو ينقل الرمد الصديدى ويسببه ، فمقاومة هذا الخصم المنتشر فى كل مكان مقاومة فى الوقت ذاته لأمراض العيون . ومصادر الذباب هى أكوام السماد والحظائر فى القرى والمذابح وحفر المواشى والطيور ومجامع القمامة فى المدن. وقد شرح الدكتور حافظ عفيفى باشا فى كتابه "على هامش السياسة" وسائل مكافحة الذباب بعناية وتطويل فى صفحات ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ من كتابه القيم ، فيمكن الرجوع اليها هناك .

رابعا — الجهل بوسائل الوقاية والعلاج وبطبيعة الأمراض وأعراضها. وهذا عيب لا يد للسلطات الصحية فيه ، فهو مرهون بانتشار تعليم إلزامى وارتقاء مستوى الجمهور العقلى والاقتصادى ، ولكن هذه السلطات بالتعاون مع المراكز الاجتماعية والهيئات التعليمية والمحلية المنتشرة فى الريف تستطيع أن تقوم بحملة للدعاية الصحية على غرار ما تقوم به الوحدات الصحية المتنقلة والأشرطة السينمائية ، وخطب الوعاظ فى المساجد من أهم وسائل الدعوة عن طريق المشاهدة والحافز الدينى .

ولكننا نكرر أن الدعاية وحدها لا تجدى ، وقطعة صابون واحدة وخرقة نظيفة لمسح الوجه أجدى على الفلاح من الشريط السينمائى والخطبة المنبرية إذا تعذر الجمع بين هذه وتلك. ورفع المستوى الاقتصادى هو قبل كل شىء السبيل الطبيعى لنجاح هذه الدعاية .

* * *

ونعود بعد هذا البيان الخاص بمشروع أمراض العيون إلى الفكرة العامة فى سن القوانين وإصدار الأوامر فنؤكد أن احترام الواجب للقانون يحتم علينا أن نتأكد من إمكان تنفيذه وأن نملك وسائل ضبط المخالفين وإلا كان ذلك بمثابة إبطال للقوانين ونزع لاحترامها من النفوس .

ومن الأمثلة التي أذكرها فى هذا المجال ما اقترحه بعضهم لمكافحة الغلاء من فرض عقوبة على الذين يشترون بأسعار تزيد على الأسعار المقررة فى التعريفة كعقوبة من يبيعون بمثل هذه الأسعار .

ولو تم هذا لفسد كل شيء ، ولما أمكن العثور على مخالفة واحدة إلا عن طريق المصادفة . ذلك أن البائع والشارى يصبحان فى هذه الحالة متضامنين كل التضامن فى إخفاء معالم الجريمة وإنكار وقوعها فلا بد من طرف ثالث غير البائع والشارى يثبت الجريمة ويجمع أدلتها ، ومن المستحيل على أية حكومة أن تملك توفير هذا الطرف الثالث فى كل مكان مع تعاون الطرفين الآخرين على مقاومته تفلتا من العقوبة .

والأمل الوحيد فى مقاومة الغلاء قائم على نهوض المستهلكين بالتبليغ عن كل مخالفة تقع لهم ، ومن المصلحة إبقاء البائع والشارى طرفين متعارضى المصلحة فى حالة وقوع الجريمة حتى يسهل كشفها ومحاسبة الجانى عليها .

ولنا فى قانون الربا الفاحش موعظة وعبرة . فالواقع أن هذا القانون لا ينفذ إلا فى حالات نادرة ، وفى كل مكان مرابون تصل أرباحهم فى بعض الأحيان الى مائة وخمسين فى المائة وهم يستغلون جهل المدينين مرة واضطرارهم مرات ، ولا تنكشف جرائمهم إلا فى حالة تبليغ المجنى عليهم . فلو جعلنا من يقبل الاستدانة بالربا الفاحش شريكا فى الجريمة للدائن لأوصد المنفذ الوحيد فى وجه القانون ، وعاش المرابون فى مأمن من سلطته على الدوام .

وكم من قوانين وأوامر معطلة عن التنفيذ نافذة على الورق لأنه لم يراع فى سنها طبيعة من تطبق عليهم وطبيعة البيئة المحيطة بهم ووسائل التنفيذ فى يد من يناط بهم تنفيذها .

والنقطة الوحيدة التى يجب أن ننتبه لها دائما هى ألا ندع الكلمات تخدعنا وهى على الورق فنفهم أنها خرجت إلى عالم الواقع بالسهولة التى خرجت بها الى عالم الكتابة .

وقد ضربت المثل فى مقال " مشروعات الاصلاح يجب أن تنبع من البيئة وتعتمد على الإحصاء والتجربة " بالنصائح والإرشادات الذهبية لحلب اللبن ، فلا أعود هنا لتكرارها ولكنها مثل طيب للأوامر الخيالية المنقولة عن الأوساط الأوربية لشعب تبلغ نسبة الأميين فيه نحو تسعين فى المائة ، ونسبة من يعيشون بثلاثة جنيهات فى العام نحو تسعة ملايين ! ! !

( س . . )

# متاعب

## منشؤها الذوق العام

للا ستاذ محمد عيسى

فى هـذا المقال أعرض ألوانا من المتاعب ، هى نماذج ممـا يثير الشكوى فى مجالس المستنيرين ، كلما عرضت مناسبة للكلام على الذوق العام فى بلادنا .

وأعنى بالذوق العام مظهر الصـفات المشتركة بين أفراد الشعب أو أكثرهم ، وهو كذلك مصدر العادات التى تبدو آثارها فى الطرق والمجتمعات دون أن يثير ظهورها إنكارا عاما ، لأن شيوعها بين الكثرة من أفراد الشعب هوّن من شأنها ، ولأن طول تكرارها أنشأ بينها و بين النفوس نوعا من الإلف ، ومع الإلف والاعتياد يبطل العجب و يضعف الانتقاد.

إذا ألف الشيء استهان به الفتى ... فلم يره بؤسى تعـد ولا نعمى
كانفاقه من عمره ومساغه ... من الريق عذبا لا يحس له طعما

والذوق العام فى كل أمة هو مناط الحكم لها أو عليها ، فاذا كان متجها نحو الحق والخير والجمال ، حكم للأمة بسلامة الفطرة ، و إلا فهى منحرفة المزاج ، وهى فى حاجة إلى العلاج.

أذكر أن شاعرا من أكبر شـعراء الشرق المعاصرين ، قدّر له أن يزور بعض مدن أوربا فراعه ما رأى من نظافة الطرق هناك ، فترجم عن ذلك بقوله :

ولع القوم بالنظـافة حتى ... جن فيها غنيهم والفقير
فاذا سرت فى الطريق نهارا ... خلت أنى على المرايا أسـير

فانظر كيف حكم للأمة كلها بالنظافة ، قياسا على نظافة الشوارع ، وهو فى حكمه هذا عادل ، لأن الطرق مسالك المنازل ، ومدارج السابلة ، ومعابر الغـادين والرائحين من شتى الطبقات ، فاذا كانت مع ذلك نقية الديباجة ، صافية الأديم كالمرايا ، فهذا دليل أصدق دليل على أن المـارين بها والمطلين عليها قوم طبعوا على النظافة ، بآية أن هؤلاء وأولئك لم يلوثوها بأقدامهم ، ولم يشوهوها بفضلات طعامهم ؛ و إذا كان هذا حظ الشوارع وهى ماهى من النظافة ؛ فكم يكون حظ المساكن وماتحتوى من طعام وشراب وماعون وأثاث؟

فالذوق العام الذى تتجلى آثاره فى الطرق والمراكب العامـة ، وأماكن الاجتماع ، هو عنوان الأمة ، ومقياس حظها من الرفعة أو الضعة ، فى حكم الأجنبى عنها .

فاذا ما وجدنى القارئ لهذه الكلمات معنيا بنقد بعض الهنات التى نلاحظها فى مجتمعنا فلا يستحقرن شأنها ، ولا يستخفن بقيمتها ، فانها مرآة ذوقنا ، ومقياس مزاجنا ، والميزان

الذى ينصبه الأجنبى عنا حين يريد أن يوفينا حقنا من المدح أو القدح، وهى بعد ذلك وقبله، ذات أثر فى حياتنا اليومية، بما ينجم عن بعضها من أضرار مادية، أقلها تضييع أوقاتنا وتعطيل اعمالنا، ثم هى على كل حال مما يشوه جمال مجتمعنا، ويحيف من استمتاعنا بمسرات الحياة.

هأنذا غادرت منزلى فى الصباح غاديا الى عملى، وهأنذا أتهيأ لعبور شطر الشارع إلى أصل الى محطة الترام، فأتلبث قليلا على الطوار ريثما يخلو الطريق من السيارات، واذا شئ يهبط على كتفى ثم يتردى على الأرض، فأتبعه بصرى، فاذا هو بقية سيجارة لا يزال بها وميض نار يصاعد منها دخان.

لم يداخلنى الشك فى أن الذى ألقى بعقب السيجارة على كتفى مواطن محترم، لأنه يسكن فى عمارة عالية من ذوات الأجور الغالية، ولأن عقب السيجارة الذى ألقاه علىّ من نوع غير رخيص، ولكن الذى شككت فيه أنه مواطن طيب، ومالى لا أقول إنه مواطن متعب؟

لا أزعم أنه تعمد إحراق أو ايذائى، فلعله لم يرنى، ولعله لو رآنى ما رمانى، فليس بينى وبينه — على الأرجح — من ذات الضغن ما يطوع له أن يتخذ من جسمى هدفا لرميته، أو من ثوبى مطرحا لسيجارته، ولكنه مع ذلك مواطن متعب، لأنه أزعجنى بالمفاجأة، ولأنه أشعرنى الخوف على جسمى وثيابى، ولأنه شغلنى بذلك وقتا أضعته فى تحسس أعضائى، وتلمس أثوابى، ولأنه صرفنى بما شغلنى عن الترام يصل الى المحطة ويغادرها، فعاقنى عن إدراكه، وأخرنى عن موعد حضورى الى عملى، وعرضنى بذلك لما يتعرض له المتأخرون عن مواعيد أعمالهم.

قصصت هذه الحادثة فى مجلس من مجالس إخوانى، فانبرى أحدهم يغبطنى على نتيجتها ويتمنى أن لو كان حظه فى مثل هذه الحادثة كحظى، فقد وقع له مثل ما وقع لى، غير أن بقية السيجارة ألقيت على شرفة مسكنه بيد جار له يسكن فى طبقة تعلوه، وقد أصابت نارها بعض الأثاث فاحترق، ولولا أن تداركه الله برحمته فتنبه للنار قبل أن يمتد لسانها، لتناولت مسكنه وسائر المنزل، ولوقعت الكارثة ولكن الله سلم.

وكثيرا ما تشب النار فى القرى فتودى بالأرواح، وتأتى على المساكن، وتذهب بالأقوات، لأن قروية ذهبت تقبس جذوة نار من بيت جارتها على عادة القرويات فى ذلك، ثم اتخذت سبيلها على السطوح حيث الحطب يملأ كل مكان، وحيث الريح تذكى النار وتطير شررها كل مطار.

فاذا نحن تدبرنا هذه الحوادث بل الكوارث المتشابهة واعتبرناها بما أذاعته مصلحة الاحصاء أخيرا من أن الحرائق التى شبت فى مصر سنة ١٩٣٩ بلغت ٣٨٩٠ حريقا منها ٢١٢٢ حريقا نشأت عن تطاير الشرر وأعقاب السجاير — اذا نحن تدبرنا ذلك واعتبرناه بهذا جاز لنا أن نقول إننا معاشر المصريين، على تباين البيئات فى المدائن والقرى، وعلى اختلاف الدرجات فى الغنى والفقر، تصدر عن ذوق عام واحد، هو ضعف الاحساس بالمجتمع.

فهذا الذى يقذف بأعقاب السجائر فى شارع يموج بالمارة، وذاك الذى يلقى بها فى جوف منزل مؤثث مسكون، وتلك التى تخوض بالنار المشتعلة عبابا من الحطب الجزل، هؤلاء جميعا ضعاف الأحساس بما حولهم من المخلوقات حتى ما يفرضون لها وجودا ولا يعرفون لها حقا.

وإلى هذا الضعف، ضعف الاحساس بما يحيط بنا، والاستخفاف بحقوق غيرنا من اخواننا فى المجتمع، نستطيع أن نرد كل ما نسمع ونرى فى الطرق والمراكب والمحافل، مما تضيق به الصدور، أو كما يقول المتنبى: مما يشق على الأسماع والحدق.

كان الله فى عون الذين يسيرون على أقدامهم فى مدينة القاهرة: إنهم لا ينبغى لهم أن يسيروا إلا على حيد الشارع أى على الطوار، ماداموا يرغبون فى الحياة ويزهدون فى الانتحار، ولكن الطوار كثيرا ما يكون محجوزا، لأن ثلة "أو شلة" من الشبان يمشون على افريز الشارع مشتبكى الأذرع متلاحمى الأكتاف، مقيمين بهذه الأذرع المتشابكة والأكتاف المتلاحمة جدارا آدميا يعترض الطوار ويعوق المارة، فاذا قدر لك أن تكون خلفهم، كان لزاما عليك أن تلقى بزمامك اليهم، وتقيس خطواتك على خطواتهم، وتقدر سيرك بسيرهم، وهؤلاء عادة يسيرون الهوينى، لأنهم لا يحدوهم غرض ولا تسوقهم غاية وإنما يمشون سبهللا، بل عليك مع ذلك أن تقف كلما وقفوا، وكثيرا ما يقف هؤلاء، لأن أحدهم وصل من حديثه إلى نقطة يجب الوقوف عندها احتفالا بالاصغاء اليها، أو لأن أحدهم صدرت عنه نكتة يتقاضاهم الاعجاب بها أن يضحكوا وأن يغرقوا فى الضحك حتى يميلوا برؤوسهم، ويفحصوا الأرض بأقدامهم.

أما اذا كنت تسير بحيث تقابلهم، فأنت مضطر أن تحلى لهم الطريق، وتتخلى عن الطوار، وأن تنزل إلى عمار الشارع متعرضا لما فيه من الأخطار.

أنا لا أعتقد أن هؤلاء الذين يسيرون صفا واحدا يشغل الطوار كله يزعمون أن هذا الطريق ملك لهم دون غيرهم من المارة، ولكنى أتصورهم قوما لم يرزقوا من دقة الحس ولطف الشعور ما يخطر ببالهم أن الطريق مسلك لغيرهم ممن يتقلبون فى حوائجهم، ومن تقتضيهم تكاليف الحياة أن يمضوا إلى حاجاتهم سراعا، وأن من بين هؤلاء الشيوخ الضعفاء والعمال المكدودين، والمرضى والمتألمين، وحاملى الأثقال، ممن يطالبنا الذوق السليم أن نحترم ضعفهم، ونفسح الطريق لهم.

كان نابليون بونابرت يسير يوما على إفريز بعض الشوارع فى باريس وفى صحبته احدى السيدات، فقابلهما حمال ينوء به حمله، فلما أن صار منهما على مقربة وقفت السيدة معترضة سبيله كأنما تطالبه بالانحراف واخلاء الطريق، صادرة فى ذلك عن شعور الإدلال بمركزها الاجتماعى، والخيلاء بصحبة نابليون العظيم، وما لاحظ نابليون ذلك حتى أسرع إلى السيدة يجذبها من ذراعها ويحيها عن طريق الحمال قائلا: احترمى الحمل ياسيدتى.

وكما لا يفكر السائرون على الطوار كتفا لكتف وذراعا فى ذراع فيمن خلفهم ولا فيمن يقابلهم من المارة، كذلك لا يفكر الآكلون فى الطريق، وكثيرما هم، فيما عسى أن يتعرض له الناس من الأذى بسبب ما يأكلون .

كل الذين يأكلون ويلقون بفضلات ما يتناولون فى الطريق يأثمون فى حق المجتمع ، لأنهم يلوثون الطرق ويستجمعون الذباب، ويخلون بواجب النظافة ، ويعرضون مواطنيهم لما عسى أن ينجم عن ذلك من الأمراض، ولكن أكثرهم إثما وأشدهم أذى أولئك الذين يأكلون الموز ويلقون بقشوره فى الطريق يزلقونها ويعرضون السابلة للوقوع . وما أذكر أن قدمى زلت مرة فتبينت السبب الا وجدته قشرة موز ، حتى صرت أذم الموز لطول ما لاقيت من شره ، وأعاف لبابه كراهية فى قشره .

أما الذين يمتصون رحيق القصب فى الشوارع فبحسبى أن أقص على القراء قصة أحدهم :

كنت أسير ذات يوم فى بعض الطرق ، وأمامى فتى لا بأس بهندامه يحمل بجانبه عودا طويلا من قصب السكر يمسكه بيد ويكسر بالأخرى أنابيبه فيمتص رحيقها، ويلقى بقشورها وحثالتها على الأرض . وكان كلما فرغ من أنبوب وأخذ فى كسر غيره ، تحرك العود فى يديه ذات اليمين وذات الشمال ، فرأيت أخذا بالحيطة وتحريا للسلامة أن أجعل بينى وبينه مسافة مقدورة، وأن أكون منه بعيدا حتى لا يناثنى منه أذى إذا ما تحرك ذلك العود أو ذلك الرمح فى يديه ، غير أن الحذر لا ينجى من القدر ، فقد بلغ الفتى وهو يكسر الأنابيب أنبوبا غمزه بيديه فوجده صلب المكسر ، وحاول كسره على طريقته فاستعصى عليه ، وبشاء الله أن يكون الفتى حاضر البديهة، وأن يكون قد وصل فى سيره إلى جانب عمود من أعمدة الكهرباء ، وفى مثل كرة الطرف نوح بالعود فى الهواء ، وأهوى به على العمود ، فندّ عنه الأنبوب كما يندّ السهم عن القوس ووقع فى صدرى ، فصحت فزعا : ما هذا ؟ فالتفت إلىّ مبتسما وقال : إنها "عقلة مسوسة" . لم أراجعه القول فما يكون لى أن أحاوره بعد ما بدا لى من جوابه أنه يعدّنى مسئولا عن السوس يصيب القصب ، على أنه لم يدعنى وشأنى بل أنشأ يقنعنى بأن ما فعله هو أمثل الطرق فى كسر القصب المسوّس ، ولم أجد وسيلة إلى الخلاص منه إلا التظاهر بالاقتناع ، والتصريح بأن ما فعل هو الطريقة الجديرة بالاتباع .

ذلك بعض ما يتعرض له المارّة فى شوارع القاهرة ، وهو كما يقول الكتاب غيض من فيض مما لقيت وما يلقاه أمثالى من الذين تلجئهم ضرورات الحياة إلى السير فى هذا البلد على الأقدام ، متحملين — ولا ذنب لهم — تبعات الذوق العام ما

محمد عيسى

# التربية والتعليم

## وماذا كسبنا من السيكلوجية الحديثة

ربما كان الكتاب الصغير " أحاديث إلى المعلمين " الذى ألفه وليم جيمس قبل نحو أربعين سنة أول المحاولات المباشرة لتطبيق المبادئ السيكلوجية الحديثة على التربية والتعليم. فان المؤلف هنا يحرؤ على أن ينظر نظرا سيكلوجيا بكرا لعقلية المعلم والتلميذ. وهو مع المعارف القليلة التى كانت فى متناوله يبحث التربية والتعليم بحثا جديدا نستطيع أن نعرف قيمته حين نقابل بينه وبين كتاب هربرت سبنسر " التربية " الذى ألفه قبل كتاب وليم جيمس بنحو عشرين سنة . وقد كان هربرت سبنسر فذا فى الإحاطة بالتقدم العلمى فى عصره . ولكن السيكلوجية لم تكن قد فتحت أبوابها وبسطت ميادينها الى حوالى سنة ١٩٠٠ ولذلك نقرأ كتابه فنحس أنه قديم ، فى حين نحس ونحن نقرأ كتاب وليم جيمس أننا نتنسم هواء جديدا وأنه قد فتح لنا كوة نطل منها على ميادين رحبة جديدة فى أساليب التعليم وأخطاء التربية .

والمقابلة بين هذين الكتابين تدلنا على حداثة السيكلوجية واستخدام النظر السيكلوجى لألوان النشاط الإنسانى . فاننا عند ما نجد المئات من الكتب التى تعالج التعليم والصناعة والتجارة والعائلة والمجتمع والجريمة والنبوغ من الزاوية السيكلوجية نكاد ننسى أن هذا العلم هو ابن هذا القرن وأن القابلة التى ولد على يديها هى فرويد .

واسم فرويد يثير ألوانا مختلفة من الحماسة فى الإعجاب به والنقد له . ونحن فى طور التمحيص لكثير من نظريته التى غمرت العالم بها عبقريته السخية . وليس شك فى أن الزبد سيذهب جفاء ثم يبقى بعد ذلك كثير مما ينير ويفيد .

ولم يؤلف فرويد كتابا خاصا فى التربية والتعليم ، ولكنه أكد القيمة الكبيرة لسنوات الطفولة الأولى وما تحدثه من مركبات قد تعصف بحياة الإنسان فى المستقبل . فان جوهر السيكلوجية الفرويدية ينحصر فى أن ما نعانيه فى شبابنا أو كهولتنا من انحرافات إنما يرجع الى أخطاء أوقعنا فيها أولئك الذين تولوا تربيتنا فى السنوات الأولى من أعمارنا . والعقل الباطن عند فرويد هو العقل الذى يرجع القهقرى الى أيام الطفولة ويتغذى بأوهامها ومخاوفها وأمانيها ويسلك السلوك الطفلى وقت الانحراف أو الزيغ .

وزاد هذا التأكيد لقيمة السنين الأولى للطفولة تلميذ فرويد الذى انشق عليه وهو ادلر الذى عالج التربية معالجة سيكلوجية فى ضوء التحليل النفسى أو " السيكلوجية التحليلية "

وانتفع جميع المربين بهذا الاتجاه الجديد . وأصبح للآباء والبيت والشارع قيمة جديدة فى تكوين الأخلاق وتنمية الشخصية . وليس فى العالم المتمدن مدرسة حديثة تهمل بحث هذه البيئة الأولى عندما تجد زيغا أو انحراف فى أحد الصبيان. ومعالجة الزيغ تقوم على معالجة الأخطاء التى وقعت فى السنوات الخمس أو الست الأولى فى حياة الصبى .

وبهذه الحقيقة الأولى خطت التربية خطوة واسعة إلى الأمام. فاننا جميعا نعرف الآن أن التربية يجب أن تبدأ منذ أن يولد الطفل، وأن العادة النفسية التى يتعودها فى سنيه الأولى قلما يمكن فى تغييرها بعد ذلك إلا بمجهود عظيم . ومن ضرورة إيجاد الوسط الحسن للأطفال وسط العائلة السعيدة التى لا يتشاجر فيها الآباء ، والبيت النظيف المرتب ، والاتجاهات الأخلاقية والاجتماعية الحسنة التى يأخذها الطفل من أبويه ومن سائر من فى البيت من إخوة وخدم وأصدقاء وجيران . فنحن نجد مغزى جديدا فى الأم التى تخيف أولادها بالعفاريت والظلام ، بل فى الأم التى تخاف لأن الخوف يعدى . ونجد مغزى جديدا فى الأب الصارم الذى يخشاه ابنه فينشأ خجولا . والخجل هنا خوف . فهو قد يبلغ الشباب ولكنه يحمر ويرتعش عندما يقابل غريبا أو يلقى رئيسا لأنه يجد فى جميع هؤلاء أبا قد ضربه وقسا عليه فى الصغر . ثم هذا الجبن يلازمه فى أشياء أخرى فهو لا يقدم، ولا يقتحم، ولا يرجى منه ابتكار تجارى أو صناعى يحتاج إلى الاختلاط بالناس .

وإلى سنى الطفولة يعزى كثير من الزيغ . فالطفل المجرم إنما قد اكتسب هذا الاتجاه من البيئة الأصلية التى نشأ فيها . فإما أنه قد عاش بين أبوين زائغين، أو أنه قد تشتت ذهنه بأخلاف القائم بينهما حتى جعل الشارع الشئ ملعبه، ومكان اقتحامه وتجاربه الأولى فى الحياة لأنه لم يجد الراحة الجسمية أو الرفاهية النفسية فى البيت. وجميع الأبحاث السيكلوجية الحديثة تؤدى إلى نتيجة حاسمة هى أن البيت الحسن أساس للمجتمع الحسن وأنه المدرسة الأولى لتخريج الرجال وتكوين الشخصيات. ورياض الأطفال هى إحدى ثمرات السيكلوجية الحديثة التى أوضحت قيمة اللعب والتوسل به إلى استنباط ذكاء الطفل وتكشفه. فان من العريب أن تستمتع أطفال الحيوان باللعب وتتدرب به على ما سوف تعانى فى مستقبل عمرها من تجارب فى حين كان المربون فى العصور الماضية يعاملون الطفل كأنه رجل، وكأن اللعب يجب أن يقاطع ويبعد عن حياته . وكان التأكيد فى أساليب التربية القديمة على "التأديب" وأكبر معداه هنا العقاب . ولكن السيكلوجية الحديثة تكاد تقاطع العقوبة وتجعل الحب أساس التربية فالتلميذ الذى يعاقب لإهماله درسه سيعاقب ويعاقب دون أن يرجى إصلاحه . ويدل الاختبار على أن المتخلفين فى كل فرقة يبقون كذلك على الرغم من تكرار العقوبات . ويدل على أن العلاج يجب أن يتخذ أسلوبا آخر هو البحث عن الأسباب لهذا التخلف . فقد يرجع إلى نقص

ورائى فى الذكاء أو إلى أن التلميذ يكره معلمه وينطوى على عناد ومعاكسة لكل مايلقيه عليه من شرح أو بيان .

وبحث الذكاء من الأبحاث الجديدة التى لاتزال عرضة للمناقشة الحرة . فهناك من يكبر شأن الوراثة ، كما أن هناك من يكبر شأن الوسط . ولكن هذا البحث أدى إلى نتائج فريدة فى اختيار الدراسات العالية والتوجيه الثقافى . فنحن نعرف أن متوسط الذكاء عند الناس هو رقم اصطلاحى نعبر عنه بـ ١٠٠ ولكن التفاوت عظيم بين الأبله الذى لايصل سوى ٢٥ والعبقرى الذى يزيد على ١٥٠ ثم هناك ميول خاصة أو مهارات خاصة فى نوع الذكاء يمكن الاستدلال عليها والاسترشاد بها فى توجيه الصبى أو الشاب ليس للدراسة فقط ، بل للحرفة .

وقد أوضحت السيكلوجية الحديثة قيمة الحافز الذى يعوض من الذكاء الناقص . وقد ذكرنا مثال الصبى يكره المعلم فيكره المادة التى يدرسها فيتخلف فيها ، والصبى يحب معلمه فيقبل عليه حتى ينبغ فى مادته . وقد تأيدت هذه الحقيقة فى الحرب الماضية حين جندت الولايات المتحدة الأمريكية شبابها وأرسلتهم إلى ميادين الحرب فى أوربا . ففى تلك السنين حتاج الآباء الى مراسلة أبنائهم للاطمئنان عليهم ، ولكنهم كانوا أميين من أولئك المهاجرين الذين لم يعنوا بتعلم القراءة والكتابة . على أن الحافز هنا كان قويا ، فتعلموا القراءة والكتابة بأسرع مما يتعلم الصبيان مع أنهم كانوا قد تجاوزوا الخمسين والستين .

وهناك مدرسة "السلوكية" التى تقول بأن التفكير كلام صامت . ومع أن التسليم ليس عاما بهذه النظرية فان قيمتها فى تعليم اللغات ليست صغيرة . لأننا قد وصلنا إلى الاقتناع بأن التفكير الحسن يعنى اللغة الحسنة ، وأن اللغة العظيمة هى أعظم المؤسسات البشرية . ولذلك كبرت مكانة اللغات فى التعليم .

وليس مما يستصغر أن تدلنا السيكلوجية الحديثة على أمثل الطرق للاستذكار . فقد أثبتت أن تلاوة الفصل الكبير تلاوة كاملة فى فترات متباعدة خير فى الاستذكار من تجزئته وحفظ كل جزء منه على حده فى فترات قريبة .

ولو شئنا أن نلخص فى كلمات قليلة النتائج العظيمة التى اهتدت اليها السيكلوجية الحديثة فى التربية والتعليم لقلنا إنها تنحصر فيما يلى :

١ — الإكبار العظيم من شأن السنوات الخمس أو الست الأولى فى حياة الطفل لأنها من حيث التربية تساوى سائر العمر كله بل قد تزيد عليه .

٢ — قيمة العائلة الحسنة فى التوجيه وتكوين الشخصية وغرس الأخلاق .

٣ — معاملة الطفل بالحب .

# التبذير فى البيت

التبذير طريق الخراب . وكلنا يعرف ذلك الوارث الذى حرمه أبوه من استعمال النقود والإنفاق المعتدل على الحاجات ، فما هو أن مات هذا الأب حتى انفجر الابن ينفق بالجنيهات فى الساعات ما جمعه أبوه بالقرش فى الأيام والشهور . والشباب فى حاجة الى أن يتعلموا التدبير المالى بلا تقتير و بلا تبذير كما يتعلمون أى شىء آخر . والتعليم هنا لن يكون بغير الممارسة .

والتبذير سىء فى كل حال ، ولكنه يكون أسوأ حين يتجاوز ضرره إلى غير الشخص المبذر . فالرجل الأعزب لا يكاد يحس تبعات التبذير الذى تذوب فيه مكاسبه . لأن هذه المكاسب تتجدد ثم إنه ليس هناك أشخاص آخرون يبلغهم و يؤثر فيهم ضرر التبذير . ولذلك اذا كان تبذير الأعزب يعد من الهفوات فان تبذير الأب أو الأم يعد من الجرائم لأن أثرها هنا يتناول الأولاد بالأذى فى حاضرهم ومستقبلهم .

والزوج المبذر هو احدى الظواهر المؤسفة فى مجتمعنا . هو أنانى بسلوكه إن لم يكن بعاطفته . لا يبالى غشيان المقاهى أو الحانات ينفق فيها على فناجين القهوة المتكررة أو كؤس الخمر ما كان يجب أن يخص به البيت لشراء طعام أو لباس أو أى لون آخر من ألوان الترفيه عن الأولاد . وهناك آباء قد تملكتهم عادات فى التدخين توهم من ينظر إليهم أنهم يعيشون لكى يدخنوا وهم يحرقون نقودهم التى كان يجب أن تنفق فى مصروفات المدرسة لأبنائهم أو فى أجرة الطبيب لمعالجة الزوجة .

والإسراف فى التدخين أو تناول القهوة لا يرجع الى حاجة صحية ، لأن مرده فى الحقيقة الى كرب نفسى . وقد يؤدى هذا الكرب إلى الالتجاء إلى الخمر . ولذلك يجب أن يعالج كما يعالج أى مرض آخر . فانك تسمع أحد الموظفين يقول لك إنه يدخن خمسين أو سبعين سيجارة فى اليوم . وآخر يصرح بأنه يحتاج إلى نحو عشرة فناجين من القهوة كل يوم بل أكثر من ذلك . و يظن كل منهما أنه يشبع مزاجا خاصا ليس به عيب . ولكن الحقيقة أنهما يكرهان عملهما ويتبرمان بوسطهما و يطلبان القهوة والتدخين لكى يسرى كل منهما عن نفسه هذا الكرب الذى يضيق به . ولو أن أحدهما أحب عمله واستغرق فيه لما فكر فى تسلية أخرى يخفف بها من سأمه وثقل العمل عليه .

ولكن تبذير الزوجة لا يقل شأنا عن تبذير الزوج. فهناك من الزوجات من يحملهن الزهو على اقتناء الجواهر والمصوغات والملبوسات واتباع الأزياء الجديدة بما يرهق ميزانية البيت ويؤدى إلى الحرمان فى نواح جوهرية من التدبير المنزلى . واقتناء الجواهر من العادات التى ورثناها عن الحضارات القديمة حين كان للبهرج أثره فى أسلافنا كما له الآن بين المتوحشين والبدائيين ، واختلافنا هنا فى الدرجة وليس فى النوع . وهذا الاقتناء يدل على خيال سخيف وتقيد أعمى بالعادات . وهذه الجواهر قلما تعرفها سيدة مهذبة فى تلك الأمم الديمقراطية الأوربية إلا اذا كانت من الثراء بحيث يتجاوز دخلها الألوف من الجنيهات كل عام أما الطبقات المتوسطة فلا يعرف نساؤها غير أبسط الملابس وأقل الزخارف تكاليف من عقد لا يبلغ ثمنه بضعة قروش الى ساعة للمعصم لا يزيد ثمنها على جنيه .

وكثير من أموالنا مجمد فى هذه المصوغات والجواهر التى يقتنيها نساؤنا . ولو أنها بيعت ودخلت أثمانها فى الحركة المالية لأحدثت نشاطا اقتصاديا عظيما فى صناعتنا وتجارتنا . وأحيانا نجد حتى المزارعين يشترون الذهب لبراقع زوجاتهم أو الفضة لخلاخيلهن ، فى حين تموت الجاموسة فلا يشترون غيرها ولا يبيعون هذه الزخارف لكى يقتنوا ماشية أخرى مع أنها قد تكون محور النشاط الزراعى ، بل هم حين يطلب أحدهم ذلك ترفض الزوجة وتؤثر هذه المعادن جامدة ميتة لا تنمو ولا تزيد على الاستغلال المعين لها ولزوجها . وهذا تبذير سيء يجب علينا جميعا أن نواصى بالكف عنه .

واقتناء الجواهر والمصوغات فى بلادنا من أكبر العوائق للنشاط المالى لأنه — كما قلنا — يجمد نقودنا فلا تنتفع بها إلا للزهو السخيف . ولذلك يجب أن نعده أسوأ أنواع التبذير عند الزوجة وهو تبذير يتجاوز ضرره إلى الأولاد بل إلى الأمة كلها .

وهناك أنواع أخرى من التبذير مثل تكديس البيت بالأثاث الذى لا ينتفع به ، أو شراء الأقمشة التى تستعمل للمفروشات من الحرير الخالص ، حتى إن ستار النافذة قد يكلف عشرة جنيهات أو أكثر ثم يبدو بعد ذلك عتيقا لا يأتلف مع الزى الجديد من الكراسى والدواوين . وقد يحمل هذا التبذير على عاداتنا فى تجهيز الزوجة بالأثاث الغالى وهو تبذير فى الزواج وملحقاته من ولائم وجهاز للعروس ونحو ذلك . وهذا حق . على أن هذا الأثاث الكثير المكدس يحتاج إلى مسكن كبير رحب يكلف إيجارا عظيما يؤدى دفعه إلى ألوان من الحرمان فى الاقتصاديات المنزلية الأخرى .

وهناك تبذير مألوف فى الطعام ، فإن بعض الزوجات يجهلن الأساليب الحسنة لتغذية الأطفال والكبار ، ولذلك ينفقن الكثير من دخل الزوج على الأطعمة الغالية باعتقاد أن غلاءها برهان على عظم فوائدها ، فهن يشبعن الأطفال باللحم ولا يفتأن يصنعن الكعك والفطائر ، بل هناك زوجات يطبخن فى الصباح ثم يعدن فيطبخن فى المساء ، وهذا تبذير

قبيح يدل على جهل فاضح بالأغذية وقيمتها . والعادة أن البيوت التى تتعود هـذه العادات فى التبذير يتعلم فيها الأولاد النهم فى الطعام و يسمنون ، كما أن الزوجين يتصحمان لوفرة الطعام و يقعان فى أمراض مختلفة نتيجة للسمن ، وربما تستغرب هؤلاء الزوجات حين نقول لهن : إن أعظم سيدة ثرية فى انجلترا تقنع بغذاء من الجبن أو اللحم البارد والخبز بحيث لا يزيد مجموع ما تأكله فى هذه الوجبة على نصف رطل ، وأن اللحم لا يؤكل فى أعظم البيوت ثراء فى أوربا وأمريكا زيادة على مرة فى اليوم ، وأن عندنا من القطانى مثل الفول والعدس والفاصوليا واللوبيا ما يقوم مقام اللحم فى الغذاء البروتينى وهو رخيص ، وأن نمو الأطفال قد يحتاج إلى اللبن والبيض أكثر مما يحتاج إلى اللحم ، أما المداومة على صنع الكعك والفطائر فتبذير مضر يستهلك دخل الزوج و يؤدى إلى سمن الأعضاء فى البيت ، وهذه الأطعمة الدسمة يجب ألا تصنع سوى مرتين أو ثلاثا فى العام فى فرص خاصة أو عامة تستدعيها .

وهنالك نوع آخر من التبذير هو تلك الضيافة الغالية التى تدخل فى عداد الزهو ، فإن ربة البيت تحب المفاخرة بالمائدة الفخمة فتشترى لها من الأطعمة ما يكفى ثمنه لتزويد بيت متوسط فى أسبوع أو أكثر بالطعام الحسن ، وهذه المائدة الغالية لا تزيد قدرها أو مكانتها ولكنها فى الأغلب تبعث الحسد عند البعض والأسف عند الآخرين .

وتبذير آخر تقع فيه الأمهات هو منح الأولاد الكثير من النقود لكى يشتروا ما شاءوا ، وينشأ الأولاد على حب المال والرغبة المتعطشة إلى استهلاكه فى شراء المقتنيات السخيفة ، وهذا ضرر بليغ بأخلاقهم .

إننا كثيرا ما نجد موظفا لا يزيد مرتبه الشهرى على بضعة جنيهات ثم نراه مع ذلك قد استطاع أن يعلم ابنه حتى أوصله إلى الجامعة فنبغ وحصل على وظيفة أو عمل حرلم يكن أبوه يحلم به ، والسبب فى هـذه المعجزة فى الأغلب أن لهذا الزوج زوجة مدبرة كانت تميز بين المفيد والتافه من حاجات البيت فلا تشترى جزافا ، وكانت تدبر المال بفطنة وحكمة فلا تبذر ، فاستطاعت بذلك أن تبنى بيتها وتعلم أولادها وتجعل من القليل الذى كسبه زوجها كثيرا عمر به البيت ونما وذكا .

# المستحيلات التى أصبحت ممكنات

## عبرة للشباب فى الإقدام والمثابرة

حدث ذات مرة فى الولايات المتحدة أن ارتطم أتومبيل كبير موسق بالبضائع الثقيلة بجسر ضخم فوق الطريق العام كانت تمر من فوقه خطوط حديدية . فلما اندفع الأتومبيل على الطريق تحته انحشر بين أسفل الجسر و بين الطريق فلم يستطع التقدم أو التأخر . وقصد السواق الى أقرب ورشة و ستحضر الميكانيكيين لرحزته ولكنهم بعد عناء لم يستطيعوا له حراكا . ومر بهم صبي فقال لهم عندما رأى عجزهم وسكوتهم . " لقد مضت عليكم ساعات وأنتم تحاولون زحزحته فكيف حدث ذلك وأنا فى مستطاعى زحزحته فى دقائق ؟ ".

فضحك بعض العمال واغتاظ آخرون واستهزأ بعض وسبه آخرون ، ولكن بعض العمال أشار عليهم بالانتظار لعل عند الصبي رأيا يستحق العناية ، ثم سأل الطفل : " ما عندك من الرأى وكيف تستطيع زحزحته" .

فقال الصبي : المسألة فى غاية السهولة ، اخرجوا الهواء من إطارات الكاوتشوك حول العجل فيهبط الأتومبيل ويتحرك الى الأمام أو الوراء " .

وكان هذا الحل الذى عجز عنه مهندسون متمرنون هو الحل الصحيح لعقدة قد اعترضت فاحتاجت إلى ذهن بكر لم تتشبث به النظريات والاختبارات السابقة ، وهنا العبرة ، فإن الذين يعملون فى ميدان معين من النشاط الانسانى يألفون طرقا و يلتزمون خططا بقوة التكرار وسهولة المرانة حتى كأنهم القطار يلتزم القضبان الحديدية التى يسير عليها ، وهم يكرهون الانحراف و يتجنبون الجديد من الآراء والأفكار ، ولهذا كثيرا ما يأتى الاختراع أو الكشف فى عمل معين من غير الذين يعملون فيه أو على الأقل من غير المنغمسين فيه بالتدريب اليومى والعادة المألوفة ، لأن هؤلاء لا يسيغون الخروج على العادة والتدريب ، أما الذهن البعيد عنهما أو الذى لا يلتصق بهما كل الالتصاق فيستطيع الانتقاد والتفكير فى التحسين .

كان ادوارد سلوسون الذى يعزى اليه كثير فى نشر المخترعات الكهربائية والميكانيكية يقول إن كل فكرة جديدة تعرض على الفنيين أو غير الفنيين تجد ألفى مليون معترض ، وهو يعنى بهذا أن العالم كله لا يؤمن بالفكرة الجديدة ما دامت لا تتجسم فى اكتشاف أو اختراع . وليست هذه حال العامة فقط بل هى حالة الفنيين أيضا لأنهم بانغماسهم فى الفن الذى يمارسون أشبه بالانسان فى وسط الغابة لا يراها جميعها ولا يميز بين خطوطها البارزة لأن الأشجار المحيطة به قد خيمت عليه وعينت له حدودا ضيقة لا ينظر ما وراءها . ولذلك يمتاز الذهن البكر على

الذهن المدرب فى كثير من الأحيان، لأنه لا يعتقد أن كل شىء مستحيل، وأن كل تحسين عبث ، وهو يحاول ويثابر على المحاولة ويكاد جهله بالتفاصيل ينفعه ويشجعه على المحاولة والمثابرة .

تعد شركة "جنرال الكتريك" أكبر الشركات التى تصنع الآلات والأدوات الكهربائية فى العالم . وكانت تحتاج إلى إيجاد كرات للمصابيح تظلل من الداخل بدلا من أن تظلل من الخارج . لأن التظليل كان يقتضى إيجاد سطح خاص تنكسر عليه أشعة الضوء . وكانت المصابيح تصنع بهذا السطح من الخارج فتجمع الأوساخ ويصعب تنظيفها . فكانت الحاجة تدعو الى إيجاد كرة للمصباح تكون ملساء من الخارج لا من الداخل، فيخرج منها الضوء مظللا منطفا ثم يمكن تنظيفها بلا عناء . وحاولت الشركة أن تغرى مهندسيها وعمالها الذين يعملون فيها باختراع هذه الكرة . ولكن لم يكن بينهم واحد يؤمن بأن هذا الاختراع ممكن إذ صرحوا جميعهم بأنه "مستحيل" . وحدث أن تقدم شاب قد تخرج حديثا من الجامعة يطلب عملا فى هذه الشركة وكان يدعى "مارفن پيكين" . فقال مدير الشركة إن خير ما نكلفه أداءه أن يخترع لنا هذه الكرة . وكلفه ذلك . فلم تمض أيام على هذا الشاب حتى استطاع أن يهتدى إلى هذا الاختراع . ولم يكن له من ميزة على غيره من المهندسين إلا أنه كان خالى الذهن من فكرة "مستحيل" وان ذهنه كان طليقا لا يجرى على خطوط حديدية كالقطار فاستطاع أن يفكر فى حرية ورحابة واهتدى إلى مالم يهتد إليه الفنيون الذين قيدتهم العادة والمرانة .

وحدث فى الحرب الكبرى الماضية أن أراد المارشال فوش أن يمد خطا حديديا فى شمال فرنسا إلى ميدان القتال لنقل الجنود فاستقدم كبار المهندسين الميكانيكيين وسألهم عن المدة التى يحتاج إليها مد هذا الخط فكانت إجابتهم متفقة على أنه لن يتم قبل ١٨ شهرا . وكاد المارشال أن ييأس ويستغنى عن هذا الخط ويفكر فى وسائل أخرى للنقل . ولكن أحدا من المتصلين به اقترح عليه أن يسأل مهندسا شابا يدعى راءول دوترى . فاستقدمه المارشال وعرض عليه الاقتراح وحرص على ألا يخبره بما قاله الخبراء السابقون حتى لا يغرس فى ذهنه استحالة الانجاز فى أقل من ١٨ شهرا . وأخذ المهندس الشاب قلمه وصار يحسب ويعيد الحساب ثم انتهى بأن هذا الخط يمكن أن يتم فى ثلاثة أشهر . ولما كانت الحرب مغامرات والسرعة فيها من عوامل النصر فإن المارشال فوش قبل منه هذا العرض ووكل إليه القيام بتنفيذه ولم تمض مائة يوم حتى كانت القطرات تسير عليه محملة بالجنود والذخائر إلى ميدان القتال وبديهى أنه لو كان الزمن زمن سلم لما عنى أحد برأى هذا الشاب ولأمن الجميع على رأى الخبراء الفنيين الذين قالوا بأن الخط يحتاج إلى ١٨ شهرا . ولكن ظروف الحرب جعلت المارشال فوش يقبل عرض هذا الشاب ويساعده على تنفيذه فصار المستحيل هنا ممكنا .

حدث فى سنة ١٨٣٧ أن فكر بعضهم فى استخدام الآلة البخارية فى النقل البحرى . فهب المعترضون من الفنيين يوضحون فى إسهاب استحالة هذا الاختراع وأن البخار الذى استخدم فى النقل البرى بالقاطرات لا يمكن أن يستخدم فى النقل البحرى بالباخرة . وكتب الدكتور لاردنر مقالا فى مجلة " أدنبره ريفيو" وهى كبرى المجلات الانجليزية فى ذلك الوقت مقالا يبلغ ٢٥ ونصف صفحة يوضح العقبات والعراقيل التى تحول دون تحقيق هذا الاختراع. وكان هذا الكاتب من علماء الانجليز الذين يمتازون بالدربة والمرانة فى كل ما يتعلق بالسكك الحديدية والقاطرات . ولكن شاءت الأقدار أن العدد الذى كتب فيه هذا المقال من المجلة نقل من انجلترا إلى الولايات المتحدة على أول باخرة فى التاريخ وهى الباخرة "سيريوس" التى وصلت إلى الشواطئ الامريكية فتناول الجمهور هذا العدد وقرأ المقال عن المستحيلات ونظر إلى الباخرة فرأى الممكنات .

وقد كان أديسون مخترعا عظيما مفتح الذهن لكل جديد ولكن دربته بل تخصصه قد جعله يظن المستحيل فى الممكنات الكثيرة . فإنه عند ما سئل سنة ١٩٠٦ عن التلفون بلا سلك أجاب فى لهجة جازمة "إنه لاوجود له" ولكنه عاش بعد ذلك حتى رآه حقيقة واقعة بل عرف قيمته فى أصوات الاستغاثة التى كانت تبعث بها البواخر فى المحيطات عند ما يلم بها خطر . بل لقد شاهد قبل وفاته بعض أقراص الفنوغراف التى اخترعها هو نفسه تذاع فى الراديوفون ويسمعها المستمعون واضحة بألفاظها وعباراتها . وفى سنة ١٩٢٦ حدثه أحد الصحفيين يوم عيد ميلاده عن السينماتوغراف الناطق فأجاب باستحالة تحقيق هذا الاختراع لأن الجمهور لن يؤيد الشركات التى تقوم به . ولكن هذه الاستحالة قد أصبحت ممكنة . وهى بهجة ومسرة للناظرين .

وعبرة الشباب من هذا الذى ذكرناه أنه ليس هناك مستحيل فى الاختراع والاكتشاف وأن الدنيا تحتاج إلى الذهن البكر، ذلك الذهن الذى لم يتقيد بالتدريب والتعويد حتى لايسيغ أى انحراف جديد . وأنت حين تحدث أحد الفنيين فى فن أو صناعة معينة تجد المعارضة الشديدة ، بل لعلك تجد الاستهزاء العظيم إذا اقترحت اقتراحا جديدا يخرج بهم عن مألوفهم حتى أننا لنكاد نعتقد أن كل تحسين أو كل اختراع يجب أن يأتى فى غير أبناء الفن الذين كان ينتظر منهم هذا الاختراع . وذلك لأن لكل فن قواعده وأساليبه التى تجعله محافظا بل جامدا . وهذا هو ما نجد عند ما نحدث الفلاح المصرى عن زراعة جديدة فإنه يغمرنا بالاعتراضات المتعددة المتنوعة حتى لنظن أنه على حق فنكف راضين بأن تنفيذ مقترحنا يعد من المستحيلات . ولكن الذهن البكر هو الذى يخترع ويكتشف ويتجرأ على الجديد . وهو ذهن الشباب الذين لم تحل المرانة والعادة عقولهم إلى الجمود والتحجر ولم تكفهم عن الاقدام والمثابرة .

في أدب الاجتماع — ٣

# الجانب الاجتماعي في الشعر الحديث

## شوقي ، حافظ ، مطران

بقلم أحمد عبد المجيد الغزالي

كتب إلى بعض المعنيين بدراسة الأدب الحديث ، يطلبون أن يتسع البحث فيشمل الجوانب الفنية الأخرى ، في شعر شوقي وصاحبيه ، وهم يشفعون هذا الطلب بمبررات لا تخلو من وجاهة ، فأحد الكاتبين يرى أن من الصعب حصر المعاني الاجتماعية ، التي بثها شاعر كشوقي ، في قصائده ومقطوعاته ، والكاتب يريد لي الحيطة لأصدر في حكمي على شوقي "الشاعر الاجتماعي" ، عن دقة واستقصاء ، ويؤكد لي — وأنا في غنى عن توكيده — أن لشوقي "لفتات صريحة جريئة" إلى المجتمع في أمداحه ومراثيه ، وأنا أزيد علم الكاتب الأديب ، أن لشوقي "لفتات صريحة جريئة" إلى المجتمع ... حتى في غزله ونسيبه — اذا سلمنا أن له غزلا ونسيبا ، ومستعد أن أهديه الى هذه اللفتات في مجلة غير مجلة الشؤون الاجتماعية ، تتسع صفحاتها ، لهذا اللون من الكتابة . .

أقول مرة أخرى ، إنني لا أكتب دراسات أدبية في هذه المجلة ، وإنما أحاول إبراز فكرة خاصة ، في ناحية خاصة ، تتساق في اتجاه التحرير ، الذي تؤثره هذه المجلة ، وتحرص عليه . إذن لن أكلف نفسي عنتا في لم شتات هذه المعاني المبعثرة هنا وهناك ، التي تتناول المجتمع من قرب أو بعد ، وتكفيني القصائد القلائل التي قالها هؤلاء الشعراء في الاجتماع ، لإبراز هذه الفكرة ، لأصل منها إلى تصوير المثل العليا ، في شعر القومية والاجتماع . وأعود إلى الكاتب الفاضل ، لأقول له : إن هذه اللفتات التي يلفتني اليها ، لن تغير شيئا مما قلناه عن شوقي في المقال السابق ، وشوقي بعد هذا كله شاعر فذ ، له مكانته وخطره في تاريخ الأدب الحديث ، ولن ينقصه ظهور حافظ عليه في هذا المضمار ، فقد كان لكل من الشاعرين موقف من المجتمع ، حتمه الزمن وفرضته الحياة ، ومن ذا الذي يستطيع أن يتفلت من حكم الزمن ، وتكاليف الحياة ؟!

وإن كانت ثمة ناحية يبدولنا الفرق فيها هائلا ، بين حافظ وغيره من شعراء هذا الجيل ، فهي تلكم الناحية وحدها ، فحافظ شاعر جلى كثيرا من معارض الشعور في الحياة الشعبية ، وسجل كثيرا من مظاهر القومية المصرية ، وبيئاتها الاجتماعية ، على تباين طبقاتها ، وشدة هذا التباين ، وإن أسباب عيشه ، وملابسات أيامه كما يقول العقاد " كانت أدعى الى توجيهه ، هذه الوجهة ، وأدنى الى إقامته في هذا المقام".

و يظهر أن ظروف الحياة حقيقة هى التى تسيطر على المواهب والعبقريات ، وتوجهها حسب مقتضيات المجتمع ، ومطالب البيئة . فلو أن الأيام وضعت حافظا موضع شوقى ، وأحلت شوقيا مكان حافظ ، لانعكست الآية ، وجرى كل منهما الشوط الذى جراه صاحبه ولم يزد قيد أنملة — أريد بذلك أن أطمئن المشفقين على مكانة "أمير الشعراء" من شاعر النيل ، فما كان لحافظ أن يعيش بعيدا عن الشعب ، وهو يجوب شوارع القاهرة على رجليه فى ضحوة الصبح ، ويقف على ضفة نيلها فى روعة الأصيل ، ويعبث فى مقاهيها وأنديتها الليالى الساهرة الشاعرة . وما كان لشوقى أن ينأى عن القصر وهو شاعره ، شاعر الأمير ، تشغله أبهة الملك عن رغبة المجتمع ، ومظاهر النعمة عن أشباح البؤس والفاقة .

شاعر الأمـــير وما بالقـليـــل ذا اللقب

فهو يعتز بهذا اللقب ، ولن يستطيع أن يهمل حقه عليه ، وهو بذلك رضى البال مستريح الخاطر .

أما حافظ فكما يقول الدكتور طه " صديق الشعب كله ، صديق الفقراء والأغنياء ، وأوساط الناس ، تراه فى كل بيئة وتراه فى كل مكان ، خالط الناس جميعا فأصبح هو الناس جميعا ، وصور نفسه فى شعره فصور بها الناس جميعا " .

من أجل هـذا أجاد حافظ التعبير عن آمال الشعب وآلامه ، و برع فى ذلك إلى حد الرضا والإعجاب ، و جرؤ على مواجهة الشعب بحقيقة أمره ، غير هياب ولا وجل ، واستجاب لداعى القومية فى خفة واهتمام ، فأحبه الشعب ورضى أن يكون لسانه الناطق ، ورسوله الأمين . عاش حافظ يرقب الشعب عن كثب ، ويدفعه دفعا إلى الحياة الحرة الطليقة ، فيرغبه فى النهوض بمستواه ، ويبصره بالمثل العليا ، ويسخر منه ، إن استحق السخرية والزراية ، لا يصانع أو يداجى .

أمة قـــد فتّ فى ساعدهـا بغضهـا الأهل وحب الغربا
تعشق الألقـاب فى غير العلا وتفـــدّى بالنفوس الرتبـا
وهى والأحداث تستهدفهـا تعشق اللهو وتهـوى الطربا
لا تبـالى لعب القوم بهـا أم بهـا صرف اليـالى لعبا

وقريب من هذه المعانى التى كان يرسلها حافظ فى ثورة وعنف ، هذان البيتان :

أمور تمـر وعيش يكـــر ونحن من اللهو فى ملعب
وشعب يفر من الصالحات فـرار السليم من الأجرب

وهل تطلب من شاعر يتصدى للكلام فى القومية والاجتماع ، تصريحا أوضح وأصرح من هذا التصريح الجارح القاسى :

واذا سئلت عن الكنانة قل لهم هى أمة تلهو وشعب يلعب

فى هذا الاتجاه تقرأ أخطب ما قال حافظ وأمتعه، هذا الذى خص به المجتمع أيام انحلاله وتدهوره، فعالج أمراضه، وفاخر بماضيه وشهر بحاضره — لا يخشى بطش الحاكم، ولا يرهب صولة المحتل، كل ذلك فى أيام كان حديث الناس فيها همسا، وخطو الناس فيها احتراسا كما يصور شوقى يثرب فى الأيام الغابرات.

يصيح حافظ بالمجتمع، ليغير أوضاعه المعكوسة، التى يحسن أن تستقيم، ويعدل نظمه القلقة التى يمكن أن تستقر:

لعمرك ما أرقت لغير مصر وما لى دونها أمل يرام
ذكرت حلالها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعى ما بات فيها وبات مصر فيه، فهل ألام؟

أخشى إن أنا مضيت فى القصيدة ألا أنتهى حتى تنتهى، وقد وجهها حافظ إلى الأمير حسين كامل، رئيس مجلس الشورى والجمعية العمومية، والقصيدة سجل حافل ينطق بآمال مصر، ويفيض بآلامها، وهى فى المحنة الدامية والبلاء الشديد:

أرى شعبا بمدرجة العوادى تمخخ عظمه داء عقام
اذا ما مر بالأساء عام أطلّ عليه بالأساء عام
سرى داء التواكل فيه حتى تخطف رزقه ذاك الزحام

أترى حافظ ينسى فلاح مصر وهو فى هذا المقام، وكيف وهو ثروة الأمة وعتادها؟

أبا الفلاح إن الأمر فوضى وجهل الشعب والفوضى لزام.
فأسعدنا بنشر العلم واعلم بأن النقص يعقبه التمام
أجبنا: هل يراد بنا وراء فنقضى أم يراد بنا أمام

ويلح حافظ على معانى الرثاء، فلا يقف عند الفجيعة فى الزعيم الشاب، يستوحيها ألوان الألم، وأهوال المصاب، فلا يزعم أن السماء تساقط كسفا، ولا الأرض تمور مورا، ولا النيل يشق الجيوب، وإنما:

هنيئا لهم فليأمنوا كل صائح فقد أسكت الصوت الذى كان عاليا
ومات الذى أحيا الشعور وساقه إلى المجد فاستحيا النفوس البواليا

* * *

يموت المداوى للنفوس ولا يرى لما فيه من داء النفوس مداويا
وكنا نياما حينما كنت ساهدا فأسهرتنا حزنا وأمسيت غافيا

وهو إذا أراد أن يغلو فى معانى النكبة فى الزعيم الشاب ، لا يقول أكثر من أن مصطفى كاملا ، لم يكن فردا ، وإنما كان جيشا بلجا غازيا :

ثلاثون عاما بل ثلاثون درة ... بجيد الليالى ساطعات زواهيا
ستشهد فى التاريخ أنك لم تكن ... فتى مفردا بل كنت جيشا مغازيا

يخلص حافظ من معانى الرثاء ، إلى معانى الوطنية والاجتماع ، فى مرونة وحذر .

الزعيم الراحل ، شاب فى زهوة العمر ، وريعان الشباب ، فلزاما أن يتأساه الشباب ، ويسيروا على طريقته ، والأيام كفيلة أن تخلق من كل واحد منهم مصطفى كاملا ، إذا هم زاحموا الأيام ، وعركوا الحياة ، فى بسالة واعتداد ، لا تقفهم تلك السدود والحدود ، ولا تجرفهم تلك " الأمواج " العاتية الجبارة :

يا أيها النشء سيروا فى طريقته ... وثابروا ، رضى الأعداء أو نقموا
فكلكم مصطفى لو سار سيرته ... وكلكم كامل لو جازه السأم
قد كان لا وانيا يوما ولا وكلا ... يستقبل الخطب بسّاما ويقتحم

نقول . . . حتى مواطن الرثاء كان حافظ حريصا على أن يزجها بمعانى القومية والاجتماع ، وهو فى كلتا الناحيتين شاعر نسيج وحده ، لا يدانيه شاعر آخر ولا يجاريه .. وحافظ إذا فرغ للمجتمع ، وليس فى ذهنه غيره ، أتى بالعجب لأنه يرسل الشعر عن طبع دافق ، ووجدان مشبوب . . . وما أحسبنى قادرا على قول كل ما أريد أن أقوله عن حافظ "الشاعر الاجتماعى" حقا فى مقال واحد ، محدود الصفحات — ذلك لأنى أريد أن أرد بنماذج من شعر الرجل ، على اللغط الذى يدور حول اسم حافظ ، فى أندية الأدب ومحلاته هذه الأيام ، ماذا يريدون أن يقولوا ؟ ؟ أهان حافظ على الناس وهو الشاعر الذى شدا فى شعره الناس ؟ أرجو أن يعمل أشدهم غلوا ، واعتدادا بشاعريته ، فاذا وصل إلى ما وصل إليه حافظ ، فليمت راضيا مرضيا . . . أقل ما يقال ، فارقا بين حافظ وشعراء هذه الأيام ، إنه مفهوم معقول ، شعره كصفحة الغدير السيال ، وليس أحاجى ولا ألغازا ، وأنا متشائم بمصير الشعر الحديث ، إذا ظل على هذا الأسلوب من الأداء ، وتفاهة المعانى . لا يمكن أن ننتظر على يديه خيرا لهذا المجتمع ، الذى يجب أن تتعاون كل القوى المفكرة — وفى طليعتها الشعر — على الأخذ بساعده حتى يسير وتنتظم خطاه ، فى غير مشقة أو عناء .

لن ننكر أن الشعر المعاصر قرب من المجتمع عن طريق الغناء ، فتناول معانيه ولكن فى غير هوادة ولا رفق .

إذا نحن طالبنا الشاعر بالإفصاح عما يختلج فى ضميره ، فلا نطالب الشاعر الغنائى بأكثر من هذا . . . أريد أن أصل إلى أن شعراء الغناء عندنا لم يوفقوا كما ينبغى والذى

نرجوه لهم . بعد أن نقدم لهم المثل العليا فى شعر القومية والاجتماع ، أن يروضوا أنفسهم على نظم أمانى المجتمع ورغباته فى سهولة ويسر ، وبذلك يتأتى للشعر أن يذيع رسالة المجتمع ضامنا لها الخلود والبقاء ، وسأفصل القول فى علاقة الشعر الاجتماعى بالغناء فى فرصة أخرى .

وكيف يستطيع الشاعر أن يصل مع المغنى إلى خدمة المجتمع ورفع مستواه ، ثقافيا وخلقيا ، فيتجافى السامع عن هذه الرخاوة والميوعة التى تشيعها اللغة الدارجة فى لحن المغنى وإيقاعه . وفى طوق شعرائنا أن يستغلوا هذه الفترات الحرجة التى تمر بالعالم مرورا ثقيل الخطو ، شديد الوطأة ، والتى تسكن النفوس فيها إلى وسائل السلوى والتسرية ، وتخادع فى أعماقها هذه الأحاسيس المروعة المخيفة . . . أقول فى وسع شعرائنا أن يبادلوا المجتمع الرأى فى كل ما يشد أزره ، ويقوى بنيانه ، ويدعم ركنه ، وأن يعمدوا إلى تلوين ما يقولون بألوان متألقة زاهية ، لتقبل عليه النفوس فى شوق وارتياح ، فيستطيع المجتمع أن يتلمس الشجاعة الكامنة فى تجاليده ، لمواجهة ما يضمره الغد المجهول فى أطوائه وتضاعيفه . . . والنفوس فى مثل هذه الظروف الكريهة تقبل ما يلقى إليها سهلا سائغا من معانى الحياة ، النابعة من البيئة ، والصادرة عن الشعور الصحيح بالقومية الحقة . . . فليس إذن على شعرائنا أكثر من أن يكونوا سادة صرحاء مفهومين ، كما كان شعراؤنا الثلاثة خاصة حافظا الشاعر الاجتماعى الفرد الذى تشهد بذلك آياته فى القومية والاجتماع ما

أحمد عبد المجيد الغزالى

---

# الخريف

## قصة مصرية بقلم الأستاذ سيد قطب

"القصة أوسع مجال لمعالجة المسائل الاجتماعية وبخاصة من وجهتها النفسية . وهذه القصة تعالج مشكلة نفسية اجتماعية خاصة ، ولعل هذه المشكلة مرت بنفوس الكثيرين من الشبان بعد أن دلفوا الى الكهولة ، محرومين من هدوء العش وأنس الأليف .

ولعل الكثيرين من الشبان الذين لا تزال مطامح الشباب وأمجاد الخيال تغريهم بالوحدة وتفر بهم من القيود أو ما يسمونه بالقيود ، لعلهم يرون فى هذه القصة صورة من المصير الذى ينتظر الهاربين الآبقين

وهذه القصة لم تكتب من أجل هذا الغرض ، ولم يرم صاحبها إلى « مغزى » خاص أكثر من تصوير حالة نفسية ، ثم صادف أنها تمس مشكلة اجتماعية"

المحرر

حينما عاد إلى مسكنه المنعزل حوالى منتصف الليل ، كان صوت سمير ، الطفل الصغير ، لا يزال يرن فى أذنه : " بابا عبده ، مروح ليه ؟ ".

وتثاقلت خطاه وهو يقطع ممر الحديقة الصغيرة ، ويصعد الدرج إلى باب المسكن فى شبه ذهول ، ومع أنه يعيش فى هذه الدار منذ عشرة أعوام ، ويسكن إلى عزلتها ويستأنس بها ، إلا أنه أحس فى هذه الليلة بوحشة لا عهد له بها ، وكأنما يأوى إلى كهف مهجور أو جب مسحور .

وكانت الأوراق الجافة تتساقط من حوله ، فتجرجرها الرياح ، وكأنما هى تصفق منذرة بالرحيل ..

إنه الخريف ....

وحينما أدار المفتاح تمنى أن يفتح الباب فيجد " زنوبه " الأرمل العجوز التى تقوم له بشؤون النهار ، ثم تأوى إلى دارها وأبنائها بالليل ... تمنى أن يجدها فى هذه الليلة ، وهو يعلم أن تلك الأمنية أمر مستحيل ... بل تمنى أن تكون قد تركت إحدى النوافذ مفتوحة فقفزت منها قطة الجيران التى كانت تفد إليه فى بعض الليالى فيؤذيه مواؤها وعبثها بأدوات المطبخ ، ويقطع عليه سلسلة تفكيره فى هدوئه المحبوب .

وأحس بخيبة أمل وهو ينير مصباح الردهة فلا يجد إلا نفسه ، كأنما صحا من سكرة عميقة ، فاذا السامر منفض من حوله ، وإذا هو مفرد فى هذا الوجود .

وكانت خطواته كلما آوى إلى منزله أو معبده — كما كان يحلو له أن يدعوه — تقوده إلى حجرة المكتبة ، سواء أكان بالليل أم بالنهار ، فيلقى على كتبه الحبيبة — ومنها مؤلفاته نظرة تحية عاطفة ، ثم يذهب أو يبقى فى صومعته ، يناجى الأرواح التى تعمرها . أرواح المؤلفين التى كان يحسها مرفرفة فى جو الحجرة تستقبله وتحييه . وأرواح مؤلفاته التى يدللها ويحنو عليها بروح الأب المشفق الودود .

ولكنه فى هذه الليلة أخلف عادته للمرة الأولى ، لقد خيل إليه أن هذه الأرواح المرفرفة اللطيفة قد استحالت أشباحا كئيبة مخيفة ، وسرى هذا الشعور فى كيانه فأحس برعدة تتشى فى أوصاله ، وأسرع إلى حجرة نومه فألقى بملابسه فى أرض الحجرة وألقى بنفسه فى السرير دون أن يجرؤ على إشعال النور .

وكما يصنع الأطفال حين يخشون الأشباح راح يدفن نفسه فى الفراش ويجذب الغطاء على رأسه ويسد أذنيه محاولا أن يغطى على الصوت الهامس الرهيب ، لا صوت الأشباح ولكن صوت سمير الصغير : "بابا عبده ، مروح ليه ؟" .

وبعد فترة كأنها جيل ... أدركته رحمة الله ، فنام .

* * *

نشأ عبد المنعم فى أسرة ريفية عريقة ... وحينما كانت نفسه تتضح بالشباب وتتفتح للنور كان القدر يطمس على مجد الأسرة ويعبث بمخلفاتها حتى الحطام . وهو ما زال تلميذا فى أولى خطوات التعليم .

ولم يشأ الفتى الصغير أن يخضع للمصير المتطور ، فكافح مستعزا بالمجد القديم ، مستعينا بعزمة صادقة وآمال عريضة . جاهد حتى أتم دراسته العالية ، وحتى وصل بأخيه الصغير إلى مرحلة التعليم النهائية ، وحتى أنقذ بقايا الأسرة من المصير المخيف .

والأقدار التى حرمته ما متعت به أسلافه من نعيم ، عوضته من هذا المتاع موهبة أدبية قام على أساسها جهاده ، ودرجت فيها خطواته . وكان يلمح وراء كل خطوة بريقا لامعا من كوكب بعيد ... يتراءى هنالك وراء الأفق . إنه يدعوه ويبارك خطواته ، وينير له الطريق .

وحينما أتم رسالته لماضيه وأدى واجبه لأسرته ، شعر بالراحة وأحس الاغتباط وتملكته نشوة النصر ... النصر الحاسم على الزمن والحوادث والآلام والخصوم .

وكان بريق المجد يتراءى له ويدعوه ... هنالك خلف الأفق البعيد ، فلم يستطع مقاومة النداء المغرى واجتذبته الأضواء فسار على الدرب يهتف للنور ، ويصفق للأمل ، وتغمره النشوة ليحس أنه قوى . قوى ملء أوصاله ولا حاجة به الى رفيق أو معين .

وفى الحين بعد الحين كان يزور أخاه الذى يسكن فى نفس الضاحية ، والذى لم يعد راهبا فى معبد بل رفيقا فى عش !

وكان عبد المنعم يعد شقيقه الصغير امتدادا له ، و نبتة من غرس يده ، فكان يستروح للقياه فى عشه الجميل ، ويأوى إليه و إلى زوجه الصغيرة الرشيقة كلما أحس بشىء من التعب بعد مجهود شاق ومرحلة طويلة فى طريق المجد المحبوب ، ثم يعاود التصعيد والتصويب.

ولكن منذ أن جاء سمير إلى هـذا العالم تلاحقت زياراته حتى كادت تصبح يومية وهو يرقب نموه بشعور غامض غريب . وفى كل مرة كان يحمل إلى الطفل ما يدخل السرور إلى نفسه الصغيرة البريئة ، وكان سمير يدعوه كما لقنته أمه : " بابا عبده..." ويهتف باسمه هذا كلما رآه مقبلا من بعيد ، وفى يده الحلوى تارة واللعب تارة ...

* * *

أخذت خطوات عبد المنعم فى طريق المجـد والشهرة تتراخى رويدا رويدا ، وهو فى أول الأمر لا يحس تراخيها ، وأخذت تنتابه فترات قصيرة ، ثم متطاولة من الهمود والسهوم . وبدأ سؤال هامس يهجس فى أعمـاق نفسـه ولا يكاد يتبينه أو يترجمه الى لغة الألفـاظ الصريحة ، سؤال يتردد بين الحين والحين : ثم ماذا ؟ وما جدوى هـذا الجهد وماغناؤه فى النهاية ؟ ... ولكن سرعان ما كان هذا الهمس يختفى فى زحمة الشهرة وضجيج الصيت.

وفى ليلة الأمس كان فى منزل شقيقه يحضر العيد الخـامس لميلاد سمير ، وقد ألبسته أمه حلة جديدة ، ونسقت الدار لاستقبال صديقاتها وأزواجهن وأطفالهن ، وتلألأت الأنوار والأزهار ، واستخفها النشاط والمرح ، فكانت كالفراشة الجميلة تسير وكأنها تقفز وتحدث والضحكات المرحة تطل من ثنايا الحديث . . . أما سمير ورفاقه الصغار فكانوا فى نشوة نشيطة يجرون ويقفزون ، ويجتمعون ويتفرقون . . كما تجمع الأزهار فى الطاقة ثم تفرقها ، لتجمعها فى نظام جديد .

وبينما كانت هذه المناظر تتراءى لعينيه كان ذهنه شاردا . كان يستجمع خواطر غامضة رهيبة ، وحينما انتهت الحفلة وهم بالخروج حمل سميرا بين يديه فى تأثر عنيف ، وقبله بحرارة . وهنا فاجأته دمعة لم يتهيأ لاستقبالها ، فأسرع ينزله من بين يديه ويستأذن فى الخروج ، بينما سمير يناديه : " بابا عبده . مروح ليه " أجل مروح لإيه ؟ ماذا هنالك يأوى إليه ؟

ترى يقصد الطفل هذا الذى يدور فى خاطره الآن ، ويعنى ما يقول ؟ !

وفى الطريق هجمت عليه فكرة واضحة جدا فى هذه المرة ... إنه الآن فى القمة ، ولكن أمجاد الأرض كلها لا تساوى هذه الزهرة الحلوة ، وهتافات الجماهير جميعا لا تساوى هذه اللثغة المحبوبة !

تنفس الصبح ونفذت أشعة الشمس إلى حجرة عبد المنعم ففتح عينيه وجال ببصره فى الحجرة كالذى يصحو من حلم غريب ... ووقع نظره على ملابسه المبعثرة فتذكر وقهقه ضاحكا ، ونهض نشيطا ، وهو يستعيد خيالات الأمس العجيبة .

واستخفه مرح مفاجئ فأخذ يغنى وهو ذاهب إلى الحمام ، وكأنه يرقص أو يقفز فى خطواته . ترى كانت صحوة المصباح أو رقصة المذهول ؟

وحينما وقف أمام المرآة يمشط شعره ، وجم بغتة كالذى يجفل من مشهد غريب . . . ، لقد راعته الشعرات البيض ، فقد وخط رأسه المشيب .

إنه فى الخامسة والأربعين !

* * *

وحينما أتم هندامه وخرج من الدار ، لم يفته أن يرمق شيش النافذة المقابلة فى الطريق . لقد لبثت تلك الفتاة الفقيرة الشوهاء تنتظره وراء الشيش وتحركه حركات مقصودة كلما خرج فى الصباح طوال هذه الأعوام ؛ فلم يقابل هذه الحركة بغير الابتسامة المشفقة فى بعض الأحيان ، والإهمال التام فى معظم الأحيان .

أما اليوم : فليتها تكون هناك وراء الشيش . . . إنه يتطلع اليه — أول مرة — باهتمام شديد ؟

حلوان سيد قطب

---

# مجلة الشؤون الاجتماعية

## تختتم عامها الثانى

---

بهذا العدد تختتم المجلة عامها الثانى ، وهى مطمئنة الضمير إلى أنها جاهدت مخلصة للقيام بمهمتها ، وأداء رسالتها فى محاولة الإصلاح الاجتماعى .

وهى بهذه المناسبة تشكر لحضرات من ساهموا فى تحريرها ، فأعانوها على أداء واجبها . وترجو أن تجد فى أعوامها القادمة ما لقيه من إقبال ومعونة وتشجيع .

المحرر